

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

طَاعِنٌ فِي الْمَكْرِ الْعَاطِفِي.



مجموعة تكوين المتحدة للطباعة والنشر و التوزيع

- 📍 جدة - حي مشرفة - شارع التضامن العربي
- ✉️ info@tkween.net.sa
- 🌐 tkween.net.sa
- ☎️ 00966557772038



هَذَيَانُ عَاشِقٍ

طَاعِنٌ فِي الْمَكْرِ الْعَاطِفِي.

بِلال خان.

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

توطئة:

حاولتُ كثيراً الوصول إليك بالرغم من الأحقاد المتكدسة حولي.
ولكن حينما اشتدت ظروفى تركتني هكذا بلا مُبرّرٍ يجعلني أغفر لك
يوم الحساب والعقاب.
أردتُ أن أجعلَ منكِ ملكة، ولكنكِ أبيتِ إلا أن تصيري زوجةً لغيري.
أتمنى ألا تندمي يوماً على قرارٍ أنهكني بعدك وظننتِ نفسكِ المنتصرة.

إهداء:

إلى أعظم كائنةٍ في الوجود، أمي السلطانة.

شكْرُ خَاصٍ:

إلى أخي في الله عمر القرشي، أحبك الله وزادك من واسع
فضله، شكراً لدعمك المستمر لنا.

"أَتَعْتَقِدُ أَنَّ رَحِيكَ كَانَ انْتِصَارًا لَكَ.

لَا وَاللَّهِ..

هَذَا دَعَائِي دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ:

"رَبِّي اصْرَفْ عَنِّي شَرَّ مَا قَضَيْتَ".

أَدْهَمَ شَرِّ قَاوِي.



أصُدر الحُبَّ مرسوماً بقرارٍ إعدامنا ومن ثمّ تنصيبنا رؤساءً فوق
عرشٍ جبينها، كرهتكَ ومن ثمّ عشقتكَ غضبتُ الطرفَ فتماديتِ. هكذا
الحبُّ صرَّاحٌ حتى الانقطاع عن أحبال الكلام..

لم تكوني في سمائي فتاةً من عصور الجاهلية حتى يكون حبي لكِ
جهلاً، كنتِ فيضاناً عنيفاً يجرّ مادّيات الحياة. كنتِ ضيفةً قلبي العفيف،
غيّرتِ نظام قلبي الأزلي.

نسيْتُ نفسي في حضرتك يا أنسة، من أنا؟

لربّما أنا رجلٌ من الأرض اضمحلّ في محياك دونما جهدٍ من أُمي
يُذكر، أنا ذاك الذي قاده جهلٌ عقله وجنون أحلامه إلى دركات الهوى
وبرد العشق القاني، ونال ما أراد من الندامة لما تعجّل في ركل الخُطوات
نحوكٍ بسرعةٍ مريبة، ثم استفاق بعد فترة فوجد نفسه في اختناقاتٍ
قاتلة وهو اجس عاطفية مُربكة، ذلك العُنف الأنثوي جعلتُ مني رجلاً
بسيطاً ينخر زوايا قلبه، بحثاً عن ذكرى يُطفئ غضب الحنين.

أصبحتُ بعدك حراً وقاتلاً وهارباً من عدالة العقلاء، ببساطة لأنني

غرقتُ في مُهاتراتِ القلبِ ومجرياتِها المُنهكة، لطالما قُلتُ مقتنعاً نوعكِ هذا من الفتياتِ مُشاكسات، خلقن لتعيثنَ فساداً في مستعمراتِ القلوب، كُنْتُ المذنبُ وكُنْتُ العاصي لقوانينك، فقوانينِ الحبِّ هذه أشبه بقوانينِ البؤساء، تجرّعتُ من قلبكِ علقماً لا يقتل، اكتفيتُ مِنِّي خفتُ من خوضِ التجربة، مع ذلك قُمتُ بالمبادرة رفعتُ المرسةَ واضحاً جميعَ الخياراتِ أمامي سوى خيارِ الفقد، فلقد أنسانيه الشيطانُ أنْ أذكره، ولم أكن لأرسو حتى تهدأ عواصفِ قلبي بك.

لم يكن لي ملتحداً بين البشر، فأنا سكنتُ بين أحداقك، بين سلبياتك، بين هفواتك، بين سكونك وعذابك، التهمتني بنهم فعلقتُ غصّةً في قلبك.. ركضتُ وراءك كأحمقٍ عاقل، كثلجٍ منصهر، كعدوٍ صديق.
احتميتُ بقلبك، احتميتُ بركنك، زلّ قدم حبي بك، فانغمستُ في رحيقِ جنانك..

كُنْتُ أنتنفسكِ بعمق حتى اختنقتُ بك، رُحتُ ضحيةً انقلابك المفاجئ، في جمهوريةِ عشقكِ سياسيةً ظالمةً أنتِ.

في الكونِ أصولٌ لا تتغيّر ولا تتبدّل. ذلك القانونُ المتصرف الإلهي المتعبّد بحكمته، خلق الله الحبَّ كأبي كائن لا يرى كما فوق الطبيعة. أوْمَنُ أنا بأنَّ الحبَّ مخلوقٌ مستترٌ في محرابِ القلبِ.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

يستفيقُ مَنْ سباته حينما يتأثر بالعوامل المحيطة به.. ولكلِّ مخلوقٍ
نواقص فلا شيء في الدنيا يقتضيه الكمال سوى المعبود سبحانه..
فيتحوّل المخلوق النائم المسكين المتجرّع بالإحساس الهادئ إلى قاتلٍ
مُتعصب، يقتل كلَّ مَنْ يدخل إلى حيزه فلا يموت حتى يفرض علينا
فروض قوّته المسمومة فيحوّلنا إلى أشباه إنسان.

والحبّ حركةٌ في الروح.. ولا يحرك الروح سوى جمالٍ لطيف يسمو
بلذة في شهواتنا الفكرية.

لا بدّ لقصتنا أن نُعاش فليس كلّ حبٍّ ينتهي باجتماع عفيف، فبعض
الحبّ مرضٌ ينتهي بتختر الروح، سأرويكَ حكاية ليست كحكاية الجدّات،
بل أخرى مؤلمة يرومها عاشقٌ طاعنٌ في المكر العاطفي.



تفتّحت كزنبقة مائية في بحرٍ آسن، كأنّ الحبّ اختارها ليحتويها..
فأسموها جنان.

في ذلك الزمن الجميل، تربّعتُ فوق ظلكُ توسّدتُ بوسادة عمري في
أحضانك.

طفلة ونصف طفل يلعبون بالدمى المحشوة، يأتي الصبيان ليعتروا
غیظهم في تدمير تسليتنا.

كبرت وكبرنا واعتدنا على أن نرى العالم بساطاً ترفعنا لأعلى منصّة في
الطبيعة الغرامية.

ذات يومٍ داكن نكف جدي على دعوة جميع الأقارب لمناسبة طيبة..
لم أحبّ قط تلك المناسبات فأنا كُنت شخصاً ذو طبعٍ ممل.. لا أحبّ كثرة
القال والقیل ولا أحبّ المجاملات بين الأقارب كعادتهم الرتيبة..

قمتُ من تلك المناسبة غضبان أسفاً لا أذكر بالتحديد على ماذا
استشطتُ غضباً، ولكن ربّما كانت بسبب البدع المنتشرة في القبيلة
والمأثورة من الديار القديمة.. انتابني الملل فانكشف الغیظُ من مخبيئ،
سئمتُ القعود سميتُ للمنزل قرعتُ الباب، سمعتُ نبرة حياء؛ من
بالباب؟

شككتُ في الصوت.

ندهتُ بنبرة الحائر: أنا سلمان..

فُتِحَ الباب فتكاثف في نظري مظهرٌ كوني كمعراجٍ سماوي يشهد
ببصيرته فسادي.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

فتاةٌ كعسلٍ باهظٍ في وسطِ دُرِّ مجوِّفةٍ بالورود.. تقفُ محدودةً
بخجلها الآسن.

نظرتَ إلي، ففاح فاهها بابتسامة خجلة، هَزِبْتُ وأنا كفزعون محتنط
لم يمتُ قبل هذه اللحظة.

أصبتُ بدهشةٍ صريحة، كانتُ تلك المرة الأولى التي يتخبَّط فيها قلبي..
أسرتُ روعي تلك الهاربة الخجلة، كانتُ تلك هي أنتِ يا جنان بلاءِ روعي
الذي بدأ ولم ينتهِ حتى عاثَ في نفسي الفساد كان الأمر كما يقول العشاق
حبُّ من النظرة الأولى.

ظَهَرْتُ بغتة تَهْدَى لها خيالي فأضاعت البهجة في رتابة حياتي، حينها
ترأف لها نفسي بمودّة عابقة.. وهي بدلالها خطفت ملامح انبهاري.

لم أستطع مسكَ قلبي وسجنه في محرابه المُقدس كثيراً، فتبدّد في
جوِّ الخرافي يا أنسة.

استنار قلبي بملامحها الأسطورية "وكأنَّ الشمس تجري في وجهها".
فمُ رطب، شفتان حمراوتان وشعرٌ شبه بُتِّي وخدَّين مُنصاعين
كالذهب وصدْرٌ أبيض كالثلج. عيانان عسليتان وأنفٌ شبه مُدبَّب،
وحواجب من إبداع خلق ربي، سبحانك ما أتقن صنْعك.

بعد تلك اللحظة الأسطورية استيقظَ نيتي بعد خموده الساكن.
كيف لا! وقد استشعرَ بوجود حياةٍ كانتُ مخبوءة.
تطلّقتُ على طفولتها رُغماً عني، فنبذتني ببراءتها إلى عالمها الموبوء
بالانطلاق من كافة القيود. فعلقتُ في ترفها الخادع.
أصبحتُ في كلّ مرة أتحدّج بشيء ما أحمله معي لداركم.. حتى أقنص
الفرصة في قبض صورة خيالك وتأمّل وجهك الباذخ يا أمة الله الحسان..
انطلقتِ الشرارة وما انطفأت حتى أحرقت كل ما بي من شعورٍ أو
حياة.

سألتُ من هنا وهناك، عن عمرك، ومتى وكيف وهل لاحظتم ما
لاحظت!

دأبني الفضول رحّت أرويه بجبّة أخبارك، سألتُ خالتي فيما إن كانت
تحتفظ بشيءٍ من صورك حينما كنتِ طفلة.. تلاً لأ نفسي سروراً عندما
وجدتُ الكنز في عمق الألبوم، انصهرتُ ذكرياتي في حممك يا وردة. عندما
تأملتُ الصورة آتاني طيفٌ من بعيد يفتّش بين حطام الذكرى عن نور
يخطفه ويضعه في زنزانه قلبي.. كان كلّ ما فيها يُنبئ بالسكينة والرحمة.
طاغ هذا البصر الزائع. لهذا أمرنا في مُحكم أي الرحمن أن تتجلّى

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أبصارنا خاشعةً نحو الأرض حين يترنح أماننا فتنة سائغة، حتى لا نقع
فريسةً سهلةً لكيد العشق الغادر.

في صندوق فلسفتي كُنت أرى الفتيات الجميلات معقدات ومغرورات،
وذو أنوف طويلة تبرز حينما يتفاخرن بأنفسهن أمام أمهات الفتيان..
حتى يغزوهن غداً رجالاً أشاوس.
منذ رأيتكِ تغَيَّر تفكيري تماماً.

كان حلبي زوجة قارئة فكنتِ القارئة، كان حلبي فتاةً قصيرة كنتِ
أنتِ أجمل قصيرة في العالم. كان حلبي فتاة تضحك باستمرار هكذا بلا
سبب فكنتِ أنتِ كثيرة الضحك بلا سبب.



"الحب العميق كالشوك في الورد، جميلٌ زكيّ الرائحة ولكن خشنٌ
الملمس، إذا أصابتك بلعاتها ستجعلك في حالة خوفٍ دائمٍ من النهاية
المجهولة التي لا تدري هل ستؤول إلى سعادة سرمدية أم شقاء أبدي"،
كذلك كان الحال بيني وبينها.

كان البرود القاتل والصمتُ المُستفزُّ مساحات تتوسّع داخل روعي
يوماً بعد يوم، خصوصاً بعد تأخر النطق لديّ وتأخر انقشاع ضباب

التَّوَحُّدُ عَنْ كَاهِلِي.. وَحِينَ نَطَقْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَ عَمْرِي يُقَارِبُ الْخَامِسَةَ
كَمَا تُقُولُ أُمِّي، مِمَّا جَعَلَ تَفْكِيرِي مُخْتَلِفًا عَنِ الْبَاقِينَ، كُنْتُ أَرَى نَفْسِي
مَمْقُوتًا، حَتَّى انْقَلَبَ الْحَالُ بِحَضُورِكَ الْمُقَدَّسِ سَمَوِّ الْأَمِيرَةِ.

بِوُجُودِهَا افْتَقَدْتُ عَادَاتِي الْكُنْيَةَ، تَضَخَّمْتُ أَحَاسِيْسِي فَجَاءَتْ
فَأَصْبَحْتُ أَكْثَرَ إِنْصَاتًا وَأَكْثَرَ سَعَادَةً مِنْ ذِي قَبْلٍ.. كُنْتُ صَبِيًّا ضَائِعًا دَائِمًا
مَا يَرُكُنُ فِي زَوَايَا الْيَأْسِ مَعَ أَوْلِ بَوَادِرِ الْمَصِيبَةِ، لَمْ أَكُنْ شَخْصًا عَجُولًا أَوْ
حَتَّى شَخْصًا يَمْلِكُ طَمُوحًا عَالِيًا، كُلَّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ بَعْدَ تِلْكَ الْإِسْرَةِ الْهَارِيَةِ،
بَعْدَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَةِ الْغَرِيبَةِ وَالْمُمَيَّزَةِ بَعْنَفٍ، أَصْبَحْتُ قَنُوعًا جَدًّا وَعَجُولًا
فِي أَنْ مَعًا، وَأَصْبَحْتُ أَكْثَرَ اهْتِمَامًا بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ الصَّغِيرَةِ.

ضَلَلْتُ فِي حَيْرَةِ الْبَدَايَاتِ حَتَّى اسْتَوْعِبْتُ بِأَنَّ الْفُرْصَ تَأْتِي مَرَّةً وَاحِدَةً
فَاسْتَدْرَجْتُ قَلْبِي لِاسْتِقْبَالِ مَشَاعِرِ تَائِهَةٍ، مَشَاعِرِ طِفُولِيَّةٍ فِيهَا طَاقَةٌ
قَوِيَّةٌ تَكَادُ تَتَفَجَّرُ مِنْ قُوَّةِ النُّضُوجِ.

أَصْبَحْتُ مَعَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ أَلْبَسُ أَحْسَنَ الثِّيَابِ، وَأُنَمِّقُ كَلَامِي عَلَى
أَكْمَلِ وَجْهِهِ، لِكِي تَنْتَبِهِي بِأَنَّ هُنَاكَ صَبِيًّا مُهْدَبًا وَذُو جَمَالٍ طَقِيفٍ لَطِيفٍ
يَنْتَظِرُكَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.

في البداية لم أستطع ولم أتجرأ البتّة، أن أعلن للعالم فخراً أنّك
مستوطنة عشقي، لا أعلم لماذا؟ ربّما كون البدايات دائماً مستعصية.
كلّما أردت أن أهمّ بقول: أنّ هذه الأرنبة البنيّة هي أسيرة قفصي
الصدري، ترتعد أطرافي خوفاً فيكادُ القلب بالتفتّق والخروج من محرابه.
كانت وسيلة التواصل الوحيدة بيننا آنذاك، هي النظرات الخاطفة،
نظرةٌ تلمها نظرة.

نظراتك الجنونية تلك كانت كإشارة رمزية لحبّ طويل، نظراتك
الحميمية تلك كانت تذوّبي وسط صياح الصبر والشهوة الصاخبة لديّ..
بها سنّة متأصّلة كتنويم مغناطيسي يُرديك مجنوناً لا تُفرّق بين الكاف
والميم، يقيناً مجرد النظر لا يُدلي بثمارٍ ناضجة.



ترحفُ الأيامُ على جمرِ الترقبِ ويخلفُ الزمنُ الثواني بالدقائق
والساعات.. أنتظرُ ملاً وقتي بك تحتَ وطأة كبريائك اندثرتُ.. واختفيتُ..
وولدتُ.. ثم متّ.. ثم بُعثت بك.

أخاف من كبريائك من أنوثتك المرعبة هذه. تحوّلتُ لرجلٍ شاعرٍ
إلا منك. فمُعظمي سكرة أعمه في جدائلك المخملية. كان عقلي يتخبّط
في جنونك مُستغفلاً عن الواقع. تمنيتُ أن أكون أنا من ينتهك حجاب
أنوثتك حباً.

خلف الزمن فيك عاهة مستديمة أنستي، هو جمالك يا فتاة تُعشق
رغمًا عن أنف الجميع. سكرٌ مُزج بالحليب أنت.

لطالما تريثنا عن طلب يدك يا أميرة، حيثُ إنّ والدي الذي يضعُ نصف
سيجارة في فمه ثمّ ينكفّ في السباب والسعار على مخترع السجائر، لا
يتكلّم ولا يبتّ بكلام إلا وأولها الدراسة يا ابني العزيز الدراسة لا تُهملها
فستشقى.

كُنْتُ الأَمْنِيَّةُ فِي الابنِ المِثَالِي الذي سيصبح طبيباً أو مهندساً أو
محامياً.

كيف أركّز في شيءٍ آخر كالدراسة وأنا أصبحتُ مشتتاً بك، فلا مجد
لي بعد الآن سوى مجدك الأثيل يا جميلتي.

زَمَلِينِي بخمار حنانك أرجوك، أخاف وأنا بعيدٌ عنك من الضياع
والفقدان ومن الوحدة، فلا أرجو أبداً أن تغيبني عن روعي يا حور عيني.
كُنْتُ أقضي جلّ وقتي في منزل جدي الواسع، فيبتي كان مليئاً بصخب
الأطفال وزحمة السكان.

روتيني كان هادئاً، كتاب وقهوة تحت أشجار التفاح وبقربي جدتي
تحكي أول لقاءٍ بينها وبين جدي.

خالاتي ذو قناعاتٍ قديمة.. أولئك جيل الثمانينات جيلٌ بسلوِكٍ آخر
غير طريقتنا الجديد المعتم، كانوا يرون فيّ جيلاً جديداً قديماً في آنٍ معاً.
نلتُ هواياتي كمتطّلة على هوايات خالتي الكبيرة "القراءة والكتابة".

فكُنْتُ أقرأ عن الحبِّ كثيراً، لأنني كُنْتُ فاقداً لهذا الشيء الغريب
أردتُ اكتشافه والغوص في أغواره فتبيّن لي بأنّ كلّ العشاق عبارة عن
أكواز مليئة بالألم.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَمَّا الْكِتَابَةُ فَكَانَ الْقَلَمُ يَتَسَرَّبُ وَحْدَهُ فَوْقَ أَسْطَحِ الْوَرَقِ.. فِي كُلِّ
سَطْرٍ أَكْتُبُ اسْمَكَ بِلَا وَعْيٍ فَبِي كُلِّ مَرَّةٍ يَغْلِبُنِي الشُّوقُ فَأَكْتُبُ قِصَّةَ كُلِّ
أَبْطَالِهَا أَنَا وَأَنْتِ.

وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ وَأَنَا عَلَى سُرِيرِي أَفَكِّرُ بِكَيْفِيَّةِ إِيْصَالِ مِشَاعِرِي إِلَيْكَ
كَقَطِّ هَارِبِ ذَاتِ فَجْرِ بَارِدٍ لِإِجَادِ الدَّفْعِ تَحْتَ هَيْكَلِ السَّيَّارَةِ.

"مَشْكَالَةُ الْحُبِّ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْحَيَادَ إِذَا اجْتَمَعَ هَانِئٌ أَوْ فِرَاقُ قَاتِلٍ."

أَتَعْلَمِينَ يَا صَغِيرَتِي، أَنَّ أَكْبَرَ ظَلَمٍ لِلرَّجُلِ هُوَ ضِيَاعُ حَيَاتِهِ مَعَ فَتَاةٍ لَمْ
يَتَسَيَّ لَهُ أَنْ يَلْمَسَهَا حَتَّى!

يَقُولُونَ بِأَنَّ الْغِيَابَ فَصْلٌ تَتَوَسَّطُ كِتَابُ الْحَيَاةِ، إِذَا فَلَا بَدٌّ لِلْكِتَابِ
مِنْ بَدَايَةِ وَمِنْ خَاتِمَةٍ وَأَتَمَّتْ خَاتِمَتِي حَسَنَةً بِكَ كَمَا أَطَّرْتِ بَدَايَاتِي بِلَوْحَةٍ
دَلَعَكَ وَثُورَانِكَ الْعَاتِي.

لَا أُنْسِي ذَلِكَ الْيَوْمَ مَا عِشْتُ أَبَدَ الدَّهْرِ.. حِينَمَا انْقَطَعْتُ أَخْبَارَكَ
الْمُبْهَجَةَ عَنِّي، لِأَسْبَابٍ مَجْهُولَةٍ لَا أَذْكَرُ تَفَاصِيلَهَا الْآنَ.

بَعْدَ زَمَنِ مِثْلَمِ بَخْطِيئَةِ الْقَطِيعَةِ.. لَمْ أَكُ أَصْدَقُ بِتِلْكَ الزِّيَارَةِ
الْمُفَاجِئَةِ لَكَ.

كَلَّمَا غَبْتُ عَنْكَ وَرَأَيْتُكَ بَعْدَ فِتْرَةٍ تَبْدِينِ أَكْثَرَ وَهَجًا وَأَكْثَرَ أَنْوْثَةً.

وحدي ذات شتاء كُنْتُ أتأمل الجدران من حولي سارحاً في أحلامي،
وإبريق الشاي بالزنجبيل يصدر صفيراً فوق آلة التدفئة، وفي خطفة
لحظية دَنْتُ خالتي مَيَّي وقالتُ: لقد حلمتُ بحلمٍ جميلٍ الليلة الماضية يا
سلمان، سألتها والفضول يغريني بماذا حلمتِ يا خالة؟

قالتُ: حلمتُ بأنني كُنْتُ استقبل الضيوف في قصرٍ مزدان، كتلك
القصور التي نراها في عالم أفلام ديزني. وإذ بأميرٍ وأميرة يظهران بتأنق
رهيب والجمهور يبدوون بالتصفيق وبإلقاء علب التبريك وزهور التمني،
كان الأمير يتجسّد بهيئتك الباردة والأخرى ذات إطلالة جميلة كانت
الأميرة جنان.

قلبي ثار من حيزه.. استدركت متفائلاً: الله يسمع منك يا خالة.

"أوا يا ليتها بقيتُ حلماً".

فلا زلتُ في أحلامي الوردية حتى اقتربت امتحانات آخر السنة.. في
الامتحانات يُكرم المرء أو يُهان. وأنتِ كُنْتِ أكبر امتحان لي في حياتي الغير
مُبالي، فهل نُكرم في نهايتنا يا تُرى أم...!

وذات يوم كُنْتُ أمرغ عقلي وأشطّر ذهني أنصافاً وأعصر المعادلات
عصراً فأضع الحلول وأشتم فيثاغورس، فجأة أطلتِ يغدقكِ ولعُ غاوية..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

توعكَّ صدري فبدأ يرقص.. أتيتِ بقربي مُنكمشة الأُجفان.. لم أستطع
سُتْر بصري عن آفة جمالِك، فغرقتُ في بحر تقاسيم وجهك والاستطراد
في صاداتك وسيناتك، مُتناسياً تلك المادة الخثيثة.

"في كلِّ مرة تتحدثين وتبتهجين وكأَنَّك زوجة الخوارزمي يكون حلِّي
معك مجهولاً".

عندها لاحظتِ خريف أنظاري، فامتلاً نضج الربيع في وجهك خجلاً.
كنا ندرك أننا واقعان في حبِّ بعضنا البعض.. كُنْتَ تدعِين الغباء
وَكُنْتُ أتجاهل.

مرضتِ مرّة، فتدهورت صحتي وكأَنَّي أنا من نال منه التعب والمرض.
كلَّ شيء باهت، كلَّ الدنيا حارقة وكلَّ العالم بارد.. وكأَنَّ قيح جهنم
حلَّ بظلاله فوق الأرض لأنك متوسدة فوق السرير تعباً زلفة.. مع ذبول
ابتسامتك كلَّ شيء كقفار بال.

في ليلة كمدك زُرت الست بهيمة.. سألتها عنك أجابت بتوجس، لماذا
تسأل عنها؟

"يومذاك كان حبنا عورة، فهي لا تدري كم أعشق فلذة كبدها، قلتُ
والحرج بادٍ في محياي: سمعتُ من والدتي بأنها مريضة.. قالت: لا بأس هي

بصحة وعافية. بعدها دلفتِ الستُ بهية لغرفتها، دونما إضافة لسؤالها
ولا إجابة تشفي غليلي.

فلمحتُ ريحانة وهي خارجة تسقي الرعاء.. سألتها عنك والقلق يفتك
صبري.

- أخبريني يا ريحانة هل صدقتُ عمتي في كلامها هل جنان فعلاً
بصحة وعافية؟

أجابتُ: جنان منذ فترة ليست بالقصيرة، كانت تشتكي من ألمٍ يعصر
بطنها.. حتى أرقدها الفراش، فألت لغرفة العمليات بداعي استئصال
الزائدة الدودية.

لحظتُ ذلك فاجأتني رغبةٌ جارفة لرؤيتك، فأسرعتُ لأحد الأصدقاء
حتى يصطحبني حيثُ أنتِ يا بديعتي السماوية.. من فرط شوقي هرعْتُ
للمشفى أبحثُ عن غرفتك أسألُ الممرضات عن فتاة قلبي، عن أميرة
عسلية اسمها جنان.

عرفتُ رقم الغرفة منهنّ، فاتجهتُ مباشرة إلى مُستقرّها!؟
دخلتُ وفوجئتُ بك وفوجئتُ بي وإذ بك قُمتِ على وهن ملتصقة

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بالسرير الآلي وقد غطيتِ نحرَك البارز كجناحي طيرٍ تريدان التحليق..
ولحسنِ حظِّي أنكَ كنتِ وحدك في الغرفة.

"كانتُ مبتهجة، شهية بفرح غامرها".

تلعثمتُ في الكلام، وقُلت: الحمد لله على سلامتك يا وردة!

قُلتِ والخجلِ بادٍ على محياك: الله يسلمك.

واستمرَّ الصمتُ المهيِّب على منظرينا.. حتى طُرق الباب فكسر عود
حيرتنا، دخلتُ ربحانة، خافتُ من زيارتي المفاجئة. بدا عليها ملامح التوتر،
وقتها استأذنتكِ الخروج بعد دعاءٍ صادق يرجو لكِ الشفاء العاجل..

بعدها فكَّرتُ قليلاً! واستوعبتُ بأنني ارتكبتُ جريمة في مجتمع
عادتنا القديمة والمُقدَّسة، كيف سمحتُ لنفسي بزيارة فتاة تملؤها
الحسن والبهاء وحدي دونما محرم يصدِّقيد الحرام عنّا، المهمّ فقد
مضى الأمر على خيرٍ ما يرام، ولكيِّي لمْ أَعُدْ إدراجي بعد. فتماديتُ أكثر
من ذي قبل.

اقتنصتُ فرصة خروج شقيقتك المتوجسة ربحانة.. فدلفتُ مجدداً،
ومسكتُ يدك لأول مرة، وكانت القاضية لذلك الحياء المتردّد في علاقتنا،

في الحقيقة أردتُ تقبيل جبينك ولكن احمرارك المُوَجِّج أضفى الطمأنينة على حوارنا ومنظرنا المريب فتراجعنا.

هكذا كان حالنا بعدها أقبالك على خفاء دون أن يلاحظنا أحد، وبى حماسٍ شديد، وكأنّما أحاول الإيقاع بنجمٍ شارد.. ومع ذلك تشرّد بعد دقيقة من التأمل المبهج.



"كلّ الفتيات فتنة مرهونة بين قلوب الرجال.. يمشون في الفتنة يلبسون الفتنة.. جمالهنّ أعظم فتنة، كيف لا! وأوّل فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء".

"يقولون في الحبّ أنّ البُعد يقويها ويزيدها ثخانة ويمنحها فرصةً أعظم ليكتشف كلّ حبيبٍ شريكه على أكمل وجه".

عطشي كُنْتِ أنتِ يا مائي العذب ونهري وبحري وكلّ قواربي.. بنيتُ أحلاماً قبل الارتكاز بجوارك حيثُ أنتِ وأنا وطفلنا الذي لم يولد بعد.
بأوتار قلبي عزفتُ لك سمفونية هادئة، علّك تسترخين.. وتتأملين الجنون وتسمعين عزف القلوب.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كُنْتُ أَحْلَمُ بِكَ طَوَالَ السَّنَتَيْنِ الْمَاضِيَةِ سَمَّمْتُ الْإِحْتِفَازَ بِالسَّرِّ، وَفِي
السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ أَفْشَيْتُهَا لِمَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً، لَكِي يَشَاعُ بِأَنَّكَ لِي فَقْطُ.
طَرَحْتُ فِكْرَةَ الْخَفَاءِ وَفِكْرَةَ الْحِيَاءِ جَانِباً فَلَا حِيَاءَ فِي الْحَبِّ، أَعْلَنْتُ
عَنِ الْأَمْرِ قَلْتُ لِلْجَمِيعِ بِصَوْتِ الْوَائِقِ: أَحِبَّهَا يَا نَاسَ جِنَانِ مَلِكَةَ قَلْبِي
وَأَمِيرَةَ ثُرُوتِي.

لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ خِيَارَاتٍ أُخْرَى مُتَاحَةً أَمَامِي، لَذَا جَازَفْتُ بِالْحَقِيقَةِ،
حَتَّى أَمْتَكَّنَ مِنْ تَغْطِيَةِ سَبَلَاتِكِ الْعَفِيفَةِ عَنْ أَنْفُسِ الْبَشَرِ الْحَاسِدَةِ.

لَا مَنِي الْكَثِيرَ بَعْضُهُمْ حَسِداً وَبَعْضُهُمْ غِيظاً.

الْأَغْلَبِيَّةُ خَافُوا مِنْ اجْتِمَاعِي بِكَ، خَافُوا بِأَنْ أُخْطِفُكَ مِنْ بَرَائْتِهِمْ
الْحَادَةِ.. ارْتَعَدُوا كَوَحُوشٍ جَاهِزَةً لِلانْقِضَاضِ.. فَتَوَجَّهَتْ الْعَائِلَاتُ كَجَيْشٍ
مُدْجَجٍ بِالْأَسْلِحَةِ، يَرِيدُونَ اغْتِيَالَ حَقِّي الْأَوَّلِ وَالْأَخِيرِ.

أَعْجَبَنِي إِصْرَارُكَ فِي رَفْضِهِمُ الْوَاحِدَ تَلَوَّ الْأَخْرَ. كَمْ أَنْتِ دَرَامَاتِيكِيَّةٌ يَا
جِنَانِ.

- سَرَقَةُ الْفَتَيَاتِ فِي مَنْتَصَفِ الْحَبِّ كَانَتْ دَائِرَةً فِي مَجْتَمَعِنَا تَلُكُ.
وَكَأَنَّ لَدَيْهِمْ هَاجِسَ الْخَوْفِ بِأَنْ يَمْلِكَ غَيْرُهُمْ جَمَالاً يَغْنِيهِ فِي
حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ جَنَّةً وَدُنْيَا.

"لستُ أدري والله أكان فيها جاذبية نجم! أم جاذبية امرأة!".

تبوأْتُ في قلبي مقعداً.. وأقمتُ في قلبها كتمثالٍ عاري.

بعد تعبِ الدراسة انتهت أيام الملل بدأت الإجازة الصيفية والتي تطول في المملكة العربية السعودية لقرابة أربعة أشهر.. فالجميع ينتظرها ولا يكملون الشهر حتى يتهدون تهيده ملل وحسرة.

وفي أول أسابيعها تلبّدت السماء بغيومٍ كثيفة.. فأمطرت سحابها لأيام عدّة فما توقّفت حتى أزال عنا غدر الاكتئاب ورجفة التوتر.

"يُشعرك المطر بأنك خلقت من جديد. يجدّد تركيباتنا المزاجية المعقّدة تحوّلنا من أشباح لا تنتهي لشيء إلى بشر يحبّون الحياة بفطرتهم."

وما أجملك يا جنان كالمطر مُهمرة طوال العام فوق صدري.

"وما يزيد المطر أناقة وحلّة أوروبية سوى مدينتي العريقة، الطائف دلّوعة الغيم كما يلقيها من يقطنون بها.. مدينتي الضبابية بالرغم من أنني بعيدُ النسب وغريبُ الأصل إلا بأنني أنتهي لحصاها وجزوري مُنصهرة في أرضها المبلّل، وفيها روحي المنجبر جنان عمري".

بعد لقائنا الأخير، ربّما أطلت الغياب قليلاً يا دثاري المُرّم، حينها شعرتُ بعدم حضورك مجدداً، انتابتني نوبة سخرية على حظّي التعيس،

حسبتُ بأنني وُفِّقْتُ في اختيار رفيقةِ دربي، وإذ بكِ غادرتِ مُسرعةً دونما تنبيهٍ أو خيطٍ من دليل.

أرأيتِ كيف يلعبُ بي الشيطانُ بلا وجودك وبلا رؤيتك.

"كم يصبح الأمرُ شاقاً حينما تكون عاشقاً يَكُويك نارها ولا يَحْتويك سوى الاشتياق".

تمزَّقَ صبري فبدأتُ بكسر القيود ومحاولة الركود في مداك.. رحمتُ أتوه في غياهب الحبِّ كامرأة العزيز شغفتُ حباً ليوسف عليه السلام..
قُلْتُ لوالدتي سوف أموت صدّقيني سأموت لم أعد أتحمّل بعدها عني أريدها بقربي في بيتي وعلى فراشي.. أنتشلها من كهفها إلى جنة صدري.
رقّ قلب أمي بي فشعرتُ أنني أقول جنوناً قد يتحوّل إلى واقعٍ مُدمرٍ يدمرُ كواكبي لاحقاً.

في الصباح نهيتي والدتي بأن أصلي صلاة الاستخارة وأستشير، فلا خاب من استخار واستشار.

ذهبتُ أمي ورجعتُ بخيباتٍ مُثقلة.

- لا زالتُ طفلة والحياة نصيب فليجد وظيفة مناسبة وتكبر وقتها جنان قليلاً،

ويكتب الله ما يشاء. "هكذا خذلوا أمي".

أُصِبتُ بوعكة العشق فهان عليّ أمري وكأنّ طُرقي ومتهاتي أصبحتُ
رمادية، فأصِبتُ أخرج كثيراً من البيت.. أجوبُ الشوارع وأقف بزوايا
بيتها العتيق علّني ألمها فأخفّ وطأة الحنين إليها.

شيءٌ من الأسي عبرني، غيري سيغدر بها وسيسلّمها إلى شيخوختها
غير أبه بتساقط بتلات عمرها.. سيدبل جمالها الآثم ويبلغ ذروته حتى
الزوال. وتحملُ اسمه وتحبُّ منه في ساعة من ساعات الليل الفاسق.

" كيف للمجتمع بأن يتقدم ويزدهر وهم يدنّسون الحبّ بحكم
العادة؟".

كُنْتُ في كلّ يوم أشقّ على نفسي بقيام شيء يسير من الليل، من
الأساس لم يكن النوم سلطاني في قصر أجفاني آنذاك، كُنْتُ استيقظ
أنصاف الليالي أرفع أكفّ التضرع لربّ العباد، أن يحميك وأن يجمعنا
سبحانه تحت ظلّ عرشه، وبعد كلّ صلاة مكتوبة أزاول نفس الشيء.
بل وحتى أمام الكعبة الشريفة.. ألم يقولوا لقيس تعلق بأستار الكعبة
واطلب من الإله بأن يشفيك من عذابها وعشقها! فقال اللهم زدني بها
حُبّاً وبها كلفاً ولا تُنسني ذكرها أبداً.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كذلك دعائي لك يا عزيزتي، كُنتِ يا صغيرتي في أول دعائي وكُنتِ خاتمة دعائي.

رَبِّمَا كُنتِ الإثمُ الأثمُ في حياتك، ولكنني ظننتُ بك خيراً كُنتِ الشمسُ في ظلماتي كُنتِ الطريقُ في عثراتي. كُنتِ بهجة قلبي وأنيسة ضجري. كُنتِ فرصتي الوحيدة في زمنٍ قلّت فيه الفرص.

يقول إبراهيم الفقي رحمه الله: "لا تنتظر أن تسنح لك الفرصة الغير العادية، بل انتهر الفرص العادية واجعلها عظيمة." لم تكوني فرصةً عادية أو غير عادية، بل كُنتِ الفرصة الذهبية في رونق حظي التعيس، انتهرتُ الفرصة وجعلتُ منك إنسانة قلبي الأزلي والأبدي.

جعلتُ من اسمك فناً وتمثيلاً وصدى يتردد في مسامع كلِّ من أعرف. أأحيا وأموت في كنفك وأنا بتّ أصلاً جثة في قبرِ عشقك! "كُنتُ أوْمن منذ البداية بأنّ لكلِّ منا طريقاً مختلفاً يسلكه.. نسير فوق ترابه الغائر وزوايانا في أركانٍ مُختلفة".



"لربّما ينظرون إلينا أصحاب التاريخ الطويل بأننا لا زلنا أطفالاً نتعارك في لعبة الحبّ هذه، إلا بأننا كنا كحبّ هتلى للعظمة وبيتهوفن لنواته المبتكرة، الحبّ متجسّد في نطفنا ندفع ثمنها لاحقاً عندما نكبر وتطول الأيام بنا راكداً كنهج جار".

منْ أعظم عوامل هدم أية علاقة إنسانية عامة وثنائية خاصة: الاختلاف الجذري، الخيانة، المادية، عدم الأمن في العلاقة، الأنانية وتقديس المظاهر، والانخداع بالأشياء البعيدة البراقة..

ومن الأسس التي تُبنى بها العلاقة، المحبّة بإخلاص والصبر وحسن الظن مع التغافل تارة.

لَمْ أعتقد فيك يا صغيرتي بتلك النظريات المختبصة بتاتاً، كُنْتِ فيلسوفة دهري وعصري وأواني. فتلعثم أفلاطونيّتي بأفروديتك.

حبّك سرطني بدأت الأورام العشقية تمش ببقايا جسدي.. بدأت أسقط تدريجياً إلى عمق عمق عاطفتي.. كُنْتُ أشتاقك بكثرة، بدى غمام السواد يحوم حول عينيّ.

مَرَّاتٍ يَصِيبُنِي الْخَمُولُ وَالْكَسَلُ، يَرْتَهَلُ رُوحِي وَيَذُوبُ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
دَاخِلِي. أَرَدَدْتُ دَعَاءً يُرِيدُنِي شَبْهَ إِنْسَانٍ يَحَاوِلُ الْوَصُولَ إِلَيْكَ بِشَرِيعَةِ
الرَّحْمَنِ.

"يا الله أرحننا من ذنوب العشق. وأعد إلينا رشدنا. وامنحنا ما نريد،
إلهي: أسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيت به أجبت به أحببت ألا تجعل للحزن
مكاناً في قلوبنا، واجمعي بمن أحبب يا الله في الرغد الهني والعيش المرضي
وإن كانت لغيري وليس لي فيها خير فاصرف شرها عني يا أكرم الأكرمين،
وإن ضاقت بنا الأحوال يوماً وسَّعها لنا يا الله برحماتك العظيمة".

تَرَقَّبْتُ حَنِينَكَ الْمَشْرَدَ عَلَّهْ يَلْتَجَأُ لِمَلْجِي، كَأَثِيرِ كَوْنِي تَهْتَبُ فِي مَجْرَتِي.
أَرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكَ وَأَنْ أَسَلِّطَ عَلَى أَنْوَتِكَ الْفَاحِشَةَ.. بِالرَّغْمِ مِنْ صَغَرِ
سَنِّكَ أَذْهَلْتَ حُدُودَ عَفْتِي. عَتَمَتِي ذَاكِرَتِي الْمَشْوْهَةَ.

صَعُبَ الْأَمْرَ عَلَيَّ، أَصْبَحَ قَلْبِي يَأْنَسُ مِنَ الْحَنِينِ.. تَحَوَّلْتُ أَحْلَامِي إِلَى
رَوَايَاتٍ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَصْبَحْتُ أَحْلَمُ بِفَصْلِ مُخْتَلَفٍ تَكُونِينَ فِيهِ أَنْتِ
الْبَطْلَةُ وَأَنَا الْقَارِئُ.

اعوجَّ رُوحِي بِالتَّوَقُّعِ إِلَيْكَ.

يا ملهمة بعثرة جنوني، أرشديني أو قولي كما يقول المحبّون أحبّك،
ولو لم تكن نابعةً من قلبك، فأنا رجل لا أحبّ الانتظار.

هشيشُ أنا في مجال الانتظار عزيزتي.

عجولُ أنا في حضرتك يا آنسة، موجعُ هذا منك يا راضختي!

أريد أن أكشف ماهيتك وأن أغوص في عمق قلبك، وأن أعلم من أنا

بالنسبة لسموِّك! ولكن كيف! والوصول إليك محدود أو مُنعدم!

هممتُ بخاطري إليك وبكلِّ حواسي، عفويًّا قلتُ في نفسي "تعبتُ يا

أنا فمتي يا أنتِ تعينيني على النهوض؟".

أذكرُ يومها كيف أراحتني أُمي من تلك الخواطر التعيسة، أرسلتني

لداركم، ومعِي عسلٌ بريٌّ طازج حينها استقبلني شقيقك الوسيم ذو

الشارب البليد سالم، دعاني لارتشف معه رشفة شايٍ مُهدَّب للأذهان.

كان الشاي لذيذاً بلذّة جمالك، كيف لا وهي من صُنع يدك يا صديقة،

وما الشاي إلا طقسٌ من طقوس الراحة.. فمتى تكونين نعناعة قلبي وراحة

عمري يا جنان عمري!؟

قام سالم من مقعده فور تلقّيه اتّصلاً من أحد الأشخاص، حينها

وكأنك كنتِ على ضفّة النهر الهائج حتى تقهقر، فأتيتِ تسقينَ رغبتِي بك.

وإذ بك كحورٍ عين تأخذين بقايا الإبريق على عجل.. قُلْتِ بكلِّ خجلٍ

مفاجئٍ وبصوتٍ رخيم -أحبّك- هنا توقّف الزمن لحظةً وانفجرتِ العروق

داخلي، تمتمتُ لك بالرد ولكنتك كعادتك هربتِ مسرعة.. دوّختني يا
مُدوّختي!

جريئة كجُرْأةِ الفأسِ الهزيلِ وإصراره في قطع الشجرة.
ما لبثتُ إلا وأن صرتُ أعظم الرجال هيبة وسُطوة، كيوليوس قيصر
وحنبل القرطاجي.

وقتذاك بتُّ أرتب أمانِيّ، وأسطّر قواعد المستقبل في دفترتي الأصفر،
قطفتُ الورقة فعلقتهما على جدار غرفتي.. كيلا تنعدم الأحلام فنعود من
حيثُ بدأنا، نتسوّل الحبّ ضمن موت التفاهم وتربّص العادة فوق لمعة
العشاق.

تمدّدتُ فوق الأريكة الجلدية، أراجع مواعيد أُمي في المشفى، كانتُ
تعاني من مرض السكرّي ذلك المرض الهجين طعمه حلوّ وضرره ملعون..
فلا أتمنى يا عزيزتي أن تكوني كالسكر سماً أبيضاً تُرهلين قوّتي ذات يوم.
هطل عليّ إفاقة مُفاجئة وكأنّ القدر يأبى المكوث على حالة واحدة،
وجدتُ نفسي أفتّش عن صوتِ زافر يقبضني عن هذا الأرق.. أرقني حزنٌ
ما!

مكثتُ على الليل، أقلّب في نبضة الحزن هذه، أتى الجواب سريعاً

وكأنه يُريد مِنِّي أن أتقبَّل حقيقةً قاسية ستمرَّ مرور العواصف فوق
قُرَي الهادئة.

تَعِبَ والدك فجأةً كان قد اشتكى من ألمٍ في معدته أرقه في مضجعه،
توجَّه لأقرب مشفى وكانَّ الروح يأبى أن يصارع الجسد ويبقى منتصباً في
جهة الحياة الواهنة.

زُرته وهو في مثواه الأخير قال: أنا بخير وبحمد الله.

نظراته تلك كانت مُخيفة، فيها من الحزن الشديد الذي لا يعلم
بمآقها إلاَّ الكريم المنان، أتى المُنادي ينادي صبيحة يوم الجمعة بأنَّ
والدك المغوار قد وافته المنية وهو الآن في كنف العزيز الرحمن.

خارت قواي فجأةً، استرجعتُ "إنا لله وإنا إليه راجعون" فذكرتُ الله،
لم أصدِّق ما سمعتُ حتى رأيتُ تلك الجثة الهامدة طريحة الفراش على
سرير أبيض، وكانَّ الملائكة تزفُّه إلى الجنة.

نظرتُ إلى أشقائك نظرة حزين مُشفق.. كانوا كأعجازٍ نخلٍ خاوية "لم
يتحمَّلوا مرارة الفقد".

أصبح الحزن وديعتهم "كان بمثابة ركن الحياة المتين لهم" قال لي
سالم بصوتٍ كاد يخبو من شدَّة البكاء: أبي مات يا سلمان، مات بسبب
خطأ طبيّ فظيع.

هونتُ عليه الأمر، قلتُ معاولاً عليه الصمود "قضاء وقدر يا سالم
اصبر حماك الله اصبر والله المستعان".

ذَكَرْتُكَ مِنْ فوري وقلتُ في نفسي هؤلاء رجالٌ صُلب الظهر، سقطوا
حزناً وحسرة، فكيف بقارورة رقيقة مثلك يا جنان، كيف استقبلتِ خبر
الوفاة المؤلم؟

كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَعَلَّقاً بِوَالِدِكَ.. ودائماً ما كُنْتُ تَكَرِّرِينَ المثل،
كلّ فتاة بأبيها مُعجبة.

في تلك الأثناء أردتُ رؤيتك بشدّة، وأن أقف بجانبك في محنتك
العصيبة تلك.

دلفتُ واستشرفتُ برؤيتك، وإذ بك واقفة مُنتصبة أمام عتبة الباب..
قُلْتُ: السلام عليكم، رددتِ السلام..

- وعليكم السلام.

لم أعلم ماذا أقول، ارتبكتُ.

كُنْتُ أَتَوَقَّعُ فتاةً تبكي وتنوح لفراق أبيها ولكيَّ وجدتُ العكس.

قُلْتُ بتثاقل: عظم الله أجركم وغفر لميتكم، كيف حالك؟

- الحمد لله..

كان جواباً كافياً "الحمد لله حينما تُقال تختصر الكثير"..
رحتُ أتفحص أحوال عمتي. وكأنتها تحوم في عالم الأشباح، تحتسي
البكاء على روح فقيدها العابر، شاركتها أختك المُرهفة ريحانة بعنفٍ
ضاربةً فوق صدرها، لاعتنهُ حياةً تخلو من عطف الأبوة.
سَقَطَتِ العمة بهية فجأة بعد تمزيقها لملابسها قهراً واعتراضاً،
التفطنا بسرعة البرق أنا وخالي عاصم أمسكناها من أطرافها، أسرعنا بها
لأقرب مركز إسعاف يسعفون روحها المفجوع.
فجع الناس وانهار من انهار ومن بكى بحُرقة، الموت سيّد المصائب..
بينما كان البكاء يُغالب البشر كُنتِ في نوبة صمتٍ شديد، اختلط الخوف
والحزن في نفسي عليك، قُلْتُ وما بعد الصمت إلا الانهيار.
لكن الحمد لله انسحب التقرح من ملامحك شيئاً فشيئاً وظلّ
الغروب مُتأصلاً في أفقك يا وردة.
"يا الله كم كان شاقاً لقياك بعدها.. ما أبعدك الآن وما أشقّ الوصول
إليك!"

بعد الإبحار فوق بحر العزاء شعرتُ بغصّة قاسية فتمددتُ فوق
السجادة وأنظاري مُستفردة في السماء، وفي جفني مصنع دموع حارة.

قطعتُ المسير إليك شفعاً ووتراً، تردّدتُ كثيراً في البداية، ولكنني
استطعتُ بعد عناء، من قطع وتر التوتّر والقدوم.

رأيتُ في نظراتك آنذاك حزناً عميقاً، كما لاحظتها في مقلتيّ والدك
إبان توديعه للندى نفسُ النظرات المودّعة، نظراتك توحى بأنك مُتعبة من
ويلات المصيبة.. مُتعبة من كلّ شيء، ومُتعبة من كلّ البشر، وربما أنا من
هؤلاء البشر كذلك.

أحضرتُ لكِ معي كتابين إحداهما كتاب "لا تحزن" لمؤلفه عائض
القرني، والآخر كتاب "الروح" لابن القيم رحمه الله، لربّما حين تقرئيهما
تخفّف عنك آلام الرحيل القاسية.

فأنتِ كنتِ الفاتنة النهمة التوّاقة الدوّاقة للكتب والمجلات.

عندما وجدتكِ وكأنتِ كبرتِ حفنةً من العمر.. والكحلُّ يرثي بحاله
فوق وجنتيكِ اقشعرّ بدني من منظرِك المؤلم. وسلّمتُ أمرِك لله سبحانه.



في كلّ مرة عندما تتلاقى أنظارنا في خطِّ إدراكنا الغاشم، أراها كإشارات

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

وكأنتك تقولين في نفسك: ها أنذا قد أرخيتُ لك الزمام، فهل تفرّ مني!
وكأنّ جسدك الطاهر يحادثني برقة: تعال فكلّ الدنيا هنا وكلّ الأماكن
تنتهي هنا.

الحمد لله أنّ الشيطان لم يشوّه طهرنا بكيده البشع بعد.

كُنْتُ كَثِيرَةَ الضَّحْكِ وكَثِيرَةَ الثَّرَثَةِ؛ عَصَبِيَّتِكَ كَانَتْ تَلَانِمُكَ كَطِفْلَةٍ
أَخَذُوا مِنْهَا دَمِيئَهَا غَضَبًا.

وبعد لحظتين من زمنٍ مُظْلَمٍ، تَغَيَّرَتْ يَا جِنَانُ أَصْبَحْتَ أَكْبَرَ عَمْرًا مِمَّا
تَبْدِينُ عَلَيْهِ.

اِخْتَفَتْ كُلَّ مَلَامِحِ الطُّفُولَةِ مِنْ وَجْهِكَ الْبَرِيِّءِ.

بَادَرْتُ إِلَيْكَ كَثِيرًا أَحْسَسْتُ بِأَنَّكَ كَائِنٌ آخِرٌ، أَيْنَ تَلِكِ الْفَتَاةِ الْحَامِلَةِ؟
الْيَافِعَةُ؟ الَّتِي كَانَتْ تَتَطَّلَعُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِكُلِّ أَمْرٍ جَدِيدٍ!

قُلْتُ لَكَ يَوْمَ ذَلِكَ: أَنْتِ لَسْتَ جِنَانٌ الَّتِي قَضَيْتُ عَشْرَ أَيَّامِي مَعَهَا،
أَمَا زَالَ الْعِزَاءُ يَتَنَعَّمُ فِي يَفَاعِكَ، أَمْ بِسَبَبِ آخِرٍ لَا تَرِيدِينَ إِظْهَارَهَا لِأَحَدٍ؟
قُلْتِ: أَشْعُرُ بِأَنِّي عَالِقَةٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَبِأَنَّ يَدًا خَفِيَّةً تَخْنُقُنِي،
لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِلَذَّةِ الْحَيَاةِ، بَعْدَ فِرَاقِ الْغَالِي.

لو أنّهم يبيعون تعاويذ النسيان لابتعتُ لك واحدة أعينها عليك
حتى يتسنى لي رؤية القمر ساطعاً كما كان.

في كلّ زياراتي اللاحقة لم أشعر فيها بحقيقة مشاعرك تجاهي ازدلفتُ
في تفاصيلي أفتش عن قشّة أملٍ في كومة من تراب مُلوّث.
هل أنا بي مسّ منك، أم أنني أصبحتُ مجنوناً لدرجة أنني لم أعد
أميّزك؟

لم أعد أثق بحبّك لي يا جنان أصبحتِ امرأةً بيروقراطية، ولو أنكرتِ
ذلك.

وقتها لم أكن لأرفع الراية البيضاء بعد! لا زلتُ صامداً، أقف على
أقدامي الهزيلتين بكلّ ثقة.

أريد أن أدرك معك المسير، وأن أهفّ بقايا الحنين من على أرضفتك،
أريد أن أتمّ ما بدأتُ به ولو كان لزاماً عليّ أن أدفع ثمن حبّي لك لدفعتها،
سأقاوم حتى آخر نفسٍ يجوب في صدري!

أنتِ يا فتاة رغيف عمري، لن يمسنّي مكروه بوجودك. حبّنا طفل لم
يكبر بعد وأتمناه طفلاً في أحضاننا فلا يكبر ويعقنا "ياه ما أجمل الحبّ،
حين يبقى طفلاً بين الأحياء!".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أشعر بالأمان معك أشعر بأنَّ أثقال الحياة لا تنزاح عن صدري إلا
بطلَّتْكَ المُنْعِشَةُ يا قناعي الكثيف.

كم كان حبنا ممقوتاً، تظهرين مفاتنك بكلِّ عظمة عندما نكون
لوحدها وكأنَّكَ توحين لي بأنك الأجمل في عريضة النسونجية.

كنتِ تترملين بخمارٍ بسيط عند إطلال العمة فقط بعد اختفائها
ترمي الشقيّة خمارها، كم أردتُ الانقضاض فوقك كرجلٍ متخبّط يبحث
عن حنان امرأة تمثّل مصيبةً على الجمال.

وبعد أيامي الجميلة أصبح الزيف يدمر العلاقة... ابتسامتك قد
تقرّح وتكسر.. مُدُننا اندثرت تحت مُنتهى اللامبالاة.

لم يكن خاطري طيباً وعقلي باتَ يجري في الأوهام، هل وفاة شخص
عزيز بالنسبة لك وفاة لشخصٍ آخر أيضاً! هل الموت يقضي بأرواح اثنين
معاً؟

لا أعلم الحاصل ولكن المحصول قد يتبين.

اعلمي يا حبيبتي الحياة مستمرة لا تقف على رحيل أحد، ففي نهاية
السكّة فراق وجوبي يتوجّع منها صدورنا أكثر مما نتصور، والصبر عند
الصدمة الأولى.

أعلم بأنّ الظروف أحلكت لي ليلكم، ونال اليُتم من منكبكم شيئاً
فشيئاً، كم أردتُ وقتها أن أكون المُنقذ أن أكون البطل المرجو الذي
يُخرجكم من تعاستكم تلك.

لا بد وأنّ اليُتم قاسٍ حتى يأمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بمسح
رؤوسهم.. أريد أن أمسح فوق رأسك أن ألمس بيدي قلبك لتحلّ عليك
الاطمئنان.

هممت إليّ آخر مرة باكية ومعقراً وجهك بالقلق والاستياء ترجّلت من
إدراكي مسكتُ بيديك أسألك ماذا دهاك!

قلّت بتنهيدة ألم كألم الشهيد، انتهى، الآن صعب، صعب جداً.
لم أستطع إخراج كلمة واحدة من فاهك المصبوغ بالصخر آنذاك،
أقفلت الباب في وجهي بقوة خانقة وكأنّ ملائكة السماء نزلت إليك
وأمرتك بالاحتجاب عني. أصبحت لا أراك، لا أرى سوى عباءة غامقة
اللون، ماذا حدث فجأة؟ عشتُ الدهول وعشتُ الصدمة!؟ بعد صراعٍ
مع نفسي أجبرتُ روحك على إخراج كلمة الصدق من فمك.

"أصبح الكذب فناً أصيلاً في علاقتنا التالية".

سألتُ بأدب وأجبت باقتضاب. ماذا جرى يا أديبة لساني!؟ ما الذي
طراً في كتاب حبك حتى غيرت الكلمات واستبدلت الحروف هكذا؟

- اذهب بعيداً..

تفارقم الوضع وأصبح الجوّ بارداً بعد أن حلّ الإسلام عليك فجأة، لا أقولها بسخرية إنّما استغرابٌ حائر في كوكبة عقلي!
سَلَّمْتُ نفسي لأصنام الخيال، كُنْتُ أنطفئ رويداً رويداً ولا مزيد من السعي في رضاك.

انتظر فقط كعادتي، أصبح الانتظار الدّ أعدائي وأشجع أصدقائي.
حينها باتت كلّ محاولات التقرب منك تآبى الخضوع، كلّ المحاولات فشلت بعنادك الأثم.

سكبت نفسي في كأس الهَمِّ العتيد مجدّداً، وارتقتُ أمر الله الثاقب،
فالقدر كُتب ومالنا غيرُ الحصى في الجيوب.

"لم أعد كما أنا نفسي الاعتيادية، وكأنني لستُ قوياً بما يكفي لأتحرر من نتوءاتك، هذا المشوش كشاشة تلفاز قديمة لا يشبهني أبداً. يا لعمر الأسمى الذي لا ينتهي، لم يعانقني الفرح بعدك. حتى ملامحي تغيّرت. تتألّم من الحزن المعمر داخلي.."

"لا يزال المرء في أوهامه حتى يرحل."

سبقني خالي عبد الله بريحانة أختك وتوأم روحك كما كُنْتَ تَدْعِين!
خطفها حين غفلةٍ عن الجميع!

تمنيتُ من الله بأن يسعدهم في حياتهم واجتماعهم، كانت ريحانة
تعانق الحبّ مثلي.. أحببت عبد الله من أعماق قلبها تكلمت وأظهرت
نواياها بكلّ قوة وثقة.

كانت ريحانة قوية في مشاعرها، تدكّ الخطيب من فوق المنبر.. فيما
إذا أثقل لسانها أمرٌ ما، تفسّ في وجهك كهراً غاضب.

عبد الله الذي نال منه العشق سابقاً راح ضحيةً وقرباناً لفتاة ألمّ
بها وخضع لها عشقاً.. كانت مواطنة سعودية وهو أجنبي من بلاد بعيدة..
عندما قابلها مرة في إحدى المقاهي فوجئ بأن شقيق الفتاة كان يتبعها
فدار بينهما نقاشٌ حاد مما اضطرّه إلى ضربه في وسط وجهه فدمر أنف
المسكين.

أمسكت به السلطات بعد ساعتين من ضربه له وهروبه من الموقع،
دحروا به إلى حيث يقطن القتلة والمجرمين.. حتى الحبّ أصبح جُرمًا في
الآونة الأخيرة.

عندما انتهت محكوميته أراد خوض التجربة مجدداً، هكذا كان

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الحبّ لديه، عبارة عن تجربة تلو الآخر دونما استسلام يثني عزمه.. يا ليت لي من عزمه القليل وقوة إيمانه وصبره.

كان من عادة والدتك الستُ بهية ألا تُقيم حفل الزفاف حالاً.. قبلها يجب تقنين العادات وإظهارها للعامّة فكانت تستوجب خاطبي بناتها بحفل الخطوبة حفل ما قبل الزواج.

لم يُعارض خالي عبد الله الأمر آنذاك وقام بالمطلوب. فأقام الحفل في بيت جدي. البيت الذي لا أنفك أن أفارقه منذ الصغر.

عندما ذهبَ الجمع الغفير من النساء العفيفات أتيتُ مستثقلًا يُعييني التعب.

عندما دلفتُ للداخل: ارتجفتُ من المنظر دونما إرادة مّي.. كانت جنان تقف بقرب الباب، يا الله ما أجملها يا بشر كم هي فاتنة فتنتني بعدوبتها المارقة، كانتُ تلبس أرقى الثياب ومزركشة بمساحيق كالزهر الأصفر.. قُلتها وبكلّ صدق مفتخرًا "كم أنتِ فاتنة وجميلة".

هاجمها الغرور فالتفتُ عني بتكبرٍ فغطّت نفسها بطرحتها الواهنة ثم دلفتُ للداخل.

آخ يا رب ألهمني الصبر "قُلتها بنبرة تعجّ بالقهر".

ليلتها ذهبْتُ إلى سريري فغفوتُ ودمعي لازال يتسوّل فوق أجفاني..
استيقظتُ فجراً وإذ بابن جدي خالي عبد الله في وجهي يستنشق حزني
بنظراته الهادمة.

راح يحاول فتح حديثٍ معي قال لي بعد عناء، سأقول لك أمراً مؤملاً
ولكن رجائي منك أن تتحمّل، قلتُ ارتعدُ ضجراً وهل بقي في الدنيا شيء
حتى نتحمّله!؟

- عزيزي يا ابن أختي الغالي اتصلتِ الستُ بهية بالأمس سراً على هاتف
أخي عاصم، وقالتُ ارفعوا المرساة وابتحروا نحو جيد جنان البتول... فأنا
لا أريدها بحّارة في سفينة رجلٍ آخر فتُفارق شقيقتها العزيزة ريحانة..
أريد لهما الاجتماع في ذات البيت وذات العائلة. فشقيقُ جنان البكر يُريدُ
تزويجها غصباً بصديقي له، رجلٌ أقلّ ما سأقول عنه بأنّه نكرة رُغم ثروته
المبسّوطة.

حينما سمعتُ ذلك احترقتُ وتدمّرت كلياً، تمنيتُ ألمَ أُخلق في هذه
الحياة البائسة، تمنيتُ لو أنّ الأرض تنقسم وتبلغني.

دحاني ثقل أقدامي كسجينٍ مُدعك بسلاسل وأقفال.. يمشي بتجاهل
حتى يُرفرف العصا فوق ظهره.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

لَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا السُّوءِ قَبْلًا، أَلَا تَعْلَمُ عَمَتِي بِهَيْبَةِ بَأْنِي أَعَشِقُ ابْنَتَهَا حَدَّ
الْجَنُونِ، حَدَّ الْمَوْتِ.

لَمْ تُبَالِي وَلَمْ تُفَكِّرْ بِتَاتَا، أَحَقًّا يَوْجَدُ بَشَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْمِلُونَ فِي
صُدُورِهِمْ قُلُوبًا كَهَذَا!

أَهَذَا مَا يَسْمُونَهُ بِكَيْدِ الْمَرَأَةِ. أَهْوُ كَيْدٌ أَمْ حَقْدٌ؟! فَعَلًّا أَنَا مَمْتَنٌ لَكَ يَا
عَمَتِي فَلَقَدْ ضَعُفْتُ فِي سَرْدَابِ الْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ بَعْدَ ابْنَتِكَ الْغَافِلَةِ.

تَمَنَيْتُ لِحُظَّتِهَا أَنْ أَكُونَ شَيْئًا آخَرَ! لَا تَسْأَلُونِي مَا ذَاكَ الشَّيْءُ! إِنَّمَا أَيْ
شَيْءٍ وَأَيِّ مَخْلُوقٍ غَيْرِ أَنْ أَكُونَ إِنْسَانًا.

فَشَلُّ ذَلِيلٍ بِالرَّغْمِ مِنَ الْحَبِّ الَّذِي أَكَادُ أَجْزَمُ أَنَّهُ بَاقٍ يَطُوفُ فِي
حَدِيقَتِنَا الْمُلْتَهَبَةِ.

وَكَأَنَّي طِفْلٌ يَشْهَقُ، عَلَى مَرَأَى مِنْ خَالِي كَدْتُ أَسْقِطُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ..
وَلَكِنِّي بِكِبْرِيَاءِ رَجُلٍ وَقَفْتُ وَأَكْمَلْتُ طَرِيقِي.

"عِنْدَمَا يَوْجَدُ الْحَبَّ الْحَقِيقِي يَمُوتُ الْعِشَاقُ الْحَقِيقِيُونَ، وَعِنْدَمَا
يُوجَدُ الْأَمَانُ يَنْعَدِمُ الضَّمِيرُ، وَعِنْدَمَا وُجِدَ الْخَيْرُ كَثُرَ الشَّرُّ.. هَكَذَا هِيَ
الْمُعَادَلَةُ فَلَا تَظُنْ أَنَّ الَّذِي يَضْحَكُ لَكَ كَثِيرًا يَتَمَنَّى لَكَ الْخَيْرَ، لَا تَتَّقِ بِأَحَدٍ
كَثِيرًا، كُنْ حَذِرًا فِي تَعَامَلَاتِكَ وَعِلَاقَاتِكَ، وَلَا تُخْبِرْ سِرًّا لِأَحَدٍ وَلَا تَفْتَحْ

رحاب صدرك فيدخلها اللئيمون، كُنْ وسطاً بين الناس لا عدواً ولا محبباً،
احذر ألف مرة من الذي يبتسم لك أمام وجهك وكُنْ شاكراً لمن يأتبك
ويعاتبك.. صبراً فهم أكبر الخاسرين في هذه المؤامرة.. خالتك".

تلك كانت كلماتُ خالتي الكبيرة والتي كسرتُ من خلالها عنقايد
اليأس داخلي، وأزالتِ الحزن عن كاهلي كعاصفة جليدية فوق أرضٍ
محتركة.

سَلَّمْتُ أمري لله وقلتُ لعلَّ خالي عاصم يتفهّم موقفي ويرفض رفضاً
قاطعاً.. وقتها أتى راكضاً إلى أمي كفارسٍ على جوادٍ أصهب.

- أختي "الستُ بهية كما تعلمين طلبتُ منِّي أن أحتضن ابنتهم في
حضن رعايتي وأمي. فهي لا تريد ذلك الرجل الذي يقرع باهم كلَّ
يوم كوحش نهم ينتظر الافتراس".

رفضتُ أمي مؤنباً إياه.

- ولكن يا أختي الرجل الذي سيسرقها لاحقاً لا يناسبها بتاتاً،
معروفٌ عنه بأنه فتى صعلوك صاحب سوابق إجرامية!

عندها أعلمتني والدتي بمجرى حديثهما، انتابني شعورٌ مؤلم، كيف

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

يفكرُ البشرُ في زمننا هذه؟ ذهبْتُ وفي نفسي حديثٌ ثقيلٌ.. استعدتُ بالله
من وساوس الشيطان الرجيم.

قُلْتُ له باقتضاب يا ابن جدي: لو ذهبْتَ ولمْهتَ للاجتماعِ بها فأقسم
بربِّ الكونِ أني سوف أكون سَمّاً في حياتك.. أوْكد لك بأنني سوف أكون
عدوَّك اللدود.

"أشدَّ سجون الحياة حلْكَةً وعممة أملٌ كاذب يسجن المتأمل نفسه
فيه، لا هو يستطيع تركها. ولا هو قادر في تحقيقها، مستنزفاً طاقته
ممتداً بشقائه يتألم ولا يتألم وكأنه في نهايته وهو في بداياته".



أَسْرُحُ كَثِيرًا حِينَمَا يُذَكَّرُ اسْمُكَ، أَفَكَّرَ مَلِيًّا هَلْ تَلِكُ الَّتِي مَلَكْتُ قَلْبِي
يَوْمًا مَوْجُودَةٌ حَقًّا؟ بَتَّ أَشْكُ حَتَّى فِي وَجُودِكَ، وَعَنْ كُنْهِكَ وَحَقِيقَتِكَ؟
وَعَنْ مَا هَيْتِكَ!؟

لِمَاذَا!؟ لَا أَعْلَمُ؟ فَحَتَّى الْآنَ لَا أَعْلَمُ سَبَبَ هَذِهِ الْمَجْزَرَةِ بِحَقِّي!
أَمْتَلَأُ قَلْبِي بِحَقْدٍ غَزِيرٍ، قَمْتُ وَتَوَضَّأْتُ فَاسْتَقْبَلْتُ الْقِبْلَةَ وَفِي سَجُودِي
أَرْسَلْتُ اسْتِنْجَادِي بِرَبِّ كَرِيمٍ عَظِيمٍ، أَخْبَرْتَهُ بِأَنِّي مَظْلُومٌ فَانْتَصِرْ.
شَكْوَتِكَ إِلَى اللَّهِ وَبِكَلِّ جَوَارِحِي. "إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" أَلَمْ
الْقَلْبَ حِينَمَا يَتَفَطَّرُ أَشَدَّ مِنْ أَلْمِ الْوَلَادَةِ، أَظَنَّ بِأَنَّ أَلْمَ الْمَوْتِ يَشْبَهُ هَذَا
الْأَلْمِ!

كَيْفَ لِي بِأَنْ أَتَصَوَّرَ قَرِيبًا لِي يَجْعَلُنِي هَامِشًا وَيُرِيدُ مِنْ كَانَتْ سَبَبَ
حَيَاتِي حَيَاةً لَهُ؟ كَيْفَ لِي أَنْ أَتَصَوَّرَ أَنَّكَ سَتَنْجِبُنِي مِنْ غَيْرِي أَطْفَالًا؟
أَلَمْ تَعِيَ أَنَّكَ ظَالِمَةٌ يَا جَنَّانُ؟ أَمَا خِفْتِ مِنْ عِقَابِ الرَّحْمَنِ؟ كَيْفَ لَكَ إِلَّا
تَحَارِبِي مِنْ أَجْلِي كَيْفَ اسْتَسَلِمْتِ لَوْهَمِ الْبَرِّ بِأَمْرِكَ عَلَى حَسَابِ رُوحِي؟
مَا اكْتَفَيْتُمْ بِذَلِكَ!

حتى أتى شقيقك سالم لوكرنا المهّمس يوم الأربعاء ذلك اليوم المشؤوم
الذي لم ولن أنساه مطلقاً وقال بكلّ وقاحة: أنتم مدعوون لحفلة خطوبة
أختي جنان برجل من الشارع- في نفسي- واسمه مازن.

خارت أحلامي على أريكةٍ رثّة.

فقدتُ نفسي آنذاك، لم أعد أشعر بثقل جسمي عليّ، أُصبتُ بكسرٍ
وصدعٍ عظيمين في قلبي.

كلّ شيء كان قاسياً مريعاً وجافاً لأبعد الحدود حتى نفسي بدالي وكأنّه
يريد قتلي وكسر عنقي.

خرجتُ مُسرعاً حابساً أنفاسي حتى جلستُ بقرب الوادي الذي
سال ذاك اليوم جراء المطر الغزير المنهمر فوق أرضنا.. اختلطتُ دموعي
بمياها الراكدة، وصوتي الذي زاد أنيناً ثم بدأ يخبو رويداً رويداً مُمتزجاً
بصوت الرعد ونقير المطر الهادئ.

قطعتُ علاقتي بهم تماماً، لم أعد أعرفهم بل وكرهتُ قدومهم
وعزائهم وولائمهم.

كانوا يجرون الخُطى مُتثاقلين بغرور النمرود وعصيان فرعون..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الستُ بهية دائماً كانت تُردد في مسامع الناس أنّها لم تُخطئ في حقي، بل
أنا كُنت المُخطئ في نظرها.

اعتذر منكم أعلم بأنّ قلبي أخطأ الاختيار فدفع الروح ثمناً لاختياراته
الخاطئة.

إلى يوم الناس هذا لا أعلم سبب إذلالك لي بتلك الطريقة، ولكيّ
أعلم بأنّ ما عند الله خير وأبقى، فالرياح لا تجري بما تشتهي السفن.
أيُّ عدلٍ أن تلمسك حياتي لمسة أب حنون فوق رأس ابنته وتقذِفني
أنتِ قذِف الحصى بيدٍ جريء نحو فضاءٍ مجهول!

أكان حريّتكِ في استعبادي!؟

ما أتعس من تبكيه الحياة على شهقة لن تعود أدراجها!
أصابني السكون والهدوء فطفقتُ أحرق كلّ ذكرياتي وكتاباتي وأوراق
المبعثرة.

تلك التي كانت فيها حكاياتي.. لم يعد هناك شيء مميز لم يعد هناك
شيء لأخسره.



تقول نازك الملائكة: "في غموض الحياة نسرب كالأشباح بين البكاء
والآهات، كلّ يوم طفل جديد وميت، ودموع تبكي على المؤاساة".
بينما أقول أنا، في غموض مشاعرك قد تُهت، وكأنّ روعي كشبح
تسرّب من بين عظامي، وبكائي وآهاتي، باتت أنفاسي عقيمة تجاهك يا
غريبة..

كُنْتُ كالطفل بين أحضان أموميّتك وعزّاك حين فقدك..
قالوا لي يا فقيدتي: كفاك هدراً للوقت، كفاك جنوناً ولهثاً وراء أكفان
الجُثث..

قُلْتُ لهم: لو كان كلّ وقتي لجنان لكان ذلك من أجود الأمانى المُحققة.
ولو كان حبّنا كفنّاً لأصبحتُ له جثة ومغسلاً وحقّاراً.
سبحان من فطر البشر على الحبّ، ونفخ الأرواح ليستأنس بعضنا
ببعض.

أصابني مرض العشق المدمّر فأصبحتُ كائناً معطوباً من الداخل،
وليس لدى أطباء العالم دواء لهذا الداء المنهك للروح قبل البدن.
اللهم لا تؤاخذنا فيما لا نملك، أصبحتِ الهواجس والكوابيس

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

والذكريات الجميلة مُفردات أساسية في جملة حياتي بعدك، أنام على أعين لا تُبصر سواك..

انقطعتُ شهية الأكل لدي لشهرٍ كاملٍ كنت كمحتضرٍ حي ينام ويستيقظ لينام في عزلته البعيدة عن العالم مجدداً.. كمخلوقٍ بلا روح يُبصر الحياة لتوّه.

أردتُ أن أمحو وجودها السابق عن حياتي، عن مذكراتي، أحاول مسح صورة طيفك المُتقلّب معي فوق سريري.. حاولتُ أن أنهي كلَّ أملٍ بك لكنني لم أقدر على ذلك.. أصبحتُ عالقاً في دنسك وطهرك.

وقتها أصبحتُ أسلي نفسي بقصص الفراق وقصص الأولين السابقين ممّن نال منهم هذا الفتك المُرعب، كابن زيدون بديار الأندلس وغيره، وحين خطفة مررتُ بقصيدة لشاعر المرأة والغزل نزار القباني يقول فيها:

"أخبرني بالله عليك إلى متى؟؟ هذا الصّبر وهذا الجلد والتّحمل، إلى متى هذا السّهر والتّأمل؟ إلى متى هذه المعاناة والتذلّل؟ كفّ عن هذا كفّ، فأكره كما كُرهت، واهجر كما هُجرت، وعدّب كما عدّبت، واطلم كما ظلّمت، واجرح كما جُرحت. فلقد عانيتُ كثيراً وصبرتُ كثيراً وكثيراً على حبيبٍ لا يعرف للحبّ معنى. أما أن لك يا قلبي أن توقف كلَّ هذا فبالله عليك يا قلبي كفّ عن هذا."

آه يا نزار كيف لي أن أكره وأنا الذي أحببت، كيف لي أن أهجر وأنا
المُشتاق، كيف لي أن أعذب وأنا القرير! صبراً يا نفسي صبراً، فما ذاك
على الله ببعيد، فالله وحده يتابع مجزرتنا بعدالة يا جنان، فكفّي العبث،
كفّي عن المشاغبة على قلبي..

قبل النوم دائماً أتذكّر وأضحك هكذا في الفراغ، يراقبونني إخوتي
بتوجّس ينادون بأعلى صوتهم "ولديك يا أمي قد أصابه الجنون". ماذا
أتذكّر؟ أتذكر قصص أيامنا العذبة تلك.

كانتُ لذيذة تلك اللحظات الخالدة. ليتك لمْ تفعلي، ليتك رفضتي،
ليتك اعترفتِ بقوّتك بدل الاعتراف بهزيمتي.

هلْ يمكن الشعور باليُتم مع وجود الأب والأم؟ نعم حينما نفقِد منْ
كان يوماً طاحونة ذكرياتنا.

حاولتُ ملمةً نفسي، وأنْ أعيش بلا ماضٍ قديم.. وددتُ لو أعيش
قصةً جديدة أردتُ مَلاً غيركِ بي.. فلم أعلم سبيلاً.. غير سبيلنا يُرشدني
إليك.

تقول أحلام مستغاني: "كثيرٌ منَ العشاق يظنّون بأنهم يعيشون
قصة حبّ في الواقع هم يعيشون وهم الحبّ".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

صدقتِ يا أحلام، ولكن في نفسي عتبٌ عليكِ. أو لستِ أنتِ منْ
تدافعين عن حقِّ المرأة العاشقة المضطَّهدة منْ قبل الرجال! ما تعليقكِ
حول أمري، حول جنان عمري! يا ليتك تسمعي ما في قلبي منْ صراخٍ
يصرُخُ صراخاً.

صرتِ آلة خراب يا جنان تروي حقول حياتي بالنار، فتفتتق معاني
الحبِّ عنها. أصبح شاطئي سبخاً لا تكاد تُنبت حياة.

نصحتني جدي أن أقرأ القرآن فهو العلاج الشافي لجميع الأسقام..
علّه يخفف عنك مآسيك، أصبحتُ أتردد إليه بين الحين والآخر.. كان له
فاعلية عظيمة أصبحتُ أقاوم، وأحاول النجاة منْ مآزق الشيطان هذه،
منْ فراغك المدشّن في أعماقي.

احتجتُ لأنْ أثار لقلبي، لكرامتي، لرجوليّتي. فكّرت بالانتحار كثيراً
فكلّما فكّرتُ بالأمر أتاني منْ يُخرجني منها كدتُ ارتكبُ جريمة بحقّ نفسي
لأجل غريزة إنسانية تحوّل لقاتل نهم.. كان الرهان عليك صعباً خرجتُ
منكٍ ودخلتُ إليكِ خاسراً منذ البداية وحتى النهاية.

أه غادر معها نصفي اضطراراً.. والنصف الآخر كان قد تنازل اختياراً،
لم يبق لي إلا رياحُ سارب يشبه روحاً سائبة يومض كالسراب في الفراغ..

انغلقتُ على نفسي كُنْتُ مُتَوَسِّمًا بحالة اكتئاب شديدة.. أقبلتُ نحو
الطبيب النفسي لعلّ لديه ما يُطفئُ جمرة قلبي.. حضرتُ الجلسة الأولى..
بدأ يتأملني بنظرة المُستكشف.

سألني: ما مُشكلتك!

قُلْتُ: مشكلتي هي جنان.

- من هي جنان!؟

- جنان.. تلك الأعجوبة السماوية!

- وما بها جنان؟

- ليس بها بل بي أنا حضرة الطبيب؟

- إذا ما بك؟

- أنا مثقوب!

- كيف؟

- هي ثقتني وجعاً!

- أفهم من حديثك بأنك تعاني من مرض العشق!

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

- نعم فأنا كما قلت! عشقتها بكل ما فيها بكل درنها وشقائها وبكل حسراتها وجولاتها وبكل جوارحها وسوداويتها!
- هل أجد عندك ما يجعلني أعيش!
- وهل أنت مفارق للحياة، حتى أجعلك تعيش؟
- نعم، نعم هل لك أن تسمع نبضات قلبي بجهازك، ستسمع أنيناً وصراخاً عنيفاً!
- فهمت! فم وقف فوق الميزان.
- كم كان وزنك سابقاً!
- لا أذكر!
- عيبٌ عليك هل تستحقّ منك كلّ هذا العناء؟ أنت أصبحت باهتاً عظماً مُتهالكاً!
- ماذا أفعل؟ كانت فتنة تمثي فوق الأرض!
- أنت تُعاني من ويلات الفقد ممّا سبب لك اكتئاباً حاداً.
- خذ هذه الوصفة العلاجية ولا تستخدمها بعُنف فتغرق أكثر.
- تكلمّ معي! تكلمّ معي وكأنني دلو ترمي في بطنها ما يؤرّقك!؟
- حسناً.. أتعلم كانت تُعاني من فوبيا الأماكن المرتفعة، تخشى السرعة ولكنها تحبّ السيارات الألمانية، تخاف الوحدة ولكنها

وحيدة، بالرغم مما بها من عطب كانت تبتسم باستمرار ومزات
تضحك بشكل هستيري، تذكرت كانت تحب الموسيقى الكلاسيكية
وتسمع كثيراً لفيروز! تحب المسلسلات الكورية، أتعلم من شدة
تعلقها بثقافتهم أصبحت تحترف اللغة الكورية نطقاً وكتابة.

- ولكنها تحب والدتها أكثر لفرط حبها لها هنت عليها فتركتني!
- أتى الغريب من الشارع فقام بخطفها هكذا وبكل بساطة، هو لم
يلمسها لم يرها وهي تطرد في الدجاج والصوص! وتهش على الغنم!
- دكتور هل شعرت يوماً برغبتك في استئصال القلب والمضي قدماً
بدونه؟ أنا أريد ذلك.

- لا بد وأنها كانت تعني لك الكثير فاختنقت بها حدّ الالتواء! كُن
على يقين بأنّ العوض جميل. فما كتب الله لك خير وأبقى مما
تمنيت، ثق بالله وجاهد نفسك.. احرق كل شيء عنها، احرق
ذكارها وقلل من تذكّر الماضي! لعلها تهون يا صديقي لعلها تهون.

بعد ذلك أصبح الطبيب مستشاري النفسي الأول والأخير.

كان الأمر كخطأ مطبعي، تجاهلت الأمر تحاملت فوق نفسي،
ومسكت روجي مطبباً جراحه.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

ما أصابني الشفاء حتى مرّ قني الدهشة.. سمعتُ بأن شقاً من عائلتي
حضرُوا زيف حفلة خطوبتك وشاهدوا التمثيلية البرّاقة المجرّدة بتربيل
وهنك وضعفك.. جدتي وخالتي كانوا قد حضرُوا حفلة الخطوبة.. رحّت
أعاتيم خاطبتهم بلهجة المغلوب على أمره..

- يقتلونني وأنتم بطيش تذهبون لترقصوا على جُثتي أوليس لي قدرٌ
عندكم!

- قالوا من باب صلة الرحم والواجب يا ولدي..

ذيلتُ خالتي قولها بأنك كُنتِ تعيسة جداً وجميلة جداً، كم هو
محظوظ ذاك الرجل الأصهب بأن شاهد إحدى عجائب الدنيا الثمان
شاهد كليوباترا على حقيقتها وبزينتها، لم أفكر بتعاستك بقدر ما فكّرت
كيف زينوها، وماذا ألبسوها؟

فهمتُ حينها بأنك كُنتِ مُجبرة على اتخاذ القرار. مع هذا لم أسامحك
ولم أبدي أية استجابة لك ولضعفك الأنثوي.. كانت الشائعات تحلق
حولي بأنك إرضاءً لوالدتك فعلتِ ما فعلتِ، وهل رضى الوالدين مقدّم
في كلّ شيء يا جنان، أليس من الحمافة إرضاء طرف ورجم الآخر؟ وكأني
كُنتِ شيطاناً رجيماً في حياتك فتعوّذتِ مني بجرأتك المنكرة تلك.

لوهلة ظننتُ بأنَّ الأمرَ كلُّه مجردُ لعبةٍ مجردةٍ مؤامرةٍ ضدي! فقلتُ
لأمي صدِّقيني لن تطولَ العلاقةُ كثيراً!
تنحنحتُ أُمي وقالتُ ربّما، ولكن كيف تفسّر تلكَ المجوهرات والحُلِيَّ
على نحرها! أوه صحيح وذلك التغنّجُ والدلعُ أمام الكلِّ بأنَّ حبيبها "مازن"
اشترى لها جوالاً وكمبيوتراً وحدث ولا حرج.
تحطّمتُ وتبعثرتُ لأشلاء قطع.

صدقتي يا أُمي لا بدّ وأنّ سرايها يحوم حول عقلي ممّا أصابني
بالخرف.. ولا بدّ بأنّ الإدراك بدأ لدي بالتردّي.
لم أكن متسولاً قبلك.. لا أعلم لماذا شرعتُ بهيةً والدتك بتلك
المبادرات الحنظلية! ألم أكن كافياً كفاية؟ هل كان بي نقص؟ أم لستُ
جميلاً كفاية لابنتك الثروة؟ أم أنّ ظروفنا الاقتصادية كانت سبباً تصيِّغ
في ذهنك يا عمّة؟



قرأتُ مقولةً يا رُوحِي تلبّسني الغُبنُ بعده وشعرتُ بأنني أكبرُ مغفّلٍ في
التاريخ.

تقول المقولة: "لا تحبّوا بعمق حتى تتأكد بأن الطرف الآخر يحبّك
بنفس العمق، فعمق حبّك اليوم هو عمق جرحك غدًا".

عندما سألوكِ عَيِّي: قُلْتِ وبِكلِّ بجاحةٍ كانتِ نزوة طفولة.
بينما كُنْتُ أنظرُ إليكِ مُتفاخراً وكأَنَّكِ كلُّ انتصاراتي.. هل قُلْتِ نزوة؟
كم أمقتُ بشاعة موقفك! دخول القلب ليس كالخروج منه.
"فانتزاع السهم من الجرح أوجع من اختراقه".
عجيبٌ أمرُكِ أصبحتِ كتلة من الحجر تمشي.. تقتل وتغرَّب مسكيناً
ولا يحاسبها أحد.

أليس في العالم قانون يُنصف العشاق ويجرِّم الخيانة واللعب
بالمشاعر، وهل هناك درك في الجحيم مخصصٌ لأمثالك من البارادات
يا تُرى!

عقلي لم يُواكب شاعرية قلبي فهو حاقِد بذيء أمَّا القلب فمحبٌّ
دائم ومضغَّة تنبض حباً. فالحبُّ دائماً يُلام كونه صافياً خالياً من كلِّ
كدر. وهذا كان سبب عذابي الأكبر.

"عقلي يقول لي اطردها من رحمتك وقلبي يواصل خوض المغامرة".
كُنْتُ بدويتي في حضراتي، ألا تتذكِّرين كيف أسَّسنا حياتنا كيف
خطَّطنا لحفل زواجنا!؟

ذات زمن قُلْتِ أريد شيئاً آخر أريد شيئاً مختلفاً عن الروتين الممل في

ديكور الحفلات، أريد أن ألبس الأسود، وأريد أغاني فيروز فنرقص رقصة
التانغو عليها.

ليتكَ تعرفين كم أكره التأين بعدك.. رجلٌ مثلي يُدركُ بأنّه لن تقبل
به كلّ نساء العالم. كيف يقبلون بفقير يظلّ يخور في خواء حبّك!..

كُنْتُ في فراشي ملفوفاً كشرنقة أتأوه الماءً. دلف خالي عبد الله إلى
الداخل قال لي يا سلمان قُمْ فوالدتك حزينه أمهون عليك دمعتها.. اعلم
بأنّ المستقبل لا كما تتخيل، لعلّ القدر يخبئُ حيلاً مُفخّخة في حياتها..
تأخذ حقّك رُغماً عن أنوفهم.

أتدري على من تنوح وتبكي!؟

أنت تبكي وتنتحبُ على فتاة لا تستحقّك، على فتاة قالتْ وقد سمعتها
بأذنيّ هاتين:

"لو تجرّاً سلمان وأتى الآن ينشد استقراره بي سوف أحرقه حياً
بالوقود"، من ضحكك عليك وقال بأنّها تحبّك وتعشّقك، كلّه كذبٌ في
كذب.

أحقاً قلتِ تلك يا عظيمتي! هل كان كلّ ما بنا عبارة عن أكذوبة!؟
تعهدتُ بلألا أذكرك بعد اليوم، أدركتُ بأنني كم كُنْتُ كاذباً ساذجاً
واضحاً في مشاعري وقد خاب ظنّ سعادتي بك.

حاولتُ مزاولة العيش مجدداً كمولود لتوّه يحاول تعلّم المشي.. كان ذلك مجردّ تبرير للعجز الذي انتابني بعدك.. جرى الأمر كما ساءة إغريقية، تتصارع فيها الآلهة على ذنبٍ اقترفته بك.

عاصم ابن جدي الآخر: كان ينظر نحوي بكره مُمتعض.. فلا ألومه، فهو على حق ففي النهاية كان من أولئك الذين ثاروا ضد دكتاتورية جمالك! فانقلبوا خاسرين.

كان يتأوّه حسرة: هيهات هيهات ذهبْتُ طارت! لم يدخل في رأسي فكرة أن ترتبط قصيرة من أقزام بياض الثلج بعملاقٍ من قوم عاد. عاصم كان سميناً وذو طول فارع يكاد يقطن رأسه في السماء، وبأخرى كنملة سليمان ستمشمها الحياة بهفّة ربح.

انشغلَ بعد ذلك وتدارك الركبَ ومضى يستمتع بحياته، قال لي ذات يوم بكلّ أدب وحنية عوضك الله خيراً. "بالطبع فأنتَ لم تربو بسكينتك في بؤرة غنجها ودلعها، حتى تمهشم أضلاع قلبك، ولم تشرب من بئر فلسفتها المسؤوم، لذلك مضيّت وكأنّ شيئاً لم يكن".

عهدتُ على نفسي بأنّ أجعل في كلّ صلاتي ترنيمة دعاء مخصوصة

تصل إلى الله فتنزل قبولاً تأخذ بيدك إلى عالم السعادة، فمهما كان الوفاء قاسياً فهو يُعتبر شجاعة وجزءاً من الكرامة.

كان القهر يحتويني والألم يكوي ما بداخلي وفي رأسي ألف سؤال وسؤال.. لذا اشتغلتُ بالقراءة لعلِّي أجد حلاً لعذابك! لعلِّي أفهم تفاصيل تفاصيلك بالرغم من وعورتها.

ملأتُ وقتي بعدك بتعلّم الكثير وقراءة الكتب المُجدية والقصص العابرة والمُعبرة، أردتُ أن أشغل نفسي عنك، فثُقب فراغك في صدري قهر قوّتي وصبري على نفسي..

إلهي. كم كان صعباً.

لم أفكر أبداً بالسعادة مع فتاة، كُنت أرى فيهن مخلوقات بتراكيبات غريبة كان العلماء قبلنا يدرسون كونكن بشر أم...! حتى استعليت مُتكابرة في موطني الهش.

كُنتُ أراك السعادة، فكلّ نظريات السعادة تحمل دلالاتك.

بعد فاجعة فقدانك اجتاحتني موجة غمّ طوفانية أردتُ شواطئ مرتعاً للخراب المُقدّس، انكمشتُ على نفسي رحّت أتوه في غياب الوجود أرفرف جناحي المكسورين في سماء الجحيم.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أردتُ النسيان، أردتُ أن أنسى لم أعد بريقاً يتألق في عبقرية الكون..
ذات غمضة أثار حنقي خبُرُ ناضج لتوّه دخل من الباب، قالت خالتي
بأن جنان مريضة سمعنا بأنّها تعاني، وتجتزّ سوء صنيعها بك!
قلْتُ والخوف خائبٌ مُنهار فوق عتبة صدغي. كيف! وماذا! ولماذا!!
قالت: يقولون بها عين!

أرأيتِ حتى الحساد رأوا فيكِ نعمة وافرة ووجبةً دسمة.
لم أصدّق الأمر.. لوهلة ظننتُ الأمر مجرد كذبة، ككذبة إبريل فكنا
أصلاً في إبريل وذلك التاريخ هيمن بنفسه في ذاكرتي ولم يُنس.
وقتذاك لاحظتُ انكباب سالم آيباً وذاهباً لبيت جدي.
جدي الذي امتاز بكونه راقٍ يُرقي ويستعيد بالرحمن من الشياطين
الرجيمة.

دخلتُ مرّة متعمداً لأشاهد المسرحية كما كنتُ أظن، رأيتُ جدي
وهو مُمسك برأسكِ الحاني.
ويقراً: "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شرّ
الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس"
ثلاثاً وينفُث فوق رأسكِ.

أفجعتني نظراتك المُثاقلة تلك.. كُنْتُ كمن يُريد الانتقام من شخصٍ
ما! كان المشهد سرياليا.

كُنْتُ تنظرين إليّ بحقد وغضب والسواد يملأ قعر أجفانك، أثارت
تلك النظرات فوضى في داخلي.. خفتُ منك وكأنني أرى إبليساً يُحدّق بي
ويُريد النيل مني!

أكانت تلك العاقبة التي أذقتني بجرعتها يا جنان!

هل أهانك الخُذلان يا جارحة!؟

رغم تقوُّس قلبي وتجمّده شعرتُ بالشفقة عليك!؟
وضحكتُ بحزن.



في كلِّ يوم يتجدّد الصراع مع الحبِّ والكره دواخلي، فتارة أكون مثالياً
وكانّ شيئاً لم يحدث، وعلى حين غزّة أكون منّ أضعف الخلق، فهذا
العالم مليء بحقائق زائفة كحقيقتي معك، ودواهي ليس لها أصلٌ واضح
كأصولك العشقية معي.

أنا على يقين بأنّ الله خبّاً حكمة في بُعدي عنك في هربك عني، وارتكانك
في أحضان غيري.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

ابتليتُ بذلكِ لي.. أحببتك حباً جماً لا حبَّ استهانةٍ وهمل، كُنْتُ أظن
بأنني الاختيار الأنسب لذلك الجمال الطبيعي.. لَمْ أَكِدْ أَصَدِّقُ بِفِرْحِ قَرِيبِي
مِنْكَ وَأَنْكَ تُبَادِلِينِي نَفْسَ الشُّعُورِ نَفْسَ الشُّوْقِ حَتَّى صُدِّمْتُ بِمُرِّ التَّعَلُّقِ
بِكَ كَطِفْلِ فَقَدِ امَّةٍ، فَعَاقَبْتُ ظَنُونِي.

فَأَنْتَنَ تَمَارِسُنَ فَنَّ التَّذَلِيلِ بِلَارِحْمَةٍ.

أَخْرَسَتْ قَلْبِي بِإِجْرَامِكَ الْمَمْتَعِ، تَأَلَّمْتُ لِفِضَاعَتِكَ، تَهَالَكُ ذَاتِي فَوْقَ
نَفْسِي.

لَمْ أَعِدْكَ بِشَيْءٍ سِوَى أَنِّي لَسْتُ عَظِيمًا لِأَسْتَحَقِّكَ.. أَرَدْتُ لِمَسِّ بَطْنِكَ
الْمُتَمَدِّدِ بِطِفْلِنَا يَا جَنَّانَ أُخْرَى صَغِيرَةٍ ذُو جَمَالٍ بَارِعٍ كَمِثْلِكَ.

لِكُلِّ شُعُورٍ جَيِّدٍ ثَمَنٌ يَدْفَعُهُ الْإِنْسَانُ، كَيْفَ كُنْتُ مُلْتَزِمَةً بِعَقِيدَةٍ
غَافِلَةٍ تَحَوَّلَتْ لِكَاثِنَةِ شَوْهَاءٍ.

أَقْسَمُ بِأَنِّي لَمْ أَرِدْ لَكَ بِأَسَاءً..

أَرَدْتُ أَنْ أَمَارِسَ الْحَيَاةَ بِطَرِيقَتِي أَنْ أَكُلَ أَنْوَاعَ الْوُجُوبَاتِ وَأَنْ أَفَكِّرَ
فِي إِكْمَالِ تَعْلِيمِي وَإِكْمَالِ مَا تَرَكْتَهُ نَاقِصاً قَبْلِكَ خَانَتِنِي قِنَاعَاتِي. وَلَكِنِّي
بَعْدَ سَمَاعِي بِأَمْرِ مَرَضِكَ الْعَجِيبِ، أَصْبَحُ الصَّخْبَ الْفَوْضُوِيَّ دَاخِلِي أَقَلَّ
حَدَّةً.

- رَقِقتُ لِحَالِكِ.

نَزفتُ كَثيراً، رُوحِي لا يَكادُ يَخْرُجُ، تَبْعَني "مَازِن" خَطيبِكَ الهَرُّ! نال
نصيبه من المعاناة.

أخبرتني الستُ بهيئةَ بعظمةٍ لسانها بأنكُ معشوقةٌ جني يتلبّسك،
نطقٌ وقالَ أنّه حينما رآكُ في حفلةِ الخطوبةِ بتلكِ الأناقةِ المهيبةِ، أصابه
زمهريرُ العشقِ فزَمَلَ قبحه بجسدك، فبدأ يتلذذُ بطيشٍ في مفاتنك!
شَفقتُ عليه حقاً! قلتُ في نفسي سوف يتوب والله سوف يتوب!
سيرى كم أنتِ صلبة كسندانٍ ثقيل، لا تملكين قلباً بل آلة يضحّ الدم
فقط.

قبل دخول شهر رمضان وحين مشارف انتهاء شعبان عزمْتُ على
طلاق غضبي وحقدي. دنوتُ إلى منزلكم متمنياً من الله أن يسامحني وأن
يغفر ذنبي.

قلتُ للستِ بهيئةِ أعتذر من أعمالي.. لا بد بأنّ حبيّ لابنتكم كانت
غلطة وسأحاول منع نفسي من ارتكاب تلك الأخطاء مجدداً. "كان كلاماً
في الهواء".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قالت: لا بأس واسأل الله أن يعوّضك بأجمل منها، فأنت لا زلتَ صغيراً
سوف تنسى صدّقي سوف تنسى لا تضيع حياتك هدرأ..

كان حديثاً خائناً باهتاً ليس فيه خير.

لا بدّ من نفاق الحديث حتى نطلّ عائلة في جدول واحد..

وأنا خارج همهمت عمي شاكية: قالت جنان مُتعبة، في كلّ يوم تختنق
حتى الموت ذهبنا بها إلى كلّ راق متوفر يرقمها ويُخرج البائس المتعقّن من
دواخلها.. قالوا بأنّ العاشق نطق مجدداً وبكلّ ثقة بأنّه يحبّها ولن يخرج
بدون روحها، وسيموت بدونها، وبأنّها كائنات لؤلؤية لا نجد مثيلاتها في عالم
الجان.

حتى الجن والشياطين أبت إلا وأن تشاركنا مهزلة العشق هذه.
وفي الوقت ذاته تمنيتُ لو أنني أنا ذلك العاشق الذي يسكن بداخلك..
أتصدّقين بأنني غرتُ منه من كائنٍ لا يُرى وهو يرى.
والله لن أغادر حتى أسلب روحك حتى أضمن حياتي معك، وأسكن في
جوفك إلى الممات وأُدفن معك في تابوتٍ واحد، في تابوت روعتك.
الأمر ليس وكأنني أوّمن بخرافة دخول الجان جسم الإنسان..
إنما الأمر هو أن أساير الفكر الجاهلي الموروث فينا أباً عن جد.

استلقيتُ فوق سريري أحسستُ بدشوة الانتصار.

فكّرتُ ملياً!! هل هذا انتقام الحياة لي؟! هل لطف الله لأمس شغاف قلبي!

لَمْ أَقَابِلْكَ مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الْخَافِتَةِ الَّتِي مَرَّتْ مَرُورَ الطَّيْرِ فِي مَجَالِ قَنَابِلِ حَرْبٍ فَخَرَجْتُ بِلا رِيْشٍ، أُمِّي قَالَتْ لِي صَدِّقْ أَوَّلًا تَصَدِّقْ فَلَ شَأْنٍ لِي بِفِكْرِكَ يَا سَلْمَانَ.. وَلَكِنِّي كُنْتُ شَاهِدَةً عَلَى جَنُونِهَا وَأَلْمَهَا..

"عندما كانتُ تصرخ، صُراخها كان مختلفاً تماماً." ليس كصراخ البشر."

تهدّد وتوعدّ، أصبحتُ تكره الرجال كرهاً عظيماً، تجلس في الزاوية تُعَاتِبُ نَفْسَهَا وَتَبْكِي فَجْأَةً أَصْبَحْتُ وَاهِنَةً، ضَعِيفَةً، تَحَبُّ الْوَحْدَةَ، مَتَقَوِّعَةً فِي فِرَاشِهَا.

ليستُ جنان تلك التي كنّا نعرفها.

واصلتُ أمي حديثها: كانتُ ريحانة تمسكها بقوة وسالم شقيقها يقرأ عليها شيئاً من آي القرآن.. كانتُ تتشجج بشكلٍ مُفجع أصابني الخوف فهربتُ من فوري يا بني.

بالرغم من الحقائق المُتفشّية أمامي لَمْ أَقْتَنِعْ بِتَاتًا، ظَلَلْتُ أَرْدَدُ: لَا بَد

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بأنّها كانت مجبرة فادّعت المرض حتى يتسنى لها العيش بحريّة بعيداً عن قبر المسؤولية. "اكتشفتُ لاحقاً بأنني ظلمتها".

استعجل "مازن" بتقريب الودّ حالاً، لكنهم رموا في وجهه الحثيث.

- أجابوه خبُط عشواء: جنان مُتعبة مريضة تكره الرجال وتكره كلمة الزواج، يثور ثائرتها حينما نذكر اسمك.

- نعتذر منك ومن أعماق قلوبنا نتمنى لك أخرى تزدان في حياتك.

كان وكأنّ ثمّة عبثية في الموقف.

بعد فترة من سقوطي ذاك يظهر العدل الإلهي في وجهك يا جنان، لا بد بأنّ الله ابتلاك بالميم غير مرئيّ أرايت كيف يتسرّب العشق بداخلنا ويشيخُ كمجنون يرفضُ تحضراً للموت.. تلك الألام التي ألمّت بك، نفسها التي أذقتني من علقمها ذات هفوة!

أخذتُ قلماً وكتبتُ في قصاصة ورقة صغيرة بعضَ العبارات

الانتقامية فدسستها تحت الباب حين مساء هادئ:

"لا بد بأن غفران ذنوبك، ذنوبك التي ارتكبتها في حقّي فرحاً تتجسّد

في حياتك الآن".

لا أعلم إن كانت تلك الرسالة استكانت بين يديك وترجّلت بكلماتها

إلى عُصبة كرامتك أم لا؟



وكأنّي في وسطِ أجوف فداخلي مليء بالاعوجاج، بتّ أعاني انفصاماً
في مشاعري.. أحدّق إلى الناس أرى نفسي من خلالهم ولمّ أعد أملكني،
حقاً لا أنتهي إليّ ولمّ أعد كما كنت.. أصبح الشتاء زائري الأبدى.. برود
في تصرفاتي وأخلاقي وحياتي، أنتِ يا هفوة الخطأ من خلقتِ شخصيتي
الجديدة هذه.. وكأنّ مرضَ طفولتي قد عاد، ذلك المرض النفسي، ذلك
المرض الذي يا ليتَه استمرّ معي حتى اللحظة، لكنّ الآن في عالمي
الخاص سالماً من قيحك المُظلم.

مُنذ البداية لمّ أكن رغبتك اليبابية في قنينة عطفك، حتى يكتب لنا
القدر اجتماعاً سخياً يُنير أعتاب شموخنا يوماً.
ذبلني شيطان حبّك يا رغبتِي، كُنْتُ أَشَدَّ أَوْجَاعِي كُنْتُ صِرَاعِي
العظيم..

في النهاية قطعْتُ الحاضر بكِ والماضي بي.. تلذذتِ بالانتصار وهلكتُ
بالتعب، ثم انتصرتُ أنا وتعبتِ أنتِ.

لو تسأليني الآن بماذا أشعر، سأجيبك: بأنّي أبتلع الغصّة العالقة
في صدري وكأنّها جبل.

كيف لي بعدك أن أنطلق بروح جديدة، وذاتي كان ذاتك يوماً؟
أريد أن أعلمك بأنني لستُ ضعيفاً ولستُ جبّاراً.. إلّا بأنني في منزلة
بين هاتين.

أصبحتُ سبقاً صحفياً، فكلّ وكالات أنباء الحي يتجمهرون أمام عتبي
العقيمة، أصبحتُ لقمة سائغة لأحاديثهم اليومية.. بسببك أصبحتُ
إفطاراً لذيذاً في صباح حيّنا البائس.

مؤمنٌ وموقنٌ أنا بأنّ الله سيعوضني عن كلّ هذا العبء المثخن الذي
حملته وحدي فوق كاهلي، سيعوّضني عن كلّ لحظة تعيسة، وعن كلّ
فقدٍ وعن كلّ حلم استودعته أمانةً في مكمّنه سبحانه، سيعوضني عن
كلّ الأشياء التي لم أخبر أحداً عنها سواه..

"ما أجمل تشجيع الإنسان نفسه حينما يكون في مأزق".

أصبحتُ كما قال غازي القصيبي رحمه الله:

قد عجزنا حتى شكى العجز منّا.... وبكينا حتى ازدرانا البكاء.

جاهدتُ نفسي حتى لا أهينك.. لأنّ الحبّ كالشرف وإذا ضاع الشرف
ماتت الرجولة، كُنْتُ وقد ذبلتِ كوردة نبتتُ بالخطأ في مجاري الحمم.

تساءلتُ كثيراً هل كُنْتُ غيبياً! هل كُنْتُ أحمقاً في حضرتك يا أنسة؟

لم يكن بي غباء يا جنان.

ولكن ربي هبّ لكِ جمالاً يسحر، وإنّ من السحر ما يهبل..

كُنْتُ أريد التمسّك بكِ كرحمة أمِّ بطفلها المُعاق، اعتادت الزوجات
والحبيبات أن تكنّ أمهات في حضور أزواجهن وعشاقهن، إن لم تحمني
أمي "وهي أنتِ" فمن ستحميني!

لم يصغر الفقد بداخلي ويتلاشى، لم يكن بي شجاعة لترك حبيبة
تَرَكَتْ جثتها أمامي، وجازفتُ وحيدة لتتعثّن في دار ابن علقم.

أصدّقيني كرهتُ النساء بسببك.. أرى فيهن سارقات قلوب فقط..
كم تمنيت موتك! لو أنّك مُتّي فلن يتمكن الرجال من النيل منك.. سيبقى
جسدك نظيفا من عنفهم القدر.

أردتُ أن أعيش الحياة كحياة، الحقّ أنني عشتُ معك أياماً صافية
جميلة ولو كانت أياماً معدودة، فقد طلّقت همومي معك.. وكأنّك تأبين
أن أعيش سعيداً تحت مرارة جسدك الفاتن.

لم أعدم مشاعري رسمياً، كُنْتُ كأيّ إنسان يُحارب لأجل العيش
لأجل طرد المخيلات السيئة والأفكار النازية، عزمْتُ أن أنظف قلبي من
كلّ الوسخ الذي تجذّر فيه.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

رفعتُ رايةَ النقاء مجدداً، وجعلتُ لك ألف عذر حتى تستكنَّ
العواصف في حياتنا وتنتهي الطغيانية باستقلال السلام في نضالنا.
وقتذاك نويتُ أن أكمل دراستي بعد سنين من الجهاد ضدك ومعك.
عزمتُ وعقدتُ النية على السفر إلى ديار أجدادي وآبائي.. فغبار
الطائف صار جحيماً لا يطاق فوجودك هنا رثاءٌ مُميت، ورائحتك لا تكاد
تخبو من أنفي وتختفي.. هذا وأنا الذي كنتُ أعتقد بأنني سأموت فوق
أرض ولادتي.

قيلَ إذا أردت النسيان فابتعد عن دارٍ أحببتَ فيه وعن دارٍ أذنبتَ
فيه.. غادر واحزم حقائب عمرك ولملم شتات ذكرياتك ومن ثم أيضاً
فغادر.

أردتُ التغيير، أردتُ الهجرة نحو حياةٍ جديدة، أريد أن أنسى ذلك
الألم، وأتأمل أبطالاً جُدداً يُدركون نفسي، أريد قلوباً تسعني كما قلب
أمي..

لم يعد يغربني إصلاحك يا جنان، هل أنا قادر على تركك، والتعلق
بهذيانك إلى حيثُ الجديد يا تُرى؟
فقد تركتُ الجواب للزمن.

أُعلنْتُ عن الأمرِ ومسحتُ الذكرى، ورطبّت حالي ورتبت هندامي
وحزمتُ حقائبي..

حجزتُ تذكرة السفر نحو الغريب نحو البعيد، نحو هواءٍ نظيف
وشاهدٍ جديد.

أريد أن أحقق ما كان مستحيلاً، وأن أبحث عن جميع الحلول، والتي
لعلّها تساعدني في مشكلة عواظي الجياشة.. وهدفي أن أنتقم بنجاحي
من عمّتي الستّ بهية.

ولكنّ خنقي وفائي، تعبتُ من وفائي لفتاةٍ كانت تقول مُفاخرًا أنا لم
أجبره على حبّي.. هو كان مُثقفًا كان لا بد له من إدراك الأمر! أما سمعتِ
بمقولة "أن كلّ إنسان مُثقف هو مجرد بائس".

اندهشتُ يومها وفي الوقت ذاته قُلت: إلهي لازالت صغيرة، أعلم بأنّها
ترفضني ظاهريًا، وفي داخلها انفجارات بركانية..

مهما قالوا لي عنك كُنْتُ أقول لعلّ لها عذرا وأنت تلوم.. لا بدّ من
وجود عذر لا بدّ من وجود سياسات قدرة تمّت حياكتها مسبقاً.. ربّما أمرٌ
ما وقع، صراخٌ ما فلت، خطأ ما زاغ!

ظننتُ أنّ عقدتي ستنحلّ بعد الرحيل وتنجر الخواطر، وتعود المياه
إلى مجاريها.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

المعادلة صعبة وأكثر تعقيداً. مرّات أكرهك كره إبليس لآدم، ومرّة أحبّك وأحاول إرضاء نفسي بمعاذير واهية.. في كلّ مرة أشتمك وفي كلّ مرة أتوب.

أجلت السفر بسبب أيام الحداد، توفي خالي عاصم في حادثٍ مؤلم كان منشغلاً بهاتفه أثناء القيادة فسرقتُ روحه بغتة، قُلْتُ في نفسي "تلك لعناتك يا جنان، لعناتك الفرعونية يا نفرتيتي فكلّ مَنْ كان له علاقة بك تدمّر وجرّ أذيال الخيبة نحو الجحيم".

رحمه الله، لا زلتُ أذكره وهو يربّتُ فوق كتفي: عوضك الله خيراً.. أسأله سبحانه أن يردك تحت كنف رحمته.. وما قد سلف فقد انتهى ومضى.

يستمرّ الحزن بالظهور والألم يرقص بدواخلنا، نشعر بأنّ الحياة عبارة عن فخّ مليء بالغدر والأوهام، لا نكاد نخرج من وعكة فتصيبنا الآخر، ولكنتنا ندرك متأخرين بأنّه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

في تلك الأثناء صمدتُ أمي وبنفسيّ طويل بعد وفاة أخيها الفدّ، كلّ عائلتي ورثوا جينات قوم عاد فهم أقوياء، سواي أنا ورثتُ الخوف من نساءهم.

كفرتُ بحبِّك وأمنتُ بقوَّتي، فتوكَّلتُ على الله بعد أسبوعٍ من الحزن
الساقط علينا فجأة، استودعتُ عائلتي، قبَّلتُ جبين أُمِّي وجدَّتي بل
وحتى والدتك هبية.. كُنْتُ واقفة أمام عتبة الباب تنظرين بأعين اغرورقت
دمعاً.. أردتُ بطيشٍ أن أبسط بنفسي في عدمك وأن أحيط بذراعيِّ حول
خصرِك، رغم ذلك صرفني ظلُّمتك الداكنة.

فبعد معاناتك دهرًا أعاد الله إليك صحتك، لا بدَّ بأنَّ الجني العاشق
نال منه التعب كما نال منَّا فاستسلم.

وفي نفس الوقت لاح الأمل في ربوعي بعد شفائك، وكأنَّه يقفز ساخرًا
منيَّ لقد خدعتك فلا تتظاهر بالنسيان عُد إلي.

لَمْ أنتهي منك يا جنان لَمْ أنتهي، فأنا لئيم وبخيل فلا أعطي حبيِّ
لأحد، مؤمن بأنَّ حبيِّ سوف يكون مُخلِّدًا كفلسفة يونانية يرتشفُ منه
كلُّ فلاسفة العشق الطامعين.

فما زلتُ مُغرماً بك بالرغم ممَّا حدث فأنا مُدمن سَكِّيرٌ في حضرتك
مُنذ البلوغ يا آنسة.. فلا أقول وداعاً بسهولة.. ولكيَّ لستُ شغوفاً كما
عهدتني.

رخيْتُ الحبلُ لأنني أعرف بأنَّ كلَّ شيء سيصبح باهتاً أو إما أسوداً
أو أبيضاً.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بعد خُطْفِ الموت لأحبائك تصبح الحياة مُملة ورتيبة، موتٌ خالي
غَيَّرَني لَمْ أَعُدْ أَقْحَمُ نَفْسِي فِي صَرَاعَاتِ الْبَشَرِ بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ.. تَرَكْتُ
فِي نَفْسِي ثَغْرَةَ الْخَوْفِ، الْخَوْفِ الَّذِي يَلُوكُ نَفْسِي بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ، لَا
أَدْرِي هَلْ هُوَ خَوْفِي مِنْكَ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ نَفْسِهِ.

فالموت هو الحدّ الفاصل بين أحلامنا وبين الواقع الذي سنعيشه
وسندركه، نخاف الجزاء والحساب يوم لا ينقذنا أحد سوى ما قدّمنا!
كُنْتُ تَقُولِينَ لَا أَنْكَرُ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَلَكِنِّي أَوْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ عَطَاءً،
أَعْظَمُ رَحْمَةً سَوْفَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَبْلَكُمْ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ، لِأَنِّي
جَمِيلَةٌ وَالْجَمَالَ لَا يُحْرَقُ بِالنَّارِ!

حِينَهَا ضَحِكْتُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي، قُلْتُ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ هُنَّ النِّسَاءُ، فَلَاحَ
الصَّمْتِ سَرِيعاً فَوْقَ ثَرْتِكَ الْمُبْهَجَةِ، وَتَبَيَّنَ فَوْقَ مَلَامِحِكَ الْاِمْتِعَاضَ.



في الحقيقة لم يكن لي رغبة بالعودة إلى دثار نسبي وأصلي، ولكّني أردتُ إغلاق ملفّ القدر المؤلم، لا لأقاوم مصيري، بل لأمضي حتى أنقي كلّ زلل بداخلي.. شعرتُ بأنّي وحيد ولا أملكني في اتّخاذ قراراتي، كعصفور يمتطي العاصفة ليصل إلى السماء ولكن لا قوة له برفرفة أرياشه.

كتبَ بعض الأدباء: "لا رغبة لي بالعودة، بدأتُ الطريق بنفسي، وأعلنتُ للآخر الحقيقة.. فبذرتُ في الأعماق معنّى جديداً ومسؤولية تنشط الخلوات، ووجب الرحيل عندما تيقّنت أنني في المكان الخطأ، وأعلنتُ عدم الرغبة بالعودة قطعاً".

تناسبني رؤيته في الرحيل فنكثتُ القعود ورحتُ أسير لهدف لم أسمو إليه أساساً.. كُنْتُ خطأً في حياتك فصحّحتِ طريقي بالقلم الأحمر.. ركبْتُ الطائرة ولأول مرة، أتاني هاجسٌ غريب خشيتُ الارتفاع المفاجئ فأنا كَأَنْتِ كُنْتُ أعاني من فوبيا الارتفاعات.

دنوتُ أنظر من النافذة إلى تلك البُقعة الصغيرة التي تلوّنت بدماء حكايتنا وبمعركتنا الضروس.. أرى الشظايا لتتهم شجاعتنا المعهودة،

كُنْتُ شَجَاعاً فِي حَبِّكَ حَتَّى خُنْتُ الْمَمْلَكَةَ يَا أَمِيرَتِي فَرِحْتُ ضَحِيَّةً غَدْرِكَ
وَعُرُورِكَ.

تَهْتُ فِي ذِكْرِيَاتِي فَنَمْتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى إِسْلَامِ آبَادِ.



أَشْعُرُ بِغَرِيبَةٍ بَائِسَةٍ فِي وَطَنِي الثَّانِي يَا جَنَّانِ.. وَطَنٌ أَعْرَفَهُ وَلَا يَعْرِفُنِي،
مَرَرْتُ بِالصَّدْفَةِ أَمَامَ مَحَلِّ لِبَيْعِ الْعَطُورِ فَشَمَمْتُ عَطِراً فَوَاحِياً خَرَجْتُ
مِنْهُ نَسْمَاتِكَ النَّدِيَّةِ.. كَمْ أَشْتَاقُ لِرَائِحَةِ عَطْرِكَ الْهَادِيِّ يَا سَنِيُورِيَتَا.

أَتَصَدِّقِينَ يَا جَنَّانِ؟ بِأَنْنِي ابْتَعْتُ نَفْسَ الْعَطْرِ، هُنَا فِي إِسْلَامِ آبَادِ دَائِماً
أَضَعُهَا فَوْقَ ثِيَابِي وَلَوْ كَانَتْ نَسَائِيَّةً.. لَا زَلْتُ وَلَا زَلْتُ أَكْرَرُ نَفْسَ الْخَطَا،
هَرَبْتُ مِنْ كُلِّ تِلْكَ الْخِيَبَاتِ حَتَّى أَجِدَ السَّلْوَى هُنَا وَلَكِنِّي مَا لَبِثْتُ وَأَنْ
تَشَتَّتْ بِكَ وَبِذَكَرِكَ الْمَعْلَقُ فِي أَسْتَارِ ذَهْنِي مَرَّةً أُخْرَى.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَشْقِي لَا يَنَامُ.

كَمْ ذُهِلْتُ لِلْمَدِينَةِ الرَّاقِيَةِ "إِسْلَامِ آبَادِ" مَدِينَةِ خَلَابَةِ بَدِيعَةِ الصَّنْعِ
وَالْجَمَالِ، وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا قِطْعَةً مِنْ جَنَّاتِ الْأَرْضِ فَقَامُوا بِوَضْعِهَا وَسَطَ
غَابَةِ.

بِنَاءِ ضَخْمِ شَيْدِ وَسَطِ الْمَدِينَةِ وَبِأَرْوَعِ تَصْمِيمِ هَنْدَسِيِّ حَدِيثِ جَامِعِ

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

يشبه خيمة مفروشة وسط بستان، منظره أشبه بمنظر المساجد المظلة
في إسطنبول بل ربّما أجمل.

كلّ عشاق المدينة يرون المكان هنا وكأنّه جنة.. ناسها دراميون جداً
ومثقفون، ثقافة مختلفة لم أكن أعلم عن هذا البلد شيئاً سوى بلغة
قومه.

"كم يوهمنا عقلنا إلى السفر في غير مكاننا وكم يتعذب القلب من
أنانيتك يا عقل!".

بسرعة ذهبتُ إلى شقتي تلك الشقة التي اشتراها والدي منذ فترة
ليست بالبعيدة، حتى إذا اضطررنا ذات يوم للمجيء فلا نعذب ولا نُهان،
وحتى يكون لدينا عودٌ نتكى عليه مستقبلاً.

أرسلتُ سابقاً من ينظفها ويرتب أثاثها فدفعتُ حقّه مقدّماً.

جلستُ فوق الكرسي الخشبي يشاركني الأرق.. أغمضتُ عيني ودونما
أشعر نمتُ نومةً لم أنم مثلها مذُ أحببتك.

نمتُ الليل وعندما دنا الفجر، قُمتُ للصلاة فأخذتُ أوراقِي من على
المنضدة ركبتُ الحافلة متّجهاً إلى الجامعة من فوري.. ميزة الحافلات هنا
أنّها تعمل على مدار أربعاً وعشرين ساعة.

كانت رخيصةً بالمقارنة مع الوسائل الأخرى ثمناً مُكلف لا تكفيك مصروف شهر لكي تستقل غيرها.

البلد هادئ جداً ليس كما سمعنا عنه سابقاً في شاشات الأخبار موت أسود وطالباني يفجّر نفسه، كان العدل يسري في المجتمع شيئاً فشيئاً، أصبح الناس أكثر وعياً يقومون بكلّ جهد واجتهاد بالواجبات الملقى فوق عاتقهم.. كانوا دائماً يوحون إلينا بأنّ البلد عبارة عن صراعات داخلية وسياسية وأنّ القاذورات تملأ الشوارع، ولكنّي وجدتُ العكس.

هنا الفتيات متفتّحات أكثر، ولكن لو حاولت لمسها فصاحت استنجاداً فودّع الدنيا يا آدم، الناس تتجمهر فوق رأسك وستلقى الويل، همّ يحاسبوك ويدسحبوك سحباً نحو مصيرك قبل وصول الشرطة.

لم أتأخر كثيراً سجّلتُ بياناتي في الجامعة، واخترتُ تخصصي دونما ندم، في البداية لم أكن أخلط بأحدٍ في الجامعة، فقط أتوه في ردهاتها الفاتنة وحدي، وأحفظ ملامحها وأرسم خرائطاً لها في ذهني، وأقضي معظم الوقت في الدراسة بمكتبتها الرهيبة.

مكتبة ملطّخة بدهان الأدباء والعظماء..

في كلّ جداريات المكتبة تجد اقتباساً جميلاً عن الكتب وعن العلم والأدب والثقافة.

خَشِيْتُ مَنْ الْاِخْتِلَاطِ خَشِيْتُ مَنْ الْعِلَاقَاتِ الْوَاهِيَةِ، كُنْتُ دَرَسًا عَظِيمًا فِي الْاِخْتِلَاطِ وَالتَّخَبُّطِ الشَّعُورِي، كَيْفَ كُنْتُ مَرْتَاةً مَعَ ذَاكَ الْغَرِيبِ؟ كَيْفَ كَانَ يَرْضِيكَ أَنْ يَقِفَ بِقَرْبِكَ يَلْتَقِطُ صُورًا لِرُوعَتِكَ؟ كَيْفَ لَهُ بِأَنْ يَضْمَكَ وَأَنْتِ كُنْتِ لِي؟ لَمْ أَرِدْ لِكَ سَوْءًا وَإِلَّا كُنْتُ سَاسِرِدَ كُلِّ تَارِيخِكَ الْفَظِيْعِ لَخَطِيْبِكَ الْمَتَفَهِمِ الْمَدْعُو "مَازِن".

وَعَلَى ذِكْرِ الصُّوْرِ! أَيْنَ ذَهَبَتْ تِلْكَ الصُّوْرِ فِي أَيِّ مَسْتَوْدَعٍ حُفِظَتْ؟! غُرُورِ ذَاكَ الْمَازِنِ كَمَا قَالَتْ خَالَتِي أَنْسَاهُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ مَجْرَدَ حَفْلَةٍ خَطُوبَةٍ وَلَيْسَ زَوَاجًا وَلَيْسَ نِكَاحًا رَسْمِيًّا.. بَلْ وَجَلَسَ كَالْمَلِكِ وَاضْعًا يَدُهُ فَوْقَ كَتِفِكَ مَتَأَمِّلًا فِي صَدْرِكَ النَّاضِحِ الْبَارِزِ مِنْ مَلَابِسِكَ الْفَاتِنَةِ!

- أَوْف.. سَمِئْتُ.

حِينَ اللَّيْلِ أَضَاجِعُ أَلْمِي مَعَ كَتْبِي وَوَحْدَتِي مَتَكِنًا قَرِبَ النَّافِذَةِ، أَتَأَمَّلُ الْكُونَ وَالشُّوَارِعَ وَأَرْكَزُ سَمْعِي فِي أَزِيْزِ الْحَشْرَاتِ وَرُوحِي تَحَلَّقُ فِي جَفَافِكَ وَحِكَايَتِكَ.. غَرَفَتِي كَانَتْ مُعْتَمَةً بَارِدَةً كَقَلْبِي الرَّاعِبِ بِكَ. ذَهْنِي يَرَسِمُ صُورَتِكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، أَنْظِرْ فِي فَمِكَ ذَلِكَ الثَّغْرَ الَّذِي يَعْجِزُ كُلَّ جَنَائِنِ الْأَرْضِ أَنْ تَنْبِتَ وَرْدَةً شَهِيَّةً يَشْبُهَهَا.

أُسامر وحدتي وأنا أقرأ قصائد نزار القباني، كيف أكمل وحدتي
واتساع السماوات تضيق بي هل يا ترى تتذكّرني تلك البعيدة؟
على أمل استعادتك من وحشتك.. أرفع يدي إلى السميع يسمعي
ويرسل ملائكة الرحمة تُعقبك من بين يديك وخلفك.. لا أريد أن أكون
وحيداً صدّقيني لا أريد أن أكمل طريقي بدونك.

استمرار حياتك مقرونة بالوحدة، ألم من نوع آخر يصعب شرحه.
ولكن في حال كنتَ وحيداً فهذا يعني بأنه لا وجود لك، علاقتك
بالآخرين هي ما تُثبت أنّك على قيد الحياة.. تفاعلك مع الآخرين يجعلك
تُدرك بأنّ عقلك موجود.. وقلبك لا زال يشعر وإن كان بينك وبينهم
مسافات ومسافات..

"فالوحدة سمّ قاتل، تخنّك حدّ البكاء، وتُشعرك بإرهاق شديد،
ولكن لا ضير منها، الوحدة غريزة العظماء، فكلّ العظماء اختنقوا بدخان
الوحدة حتى خرجوا بأعظم الأفكار..".



اصطدمتُ بطالِبٍ في المكتبة، أشحتُ بوجهي نحوه وإذ به رجل ساد
الوسامة في وجهه.

كان أشقراً ذا بشرة قمحية، تذكركِ وأنا أتأمله طأطأ رأسه مُعتذراً
فغادر على عجل ليلحق بمحاضرتَه.

بعدها رأيته مرة أخرى يقرأ في المكتبة، افتككتُ من عُقدة عدم
الاختلاط.

سَلَّمْتُ عليه مُبتسماً. فقام مُعتذراً راداً التحية.

- وعليكم السلام. أهلاً بكم.
- استحيتُ من لطافته.
- فبدأتُ صداقتنا من يومها.
- عرّفته بنفسِي، قُلْتُ: معك سلمان البلوشي.
- قال مرحباً بك أخي سلمان، وأنا عاطف الشاذلي من الأردن، لا بدّ
وأنتك تتكلم العربية أليس كذلك!؟
- استغربتُ من تداركه للأمر، سألتَه مُستغرباً: وكيف عرفتَ بأنني
أتكلّم العربية!؟
- من كتابك الذي تحمله بحوزتك.

كُنْتُ أحمل معي رواية لأحد الكتّاب السعوديين رواية الطين لعبده
خال.

"بعدها أصبح ملازماً لي، فوقتُ محاضراته قريبة من وقت محاضراتي".
دائماً ما كُنَّا نتواجه في المطعم الجامعي، أو في ساحاتها الواسعة بل
في أغلب الأوقات كُنْتُ أقبله بمكتبة الجامعة، الرجل هادئ وغريب في
نفس الوقت يُحيطه الكثير من الغموض. مثقّف ودائماً ما ينهب الكتب
نهباً، يقرأ كثيراً عن شكسبير وتشارلز ديكنز.

لديه ذوق قديم في القراءة.. يُحبّ القدماء من الشعراء والكتّاب، لا
يعجبه لغة كُتّاب العصر الحديث. كان مُغرماً أيضاً بقصائد أحمد شوقي
ومحمد إقبال.

وحينما اشتدّ ساعدُ صداقتنا شهد كلّ أموري العالقة، أصبحتُ
فُتات مشاعر أجمعها وأرميها في شخصٍ آخر..

باغتني عاطف ذات شرود: ما بك يا عاشق، أين أنت شارد؟! في
طوكيو أم نيويورك؟

ضحكتُ: فقصصتُ عليه ما جرى بيننا.. عن حلبي الوحيد في الحياة،
عن أمنيّتي، عن هذياني.

قال عاطف بكلّ برود: النساء مادّيات بطبعهن، لو كان معك المال
الوفير ستأتيك تلهتُ خلفك كالحمار الهزيل حينما تُغريه بجزرٍ طازج!

قُلْتُ وَكَيْفَ حَكَمْتَ عَلَى كُلِّ النِّسَاءِ فَقَطْ بِقِصَّتِي!

قال ساخرًا: مَنْ الَّذِي ضَعَى بَرُوحَهُ مِنْ أَجْلِهِنَّ، أَلَيْسَ قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ

"مَجْنُونٌ لَيْلَى" وَقَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ "مَجْنُونٌ لَيْلَى"؟

أضاف: أمّا مجنون ليلَى لَقَّبَ بِذَلِكَ لِهِيَامِهِ فِي حَبِّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ الَّتِي نَشَأَ مَعَهَا وَعَشَقَهَا فَرَفَضَ أَهْلَهَا أَنْ يَزُوجَهَا بِهِ، فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ يَنْشُدُ الْأَشْعَارَ وَيَأْنَسُ بِالْحَوْشِ وَيَتَغَيَّبُ بِحَبِّهِ الْعَذْرَى، فَيُرَى حِينًا فِي الشَّامِ وَحِينًا فِي نَجْدٍ وَحِينًا فِي الْحِجَازِ. أمّا مجنون لُبْنَى فَقَدْ وُجِدَ مُلَقًى بَيْنَ الْأَحْجَارِ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ.

أما الفتاتان قَتَلتا بوحشية فتزوَّجتا دونما ندم.

قُلْتُ لَهُ رَبِّمَا أَنْتَ مُخْطِئٌ يَا عَاطِفُ فَإِنَّا قَرَأْتُ بِأَنَّ لَيْلَى أُجْبِرَتْ عَلَى الزَّوْجِ مِنْ غَيْرِهِ فَهَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ تَجَرُّ أذْيَالَ الْخَيْبَةِ، فَحَزَنْتُ حَزْنًا شَدِيدًا فَشَاخْتُ وَهِيَ تَبْكِي عَلَى قَبْرِ قَيْسٍ بَعْدَ مَوْتِهِ.

واختلفتِ المرويات.

أمّا عن لُبْنَى فَلَا أَذْكَرَ عَنْهَا شَيْئًا الْآنَ.

أضفتُ: كانتِ العادة عند العرب تأبى تزويج من ذاع صيتهم بالحبِّ وتشبَّب بها. ولأنَّ العرب قديمًا كانت ترى أنَّ تزويج المُحِبِّ المُعلن عن حبه بين الناس عارٌّ وفضيحة.

حَسَنًا، حَسَنًا فَهَمْتُ يَا سَلْمَانَ، وَلَكِنْ تَأَكَّدْ لَنْ أُغَيِّرَ رَأْيِي فِي الْفَتِيَّاتِ
أَبَدًا.

عَلَى الْعَمُومِ يَا أَخَ هُنَاكَ تَقْنِيَّةُ اسْمِهَا شَبْكَةُ الْإِنْتَرْنِتِ لَمْ لَا تَتَوَاصَلْ
مَعَهَا.. لَمْ لَا تَحَاوَلْ مَجْدَّدًا؟ لَعَلَّ الشُّوقَ قَتَلَهَا لَعَلَّهَا تَفَكَّرَ بِكَ، لَعَلَّهَا
نَادِمَةٌ!

أَقُولُ كَمَا قَالَ نَزَارٌ: لَيْسَ لَنَا أَنْ نَجْبِرَهُمْ عَلَيْنَا، مَنْ يُرِيدُنَا يَعْرِفُ طَرِيقَ
الْوَصُولِ إِلَيْنَا.

جَلَسْتُ فِي دَارِي وَقَدْ مَضَى هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ، رَنَّ هَاتِفِي بِاتِّصَالٍ
مُفَاجِئٍ خَمَشَ هَدُوءِي.

كَانَ اتِّصَالًا مِنْ أُمِّي الْغَالِيَةِ قَالَتْ "يَتَخَبَّطُهَا الْأَسَى": بِأَنَّكَ غُصْبَتِ
مَجْدَّدًا فِي بَحْرِ آثَامِكَ، وَاصِلْتُ أُمِّي: أَنْكَ كَدَّتِ تَفْقِدِينَ حَيَاتِكَ بِحَادِثِ
مَرُورِي أَلِيمٍ.. وَكَأَنَّهُ يَنْقُصُنِي جُرْعَةً أَلَمٍ آخَرَ عَلَى أَلْمِي هَذَا.

انْفَجَرَ الدَّمُ فِي عُرُوقِي، فَانْفَجَنِي شُعَاعُ الرَّحْمَةِ، سَقَطَ قَلْبِي فِي
شَيْخُوخَةٍ مُفَاجِئَةٍ.

هَاتِفْتُ سَالِمٍ مِنْ فُورِي، أَسْأَلُهُ وَالِدَمْعِ كَادِ يَرْفَسُ ثِبَاتِي مَا الَّذِي
حَدَثَ! كَيْفَ هِيَ جَنَّانُ!

أُجَابِي بِنَبْرَةِ تَعَبٍ: نَعَمْ، فَهِيَ بِخَيْرٍ لَا تَقْلُقْ وَلَكِنْ....

أَوْقَفْتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكْمَلَ، أَرْجُوكِ بَلَا وَلَكِنْ... قُلْ أُنْهَى بِخَيْرٍ فَحَسْبُ.

أَكْمَلَ سَالِمٌ: وَلَكِنْ فَقَدَتْ نَصْفَهَا، فَقَدَتْ الْقُدْرَةَ عَلَى الْمَشْيِ.. وَلَكِنْ لَا تَقْلُقْ طَمَأَنَّنَا الطَّبِيبُ بِأَنَّهَا سَتَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ لِأَحْقَاقًا فِي حَالِ قَمْنَا بِإِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ جِرَاحِيَّةٍ فِي إِحْدَى فِقْرَاتِ عَمُودِهَا الْفَقْرِي.. فَقَدْ أُصِيبَتْ بِكُسْرٍ طَفِيفٍ. وَمَعَ عِلَاجِ الْأَعْصَابِ وَالْعِلَاجِ الطَّبِيعِيِّ سَتَكُونُ طَبِيعِيَّةً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، الْأُمُورُ بِسَيِّطَةٍ فَلَا تَهْتَمِ.

طَرَحْتُ الْهَاتِفَ مِنْ يَدِي.. مَسَّنِي الْعَدَمُ، وَكَأَنَّ جَائِعًا بَلَعَنِي فِي أَطْمَارٍ بَالِيَّةٍ، عَاسَرَنِي الْهَمُّ مَضْغَتِي الْحُسْرَةَ، رَحْتُ أَلُومَ نَفْسِي.. ضَرَبْتُ جَسْمِي بِقُوَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ، أَرَدْتُ أَنْ أُكْسِرَ عُنُقِي أَنْ أَخْنُقُنِي مِنْ هَوْلِ مَا أَصَابَكَ، فَأَنْتِ الْأُنْثَى الَّتِي تَتَكَسَّرُ بِسَهُولَةٍ، تُجْرَحُ بِسَهُولَةٍ، فَمَا أَصَابَكَ قَدْ يَقْتُلُكَ يَأْسًا وَإِحْبَاطًا يَا دُرَّةَ الْعَسَلِ، فَلَا أَرْضَى بَعْدَ الْيَوْمِ بِحُلُولِ التَّعَبِ عَلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتُ أَلَاقِي الْعَكْسَ مِنْكَ فَلَا يَهَمُّ، لِأَنَّ الْحَبَّ أَلَا أَرْضَى بِنَقْصِ الطَّرْفِ الْآخِرِ، لِأَنَّ الْحَبَّ دَعَاءٌ، لِأَنَّ الْحَبَّ وَفَاءٌ.

كَنَّفَنِي الصَّمْتُ فَجَاءَتْ، رَحْتُ أَجُوبَ بِخَاطِرِي فِي الضِّيَاعِ وَأُفَكَّرْتُ بِكَ وَمَاذَا حَلَّ بِكَ! رَحْتُ قَافِزًا فَوْقَ سَرِيرِي.. أَقْدَحُ مِنْ كُوبِ الْبِكَاةِ، نِمْتُ وَأَنَا

أقاوم العتاب والبكاء، فالرجال لا يبكون، ولكي معك طيفٌ رقيق، فأنا
أرقُّ مما تتخيلين يا جنان.

دعوتُ الله بقلبٍ صادقٍ وخاشعٍ: أنْ يشفيك وأنْ ينزل في قلبك غمام
صبره ونسماتِ عفوه.

ارتحتُ عندما علمتُ بأنك راضية بقدر الله وقضائه.. مُستأنسة في
خيالك العارم ومُتفائلة بشفائك السريع.

أُدركُ بأنَّ الحياة لا تقتصر على كليتنا ولكي أظنَّ بأننا في لعبة مُتقنة
من قبل هيئة ما أو منظمة ما، كُنْتُ أفكر كما يفكر الكثير من الشعوب
بفكرة المؤامرة أظنَّ بأنَّ في حياتنا مؤامرة.. ضحكتُ بقوة وجذبتُ شعري
للخلف "يا غبي كُفَّ عن الجنون". كلَّ شيء مكتوب كلَّ شيء مقدر.

كنتِ أقوى فتاة مراهقة عرفتُها مُنذ أوجدني الله على هذه البسيطة..
يا ترفي كيف أنتِ الآن كيف طبيعتك كيف تمشين الآن؟! هل الكرسِيّ
المتحرك مُتعب؟! أم أنكِ لا زلتِ متمردة على كلَّ شيء كما كُنْتِ؟.

كُنْتُ ذات ليلة أمارس وحدتي باستذكارك، حتى هاتفني الستُ بهية
فجأة دون سابق إنذار تُخبرني: بأنَّ سالم سوف يكون في إسلام آباد قريباً،
راجيةً منِّي أن أدلّه وأستقبله.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كعادة الأيام فقد رَغِضَتْ بِسُرْعَةٍ مَرِيْبَةٍ، وَصَلَ سَالِمٌ فَقُمْتُ
بِاسْتِقْبَالِهِ عَلَى وَجَلٍ.. أَخَذْتُ بِيَدِهِ إِلَى شَقَّتِي وَلَمْ أَدْعُهُ لَوْحْدِهِ يَنَامُ فِي
الْفَنْدُقِ.

سَأَلْتُهُ عَنِ سَبَبِ مَجِيئِهِ الْمُفَاجِئِ!

أَجَابَنِي بِأَنَّهُ قَدِمَ لِيَسَاعِدَ صَدِيقَ وَالِدِهِ فِي إِدَارَةِ مَتَجَرِّهِمْ!
فَذَلِكَ الشَّرِيكَ، اتَّصَلُ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَرْجُو قَدُومَهُ لِلْمَتَجَرِّ.

اسْتَغْرَبْتُ وَسَأَلْتُهُ عَنِ أَيِّ مَتَجَرٍّ تَتَكَلَّمُ!

قَالَ: مَتَجَرٌّ أَنْجِينُ لِلْمَلَابِسِ.. كَانَ وَالِدِي شَرِيكاً فِي الْمَتَجَرِّ مَعَ أَحَدِ
أَصْدِقَائِهِ أَلَا تَعْلَمُ!.

قُلْتُ لَهُ مُمَازِحاً: وَكَيْفُ لِرَجُلٍ كَانَ مِيكَانِيكياً بِالْأَمْسِ يَقُومُ بِإِدَارَةِ
مَتَجَرِّ مَلَابِسٍ؟

نَظَرُ إِلَيَّ وَعَلَامَاتُ الاسْتِفْهَامِ فَوْقَ رَأْسِهِ: أَلَا تَعْلَمُ بِأَنِّي خَرِيجُ جَامِعَةِ
الطَّائِفِ قِسْمِ إِدَارَةِ الْأَعْمَالِ.

أَسْفَ يَا صَاحِبِي، نَسِيتُ كُلَّ شَيْءٍ بِالْكَادِ أَنْذَكَّرُ مَاذَا أَكَلْتُ بِالْأَمْسِ.

سَأَلْتُهُ بِلَهْفَةٍ: كَيْفُ هِيَ جَنَانٌ، كَيْفُ هِيَ وَكَيْفُ أَصْبَحْتُ وَمَاذَا تَفْعَلُ

الآن؟

أجاب: أبشرك فهي بخير وبصحة وعافية، وتسلم عليك وهذه رسالة كتبها جنان وأمتنتني بإيصالها إليك، خذ الأمانة! وأرجوك ابق الأمر سراً بيننا.

كان سالم أكبر الداعمين لعلاقتنا، ولكنه استسلم حينما هاجت الست بهية في وجهه ذات زمن.. فالأم سلطانة زمانها في كل بيت. فتحت الرسالة: قرأت "سلام عليكم، أنا بخير.. أرجوك راسلني عبر البريد الإلكتروني المكتوب خلف الورقة".

إلهي تسارعت نبضات قلبي بشكل لا يصدق.. ولاح الفرح يبتهج في داخلي.

ازدان خيبي بأمل جديد، بعد كل جرمك تجاهي قضيت بحكم البراءة بحقك يا عزيزة.

عجيب هذا الحب، وكأنه حكاية تُروى بين كيد، وشغف، وحزن، وفرح، ونصب، وتفاعل.

فوراً: قمت بمراسلتها.

"ترددت كثيراً قبل أن أكتب خوفاً وذلاً وشفقة، تعبت من كبت شعور مؤلم، يشهق لها نفسي حينئذٍ وحسرة على ما مضى.. لم تكوني

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

إلا حلماً وستظليّن، مدينٌ لك أنا باعتذار فبرتك سامحي قلبي.. فنحن لا نملك ذلك الشعور المرعب فربّ الأرباب ومُسبّب الأسباب يبتلي من يشاء بقدرته وحكمته.. لم أعلم بأنّ شعوراً كالحبّ يؤذي صفاء روحك، لا يحصل المرء إلا لما كُتب له وعلى قدرِ التعب والصبر يكون الأجر، اعتذر مجدّداً وبشدة، ستظليّن ظلّاً لقلبي عافاك الله ورزقك رجاءً كوني بخير".

- أرسلتها مساءً.

- فأجابت صباحاً:

"لا تعتذر وكأنك المخطئ الوحيد، فأنا بدونك لا شيء، سامحني بقدر كلّ الألم الذي سببته لك وكُن بخير لأجلي".
غمرتني السكينة وكأنّ أعصابي تمدّدت وتوسّعت.



نسيتُ الماضي، نسيتُ كلّ شيء، نسيتُ هروبك مع ذاك الغريب..
نسيتُ الدمار والفوضى نسيتُ نفسي الغاضب والحقود.. أريد فتح
صفحة جديدة معك، وبميلاد جديد، وبحبّ أكثر طهراً ونقاء.
أخاف ألا أدلّ الطريق إليك إن تركتك مجدّداً فأنتِ لستِ كروما فكلّ
الطرق لا تؤدي إليك.

بعد رسالتك أردتُ التشبَّث بك أكثر، أريد أن أكون طفلاً في رحمك
لا أخرج بعد تسعة أشهر لا أريد الخروج بتاتاً أريد أن أتلوَّث بك، أريد
المكوث بين وهنك وتعبك.

قبيل اضطجاعي إلى مآل مسائي كعادتي أتخيِّلك، أتخيِّلك فراشةً
تُداعب الزهور، أو نسمةً نسيمٍ بارد وسط عُنف الصيف، لطالما امتلأ
كوز قلبي برحيقك يا عسليّة.

لو تدرين كيف حوّلت ليلى إلى جنة، أتدرين عندما وصلني ردّك على
رسالتي صباحاً قُمت أقفز لا إرادياً فوق السرير فرحاً ومُستبشراً.
سبحان الله، لحظة فرح يصيب الإنسان تمحو مرارة الصبر والحياة..
وكأننا لم نُصبْ بعدابٍ قط. كذلك المريض المُثقلُ بالهموم في حياته
عندما يطأ تراب الجنة لأول مرّة، فيسأله الباري هل أصابك نصبٌ قط..
فيقول: لا والله لم يُصبني وهنٌ قط.

أصبحنا نتبادل الليل بأحاديثنا البالية وبعودٍ جديدة وحياةٍ أخرى،
تبادلنا أرقام هواتفنا.

كنا أشلاء أفئدة حتى ترمّنا بالصدفة.. لا بدّ للمعجزة بأن تتحقّق
لا شك يوماً.

أخيراً عاد عقلي يتشاطر مع العقلاء.. بعد مرحلة حادّة من التفكير المؤلم، قالوا بأنّي أحببتُ طفلة ولا زلتُ طفلاً كذلك.. أرجوكم أتركوا الأطفال لوحدهم يلعبون بألعاب حيم مثلما يريدون، لا تقطعوا ريحانة أعمارهم.

وأنا فوق سريري مُترهّلُ بكامل جسي.. أخذتُ هاتفي..

أرسلتُ عبر تطبيق المراسلات: جنان كيف حالك!

- الحمد لله بأفضل حال، وأنتَ؟

- تمام التمام.

- أظنّ بأنك مشغولة أعذر أزعجتك.

- أنا على مشارفك أنا معك وبك مشغولة.

انكمشتُ تحت دثاري يشويني الحنين، عُقبَ جُمُلتك الأخيرة.

- كيف صرحتك الآن؟

- الحمد لله، سلمان هل سامحتني.

- نعم يا جنان منّ عاشر الناس بالمسامحة، زاد استمتاعه بهم.

- هل تُحبّني بكلّ جوارحك؟ هل تعدني بأنّ تحبّني في كلّ أحوالي حتى

وإن كُنتُ مُقعّدة؟

سَجَلْتُ مَقْطَعاً صَوْتِيَا رَفَعْتُ مِنْ حِدَّةِ صَوْتِي قَلِيلاً.

- حَتَّى وَإِنْ كُنْتُ جَثَّةً لَا سَمَحَ اللَّهُ سَأْظَلُّ أَحَبَّكَ وَسَأُحِيطُ بِكَ مِنْ
كُلِّ اتِّجَاهٍ.

- أُرْسَلْتُ: أَتَأَلَّمُ بِكَ، أَتَعْلَمُ حَاوَلْتُ إِقْنَاعَ وَالِدَتِي كَثِيراً، مِنْ بَعْدِ
"مَازِن" أَتَانِي الْخَطَّابُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحُوبٍ، رَفَضْتَهُمْ وَعَارَضْتَهُمْ
وَصِحْتُ فِي وُجُوهِهِمْ أَنَا أَحَبُّ سَلْمَانَ وَاللَّهِ لَنْ أُرْتَبِطُ بغيرِهِ.. بِكَيْتُ
وَنَأَيْتُ وَقُمْتُ بِالْإِضْرَابِ عَنِ الْأَكْلِ.

حَتَّى وَافَقْتُ أُمِّي بِأَنْ أُرَاسِلَكَ، وَأَسْأَلُكَ هَلْ سَتَقْبَلُنِي كَمَا أَنَا الْآنَ،
هَلْ قَلْبُكَ شَاغِرٌ بَعْدِي؟ يَكْفِي مَا حَلَّ بِي بِدُونِكَ.. أَعْلَمُ بِأَنْ اللَّهُ عَاقِبُنِي
بِحُزْنِكَ، عَاقِبُنِي بِعِظْمَةِ حَبِّكَ لِي. صَدَّقْنِي أُجْبِرْتُ بِغَيْرِكَ! لَمْ يَكُنْ خِيَارِي،
وَلَمْ يَكُنْ مَطْلَبِي، فَقَطْ يَجِبُ عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ هَذَا.. لَا تَسْأَلْنِي عَنِ الْمَزِيدِ
أَرْجُوكَ. دَعُهَا تَتَوَهَّ فِي سِرَادِيْبِ النَّسِيَانِ.

- أَتَدْرِكِينَ كَمْ حَاجَتِي إِلَيْكَ مُتَضَخِّمَةً وَمُتَوَزِّمَةً، أَصْبِرِي سَأُنْبِي
دِرَاسَتِي وَرَبَّ الْبَيْتِ الْمُبَارَكِ سَأْتِي لِخَطْفِكَ.

- طَيِّبَ مَا رَأَيْكَ لَوْ قُلْتُ لَكَ سَوْفَ أَكُونُ حَيْثُ أَنْتَ الْآنَ!

- كَيْفَ!؟

- أقنع أخي سالم أمي بالحلول إليك، ليس بالمعنى الحرفي إنّما مجازاً، لأنّي كما تعرف مُقعدة والعلاج هنا في السعودية مُكلفٌ نوعاً ما.. سأكون هناك مع أخي سالم خلال الأيام المُقبلة.. هناك مستشفى سمعته طيبة وسعره مُناسب فكما تعلم عملة الريال أقوى من الروبية.

دبّت في جسدي رعشة مُنعشة.. حينما قرأتُ رسالتك الأخيرة.
قدومك إليّ مُعجزة أخرى من مُعجزات الإله العزيز..

- كيف تقضي أيامك ومع من تُشاطر حياتك أمع صديقٍ ما؟
سألتي.

- نعم يا جنان تعرّفتُ على طالبٍ مجيّدٍ في دراسته حقاً.. حلمه بأن يكون طبيباً بارعاً بقي له ترم واحد فقط ويتخرج واسمه محمد..
مُثقف من الطراز العريق، رجل بمعنى الكلمة مع أنّه يكبرني بسنوات إلّا أنّه يحترمني ويقدرني، رجل باكستاني الأصل يتكلم بخمس لغات، أولها العربية والإنجليزية، والتركية ثمّ الفارسية وطبعاً الأوردية قضى فترة ليست بالبيسة من عمره وطفولته في الإمارات مع والديه ثمّ ما لبث إلّا وأن رجع فسكن مع جدّه هنا.

- أما الثاني واسمه عاطف فهو عطوف كاسمه وشخصيته نموذجية لكل فتاةٍ تعشق الجمال فهو جميلٌ وسيم ولكنّه في بعض المرات مغرور وسليط اللسان، ففي النهاية هو من الطبقة الراقية والفارهة التي تتوسّط البلد ولا ضير من تكبّره في هذه الحالة..

فوالده صاحب أكبر متاجر الذهب في المنطقة.

نقضي معظم الوقت في مقهى الأمير نستذكر دروسنا أو نُثرثر عن الكثير من الأشياء.

- قُلْتُ في رسالتك ساخرة: ابنِ علاقتك مع عاطف وشدّ الوثاق لعلّه يُفيدك لاحقاً بثروته الطائلة!

- حسنا انتبه لنفسك عزيزي.. تعبتُ سأستسلم للنوم.. أتمنى أن تكون بخير، مع السلامة.

- حسناً، أحبك بشراهة "جنانو" مع السلامة.

تخدرتُ بعد تلك المحادثة العظيمة، حادثتها وكأنتها زوجتي لا بل أقرب من ذلك، كيف؟ لا أعلم! كُنْتُ أرتجف أثناء الكتابة كمن ينتظر مولوداً جديداً وزوجته في غرفة الولادة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بعد تلك المحادثة انقطاع تام عن تطبيق المراسلات، فتحتُ التطبيق
مراراً وتكراراً لم أجد شيئاً يُثلج قلبي المخمور، والقلقُ يَهَبُ ذاتي.

انزاح كل تفكيري نحو فكرٍ طائشٍ موبوء بمرض الحبّ، علّها تركتني
ووجدت في غيري السعادة!!

ثلاثة أيام متواصلة عيّشتني في حيرة قاتلة، لا صوت يُريحني ولا نصّ
يُذهب عني لجة الكآبة. لم أجد لنفسي حلاً يقبضُ على حنيني بتهمة
التفرغ لحبك العنيد!

بعد أيام من تجرّع علقم الحنين، اتصل بي خالي عبد الله.
سألني عن حالي وماذا أفعل وكيف أصبحت! كان كمن يحدّ السكين
قبل غرسه..

أخيراً طعنني بحدة بقوله: هم يرتّبون لها خطيباً آخر..
مسني سوادٌ حالك كروحك الأدهم.

كُنْتُ على يقين وكُنْتُ قد أجزمتُ بأنك أصلحتِ من نفسك.. كُنْتُ
أظنّ بأنك شخصية جديدة عمّا كُنْتُ عليه سابقاً، ما بكِ تقفزين هكذا
على جراحي!

كُنْتُ كَمَنْ لَمْ يَعْذُ يَشْعُرُ سَالَتْ دَمْعَةٌ حَارَةٌ فَوْقَ خَدِّي دُونَ أَنْ أَبْكِي،
فَالرِّجَالُ لَا يَبْكُونَ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

حَتَّى وَأَنْتِ جَافِيَةٌ جَافَةٌ حَافِيَةٌ فَوْقَ كُرْسِيِّ مَتَحَرِّكُ يَعِشْقُكَ الْغُرْبَاءُ
يُرِيدُونَ قُرْبِكَ يُرِيدُونَكَ غَايَةً.. لِمَاذَا لَا يَقْتَنَعُ هَؤُلَاءُ بِنَصِيبِنَا لِمَاذَا يَشَارِكُونَنَا
فِي أَحْلَامِنَا كَكَابُوسٍ!

قُمْتُ مِنْ وَكْرِي وَاضِعًا الْجَاكِيتَ فَوْقَ أَكْتَافِي.. زَرْتُ سَالِمَ بِشَكْلِ مُدْمَرٍ
وَكَأَنَّي حُطَامَ جَسْرٍ فِي بَحْرِ هَائِجٍ.

عِنْدَمَا رَأَيْتُ سَالِمَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ قَامَ مِنْ مَقْعَدِهِ حَالًا. يَسْأَلُ عَنِ حَالِي
هَكَذَا؟

أَحْبَبْتَهُ بِسُؤَالٍ وَبَلِغَةٍ مَرْتَبِكَةً. هَلْ.. هَلْ... فَعَلًا! هِنَا أَلَيْسَ رَجُلٌ يُرِيدُهَا؟
ضَحِكْتُ سَالِمًا وَأَزَالَ الْخَوْفَ مِنْ وَجْهِهِ الْعَرِيضِ.. تَدَارَكَ وَقَالَ: صَدِيقِي
اطْمَئِنِّي فَأَخِي الْكَبِيرُ السَّكِينُ أَرَادَ مَا أَرَادَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.. رَفَضَتْ
جَنَانٌ بِشِدَّةٍ وَبِرَرَّةٍ مَوْقِفَهَا بِثِقَةٍ وَأَنَّهَا سَتَكُونُ لَكَ أَنْتَ دُونَ غَيْرِكَ.

"مَاسَاتِنَا نَحْنُ الْعَشَّاقُ فِي أَنْنَا عَاطِفِيُونَ جَدًّا لِدَرَجَةِ الضَّعْفِ،
يُصِيبُنَا الْإِنْهِيَارُ التَّامُ حِينَمَا نَرَى الْوَجْعَ يَصِيبُ مَنْ نَحِبُ وَمَنْ نَهْتَمُّ لِأَمْرِهِ".
وَكَأَنَّ الْإِرْتِبَاطَ لَا يَكُونُ كَامِلًا إِلَّا إِذَا جَرَتْ أَهْوَالٌ مِنَ الْمَصَائِبِ بَيْنَ
الْعَشَّاقِ.



بعد الجامعة طرَحَ عاطفٌ في كوزٍ عقلي فِكرةَ الذهابِ لرحلةٍ بسيطةٍ
مع محمد.. نُغَيِّرُ الجَوَّ الدراسي الذي غَمَّ علينا مع الامتحانات النهائية.. لَمْ
أكنُ أصلاً غارقاً في المذاكرة بقدرٍ ما كُنْتُ مُنْشَغِلاً بِكَ.

محمد ذلك الرجل المُهَيِّبُ وكأَنَّهُ قسيسٌ في إحدى الكنائس، شخصيته
قوية وحازمة قام عاطفٌ بتقديمي له ذات يومٍ في المقهى.. فهما يعرفان
بعضهما مُنْذُ فترةٍ ليست بالوجيزة.

لَمْ يَكُنْ لي رغبةٌ بسماعِ شيءٍ، أو التحدُّثِ مع أحدٍ. ذهبتُ معهما بلا
نفسٍ، طوال الطريق كُنْتُ أفكِّرُ بِكَ، حَالِكٌ هَيَّيْ فَيْكَ. أَنْتِ فُجُوءُ حزنٍ في
عِتمةِ ألوانِي الغامقةِ يا جنان..

فجأةً رنَّ هاتفي الجوال. وإذ به أنتِ يا رُوحِي يا جنانِ عمري.. ولأول مرَّةٍ
تتصلين كيف سيكون موقفي من صوتك كيف لطبيلات أذني أن تسمع
وتستقبل موجاتك الصوتية بعد مدَّةٍ من غيابٍ دفين!

ضغطتُ فوق زرِّ الرد: ألو.

- ألو.. مرحباً يا سُكَّر.

جاءني صوتك عميقاً، حانياً هادئاً.

- ألو...!! أهلاً سلمان.
- كيف حالك يا مهد قلبي وجنان روحي..
- بخير والحمد لله..
- لماذا لم تخبريني؟ قطعتِ راحة بدني من شدّة القلق والخوف.
- آسف، حدث كلّ ذلك فجأة.. ولم أرد أن أزعجك في شيء تافه
مجرد خدش في حياتي وتختفي مع الزمن.
- المهمم عزيزي سلوم، قريباً سأكون حيثُ أنت ربّما بعد شهرين!
تحمل غيابي يا أغلى ناسي.
- أنتظرِكِ بشوق. "ونار الشوق أشدّ حرارة من الحبّ نفسه. يا
وجعي".
- هل انتهت سنتك الأولى في الجامعة؟
- نعم انتهت يا حبيبتني!
- آسف نسيتُ أن أسألك، بأيّ قسمٍ أنت؟
- قانون..
- رائع، تخصصّ ثقيل جداً..
- حسناً سوف أنام الآن وسأحدثك لاحقاً، شكراً لقلقك، وآسف
على تقصيري معك..

- لا بأس استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه.

لا زلتُ أطمعُ بالمزيدِ منها، فأسرارِ فتنها استمرت بالتعدد، صوتها
الناعم الآخذ للألباب كتغريد طيرٍ من طيور الجنة تسلبني كلَّ عقلي
فتجعلني صورة من غباء داخل إطار الجنون.

بعد انتهائي من المكالمة كان عاطف ومحمد كلاهما يُنظران باتجاهي
فارتسمت ابتسامة طفيفة فوق شفثتهما. قالوا: حبيبتك أليس كذلك؟
تلك التي تتحدث عنها باستمرار! صدعت رأسنا بها يا رجل.

قُلْتُ مُمَازِحاً: لا لم تكن حبيبتي كُنْتُ أَكَلِّمُ بَقْرَةَ جَارَتِنَا فِي الْحَي.

وصلنا إلى حيثُ أخذنا عاطف، ما أجمل الطبيعة أنفاسها هادئة جداً
تسمعُ خرير الماء وهو يجذبك بصوته، لتشعر بطعم الحياة وتجعلك
تتنفس أكسجيناً نظيفاً.. بعيداً عن ضباب المدينة وكدرها الدائم.

بينما خرجا محمد وعاطف للسباحة والتنزّه.. حبستُ نفسي بين
جدران الكوخ الخشبية بُتٌ وحدي، يغازلني عبراتك المستوطنة في تاريخي،
كوطني حرّ يثور شعبه حباً وشغفاً.

كُنْتُ عاجزاً أمام خصوبتك ارتمضَ قلقي في طبيعتك فأصبحتُ

أَغْبَطُكَ.. مَصْلُوبَةٌ أَنْتِ فِي دِيَانَتِي. غَفَرْتُ لَكَ يَا جَنَّانَ، غَارِقٌ أَنَا فِي ذَنْوِي
بِكَ.

أَخَذْتُ هَاتِفِي وَقُمْتُ بِمِرَاسَلَتِكَ مَجْدِّدًا وَمَجْدِّدًا، وَلَا أَنْتَهِي مِنْكَ
حَتَّى أَرْتَوِي مِنْ شَمُوحِكَ.. حَتَّى عِنْدَمَا تَسْتِيقِظِينَ تَنْتَفِضِينَ بِرِسَائِلِي
وَتَتَمَسَّكِينَ بِي.

مَتَسَرِّبٌ أَنَا فِي كُلِّ حَالَاتِكَ وَفِي اسْتَوَائِكَ أَنَا كَخَلْخَالٍ شَعْبِي.

أَنْشَاءُ غَرَقِي فِي رِبُوعِكَ الْإِسْتِثْنَائِيَّةِ اسْتَأْذَنْتُ مِنْ خِيَالِكَ لِبُرْهَةِ لِاتِّصَلُ
بِأُمِّي الْغَالِيَّةِ.. قَبَلْتُ جِبِينَ الْهَاتِفِ وَكَأَنَّيْ أُقْبَلُ جِبِينَهَا أَفْرَعْتُ أَكْوَامَ
الْحَزَنِ فِي جَنَّةِ أُمِّي، هَشَمْتَنِي بِقُوَّةِ أَسْلُوبِهَا فِي الْكَلَامِ.. أُمِّي تَلِكُ السَّيِّدَةُ
الْأُرْسُتُقْرَاطِيَّةِ سُلْطَانَةُ فِي دِيَارِهَا.. كَعَادَتِهَا.

شَكُوتُ لَهَا تَعْبِي وَقُلْتُ لَهَا بِكُلِّ إِصْرَارٍ: أُمِّي، حَلْمِي وَأَمْنِيَّتِي، تَدَارِكْنِي
يَا أُمِّي أَرْجُوكِ ابْعَثِي فِي حَيَاتِي حَيَاةً. مُبْتَغَايَ يَا أُمِّي هِيَ جَنَّانُ خُذِي بِيَدِهَا
فِي بَدْخِي..

قَطَعْتُ أُمِّي سَكْرَتِي تَلِكُ عَلَى عَجَلٍ: حَسَنًا الْيَوْمَ يَا بَنِي الْيَوْمِ بِإِذْنِ اللَّهِ
سَوْفَ أَذْهَبُ.. أَيُّهُونَ عَلَيَّ سَقُوطُكَ يَا عَزِيزِي!

قَاوَمَ وَالِدِي رَغْبَتِي فِي الْبِدَايَةِ مَتَحَجَّجًا بِكُونَ الْغُرَبَاءِ اجْتَا حَاوَا سِحْرَكَ
ذَاتَ يَوْمٍ فَأُجْهِرُوا بِجَمَالِكَ وَانْقَرَضُوا.

لَكِنْ بِسَبَبِ أَوْامِرِ أُمِّي الْاِسْتِرَاكِيَّةِ وَعِنَادِهَا الْمُسْتَقِيمِ.. سُرْعَانَ مَا
تَنَازَلَ أَبِي عَنِ مِبَادِئِهِ الرَّأْسِ مَالِيَّةً.

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَصْبَحْتُ مُدْلِلًا فِي غَيْبِوْبَتِكَ.. وَاقْفَتِ السُّتُّ بِهَيْئَةٍ عَلَى
خِطْبَتِنَا بَعْدَ جُهْدٍ وَصَبْرٍ وَمَعَانَاةٍ..

كُنْتُ أَسْعِدُ إِنْسَانَ فِي الْعَالَمِ آنَذَاكَ بَعْدَ أَنْ أَنْهَكِنِي الْجَفَافُ، بَعْدَ أَنْ
تَخَلَّى عَنِّي الْقَدْرُ فِي زَوْبَعَتِهِ الْمُفْجِعَةِ ذَاتَ دَهْرٍ.

وَأخِيرًا، اشْتَعَلَتْ قَنَادِيلُ الْوَدِّ فِي ظِلَامِ أَيَامِنَا. هَا قَدْ أَنْ لِلشَّمْسِ أَنْ
تَشْرُقَ وَتَعِيدَ النُّورَ لِأَرْضِنَا الْمُحْتَلَّةِ.

ارْتَجَفْتُ مِنْ شِدَّةِ ذَهُولِي الْمَفْرَحِ.

انْهَمَرْتُ عَلَيْهَا كَالْمَطَرِ، فَفَاحَتْ رَائِحَةُ الْجِنَانِ مِنْ مَقْلَتَيْهَا الْهَادِرَتَيْنِ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ اتَّصَلْتُ بِبِي السُّتِّ بِهَيْئَةٍ.

- سَلْمَانَ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَقَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ، أُرِيدُهَا بِأَنْ تَكُونَ سَعِيدَةً،

فَبَدَأْتُ تَسْرُدُنِي شُرُوطَ الْخُطْبَةِ وَالزَّوْجِ لِأَحْقًا، قَالَتْ كُلُّ مَا يَهْمَنِي

هي مصلحتها، ولا أريدها أن تكون وحيدة. وألا تجعلها تُعاني، فقد عانتُ ما يكفي.. رحم الله ثباتك وأعزك في دارك.

وقتها اتفقنا على كل شيء.. وقالت بأن عليّ التركيز في دراستي أولاً ثم لكلّ حادثٍ حديث. وعدتها ودعوتُ لها بكلّ خير.

لم أصدّق المُجريات التي حدثت.. لم أصدّق بأنّ الأمر مرّ بكلّ سهولة.. بلا ضررٍ يجثيني على ركبتيّ وبلا هيمنة على طاقتي لا أقدرُ على حمل أثقالها لاحقاً.

يومذاك توالى الاتّصالات والرسائل عليّ.. وكأني موظف في شركة اتّصالات.

أيضاً اتصلتُ ربيعُ عمري، غريب لم أجد السعادة في صوتها، كانت كئيبة، تلحّ عليّ بأنّ أرسل إليها خاتماً منقوشاً فوقه الحرف الأول من اسمينا.

قلتُ لها: لا بأس، لك ذلك.

أضافت: من الضروري أن نقوم بالعادة، هل باستطاعتك القدوم والرجوع إلى المملكة!؟

هَدَيَانُ عَاشِقٍ

قُلْتُ: لا مع الأُسف لديّ بحثٌ عليّ يجب إنّهائه وتسليمه قبل انقضاء الإجازة.

قالتُ وفي صوتها هديلاً حزن: حسناً، إذأ سوف أقوم بالمراسم وحدي. كان الأمر عجبياً، كمن يدخل الجنة ويقول كلّ العناء كان لأجل شيءٍ كهذا.

ندبَ الشحوب وجهي وانعتقتُ في قيود الغربة.

شكوتُ هَيّ لمحمد.. فلازمي تلك الليلة كمريض أنا وهو يحتضر.

قال لي: لا تدقق في كلّ شيءٍ فكّر بالغد فكّر بمن ستزور حياتك فأحسن الزيارة، لماذا دائماً تُكَبِّرُ صغائر الأمور يا رجل.. لعلّ الأيام الجميلة قادمة وستحرّرك من أملك العتيق هذا.

ضرب على كتفي وأضاف: لا تفكّر، لا تفكّر.

وبعد غد امتلأ هاتفي لأوّل مرّة بالرسائل المهنئة والمُستبشرة من الأقارب ومن له صفة.

أذكرُ حماستك تلك الأيام، لدرجة أنّك التقطتَ صوراً لنفسك وأنتِ بأبهى حلّة.. فأرسلتُ إليّ تلك الصور ولا يكاد الابتسامة تشيخُ من وجهك الدافئ.

كدتُ أختنق بروعتك يا جنان عمري.

لم أر في حياتي مثل بريقها إطلاقاً.. بأيِّ جمالٍ لؤلؤي أنرتِ صدفةً

قلبي يا جنان، والخجل يحتاجك!!

أغراني اقتحامك المثالي كخيّلِ جامع.. وبنظرة شهية متحدية، وقعتُ

فريسة في شباك تطرفك الأنثوي يا باذخة الأنوثة.

أرسلت: ما رأيك بملابسي الكشميرية الطراز؟

لا أعلم لماذا ذكرتِ الملابس من الأساس؟ ولكن اعلمي يا حلوتي، ليس

في اللباس قيمةٌ أو ميزةٌ تُذكر بل ما يميّزها هو فيمن يرتديها.

لكن تَرَكتِ في نفسي شعوراً مُخزماً بسبب جلوسك على ذلك الكرسي

المتطرف.. فلم أعلق بالرغم من أنّ منظرِكَ وأنتِ نصّفِ كاملة أمتني

بعمق. تلك اليافعة النشيطة لو مشتُ لكنتِ تجاوزتِ العالم في أيام.

أرسلتُ: فهي تناسبك يا أغلى الأحباب، تبدين كممثلة متعطّشة

للرومانسية.

أرى إبداع الجمال فيك، أعلم بأنني أَدندن على لقاءٍ بعيد فلا نعلم

عن الظروف وكيف ستؤول!

عسى الله أن يقربها ويقرب أوطاننا في كوكبٍ واحد.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

نسيْتُ اضطرابات العالم، أقفلتُ غرفتي واستويتُ فوق عرشي وفي
يدي هاتفي، أرسلك طوال اليوم، لا يكاد الهاتف ينزاح من يدي إلا
لقضاء الحاجة أو للصلاة.

بالكاد أكملتُ البحث العلمي المطلوب مني.. أكتب هنا ومن جهة أخرى
أناظر شاشة الهاتف أنتظر رسائلك العفوية بشوق.. اهتزت منبهات قلبي
في ظرف لحظة حينما سمعتُ نغمة الرسائل..
أرسلت: أصبحت غيبياً من أجلي يا سلمان.

أرسلت: أه يا جنان أما تعلمين بأنّ العشق يجعل الناس أغبياء
فالحبّ أعمى، ينسى الرجل عقله في حضرة فخامتكم يا قدرتي.. شكراً يا
جنان لإحسانك لي.

أرسلت: رعاك الله يا حبيبي أنتظرُ إبداعاتك بفارغ الصبر، ولكن اعلم
إنّ تهاونت في دروسك فأنت عجوزٌ أحمق.

أرسلت: آخ منك يا حلوتي، عجوزٌ أحمق مرّة واحدة، لا أدري من أين
تأتين بهذه الشتائم اللذيذة!

أرسلت: حبيبي أَلَمْ تسمع بقول هنري فورد عندما قال:

"إنّ أيّ شخصٍ يتوقف عن التعلّم فهو عجوز سواء كان في العشرين
أو الثمانين".

أرسلتُ: هيه يا جنان، ثقافتك محدودة أما تعلمين أنّ هنري فورد صاحب هذه المقولة، لم يكمل دراسته من الأساس.

أرسلتُ: حبيبي أرجوك دعك من الفلسفة الآن والتكرار الزائد للكلام..
أضفتُ: إذا فكّرتَ ولو للحظة بالتوقف عن الدراسة فأنتَ كائنٌ أحمق لا يستحقّ أن أطلق عليه لقب الزوج مُستقبلاً.
لم أسأم منك أبداً..

مللتُ أنتِ، فُلبتِ: سلمان أصابعي تخذّرت من الكتابة، الآن اهتم ببحثك.. أضفتُ: حبيبي سلمان مستقبلك، أهمّ مني!
فالدراصة بجهدٍ أكبر تُجنّبك إخفاقات الحياة مُستقبلاً.

أرسلتُ إليها: لا تتأخري كثيراً في رسائلك يا غاليتي، أرجوك لا تقاطعي منتوجات قلبي بغيابك لساعاتٍ وأيام.. أريدك حاضرة متّصلة في كلّ مرة، حتى أسجّل حضوري معك على منصّة واحدة.
- في انتظار رسائلك على أحرّ من الجمر..



أشعر بأنني أنهكتُ في بلد لم أعهد العيش فيه مطلقاً، أرهقتني كسلُ

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الأيام فيها، أتممتُ لو أنني أركلها من الخلف لكي تتقدم بسرعة أكبر مما ينبغي.

كُنْتُ أَظُنُّ بِأَنَّي سَأُخَلِدُ فِي وَحْدَتِي، دُونَ أَنْ يَدْرِكَنِي أَحَدٌ فِي بؤْسِي تِلْكَ.
مَضَتِ الْأَشْهُرُ يَسِيرًا بِالرَّغْمِ مِنْ بَطْنِهَا الشَّدِيدِ، اتَّخَذْتُني صَدِيقًا لْغَرِبَاءِ
دَخَلُوا فِي غَابَتِي ذَاتَ صَدْفَةٍ.

حِينَهَا حَوَّلْنَا شِقَّةَ عَاطِفٍ إِلَى مَهْزَلَةٍ شَبَابِيَّةٍ، نَقَضِي فِيهَا أَوْقَاتَ
فِرَاغِنَا.. بِشَيْئِ الْأَلْعَابِ وَالتَّحْدِيَّاتِ وَكَأَنَّنا فِي سَكْرَةٍ مُقِيمَةٍ.

سَأَلْتُ مُحَمَّدًا: هَلْ تُحِبُّ!!

كَانَ السُّؤَالُ مُبَاغِتًا، نَظَرَ مُحَمَّدٌ نَحْوِي اقْتَرَبَ فِهْمَسَ فِي أذْنِي: نَعَمْ
مُنْذُ الطِّفْلِ.. أَحِبُّهَا هِيَ رُوحِي وَسَحَابَةٌ عَمْرِي، فَنَاحَ مِنْ مَقْعَدِهِ رَفَعَ
أَهَازِيحَ صَوْتَهُ وَأَكْمَلَ:

قَرِيبًا جَدًّا سَوْفَ اجْتَمَعَ بِهَا فِي عُنْشِ الزَّوْجِيَّةِ وَأَنْسَى كَوْنِي عَازِبًا،
وَسَأَسْبِحُ فِي بَحْرِ آخِرٍ لَا أَعْلَمُ إِنْ كُنْتُ سَأَغْرُقُ أَمْ أَبْقَى فَوْقَ الْغَصْنِ حَتَّى
النَّجَاةِ، طَبْعًا سَتَكُونُ مَعْرَكَةً نَبِيلَةً جُنُودَهَا أَطْفَالُنَا وَقُوَادِمُنَا أَنَا وَزَوْجَتِي.

أَرْدَفْتُ قَائِلًا:

أَغْبَطُكَ يَا مُحَمَّدًا.

- على ماذا؟

لأنك محظوظ.. ستُعانق محبوبتك ذات دهر بلا معاناة ولا عذاب..
هل أصابك الوهن قطّ يا أستاذي! هل أحزنتك يوماً؟

- أنصت إليّ يا سلمان، أنصت جيداً.. لا حياة بلا كبد ولا عُسر بلا
يُسْر.. ولا حبّ بلا عيوب. كلُّنا نمرّ بمثل هذه العقبات ولكن قليلٌ
منّا يتجاوزها بحكمة.. كن حكيمَ حياتك تنجو من عثراتٍ كثيرة.

"يا ليتني أخذتُ بما قاله محمد آنذاك بعين الاعتبار".

بعد تلك السهرة الثقيلة.. رحّت لشقّتي مشياً أواكب الجوّ البارد
وأخذتُ من البخار الخارج من فمي حطب دفاء ليدّي المتجمدتين.
دلفتُ خالعاً معطفي.

جلستُ قُرب النافذة موجّهاً بصري نحو المطر الذي بدأ ينهمر رويداً
رويداً.. حاولتُ تلك القطرات المتفتّنة إنعاش روعي فتحُتكَ بزجاج النافذة
وتركني سقيماً.

اتّصلتُ بي تلك الليلة.. واخترقتُ هدوء المطر وقرقرة الباب المزعج.

- سلمان، اشتقتُ إليك، اشتقتُ لصوتك.. هل أستطيع سماع
صوتك الخارق لقلبي.

- قُلْتُ: بَلِ صُوْتُكَ الْأَمَانُ كُلَّهُ.
- قُلْتُ: مَاذَا تَفْعَلُ هَلْ نَمَتَ أُمُّ مَاذَا؟
- أَجَبْتُكَ: لَا زِلْتُ مُسْتَيْقِظًا.. أَسْتَمِعُ إِلَى أَغْنِيَةِ رُوسِيَّةٍ وَأُرَاقِبُ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ وَهِيَ تَصْطَدِمُ بِالنَّافِذَةِ.
- قُلْتُ مُسْتَغْرِبَةً: أَغْنِيَةُ رُوسِيَّةٍ!؟
- أَجَبْتُكَ: نَعَمْ أَغْنِيَةُ رُوسِيَّةٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّي لَا أَفْهَمُ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلَكِنَّهَا تُهْدِي إِلَى رَاحَةٍ غَرِيبَةٍ تَجْعَلُنِي أَنْعَسُ وَأَرْغَبُ بِالنُّوْمِ.
- اسْتَلَمْتُ مِنْكَ مَقُودَ الْأَسْئَلَةِ: وَأَنْتِ مَاذَا تَفْعَلِينَ؟
- أَجَبْتُ: كُنْتُ أَقْرَأُ.
- سَأَلْتُكَ: مَاذَا تَقْرَأِينَ؟
- أَجَبْتُ: أَقْرَأُ. رِوَايَةَ أَثِيرِ عَبْدِ اللَّهِ النَّشْعِي (أَحْبَبْتُكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي).
- قُلْتُ: أَحْسَنْتِ الْاِخْتِيَارَ يَا جَنَّانَ.
- قُلْتُ: أَلَمْ تَشْعُرِي بِأَنَّ جَمَانَةَ بَطْلَةَ الرِّوَايَةِ تُشْبِهُكَ يَا سَلْمَانَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا أَنْثَى، فَهِيَ تُشْبِهُكَ فِي الْمَخْزُونِ الْهَائِلِ مِنَ الْمَشَاعِرِ الَّتِي اِكْتَنَزَتْهَا لِحُبِّيهِهَا عَزِيزًا، وَأَنْتَ كَذَلِكَ تَكْتَنِزُ لِي صِنَاآآآآآآآ دِيقٍ مِنَ الْمَشَاعِرِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- أُجبتكِ ضاحكاً: لا أدري يا عزيز. فأنا التي انهيرتُ بك، ولذلك لم
أتحمل الكَمَّ الهائل من المشاعر التي تختزل في داخلي لأجلك.
- قُلْتِ ساخرة: ها ها ها. لا تشبّهني بعزيز.. فعزيز شخصٌ غير مبال
شخصٌ قاسٍ جداً!!

وأنا لستُ قاسية كما تظن، إنّما وطن احتويك وعاصمته أنت يا
سيدي.

لم أنتبه إلا وحلّ الفجر، وهاتفي مُغمّى عليه بجانبٍ لم أشعر بالوقتِ
معك، ولم أشعر بأنني نمتُ على صوتكِ الهادر.





دَهْنِ الشِّتَاءِ قَسَمَاتٍ وَجِهِي، تَدَخَّرَجُ البَرْدَ القَارِسَ فَجَاءَ بَيْنَ أَرْقَةِ
المَدِينَةِ، أَصْبَحْتُ أَرَى كَوَابِيْسَ مُفْجَعَةً أَرَاكِ وَأَنْتِ مُنْصَرِفَةٌ عَن حَيَاتِي،
تَضْحَكِينَ بِحَرَارَةٍ وَتَقُولِينَ وَأَسْنَانِكَ بَارِزَةٌ كَلْبُوءَةٌ شَرِيرَةٌ: خُذِ انتِقَامِي، هَذَا
انتِقَامِي مِنْكَ يَا عَثْرَةَ حَظِي.

فِي كُلِّ شِتَاءٍ قَارِسٍ أَثْنَاءَ نَوْمِي، تَزُورُنِي الكَوَابِيْسُ كَثِيرًا أَقُومُ فَرَعًا
وَأَتَعَوِّذُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

فِي ظَهْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ كُنْتُ عَلَى وَشِكِّ الانْصِرَافِ مِنَ الجَامِعَةِ حَتَّى رَنَّ
هَاتِفِي بِرَقْمٍ غَرِيبٍ.

أَجَبْتَهُ: أَلُو، نَعَمْ..

وَإِذْ بِهِ صَوْتُكَ الرَّخِيمِ.

- أَنْتَظِرُكَ، أَنَا الْآنَ عِنْدَ أَخِي سَالِمٍ.

مَرْحَبًا بِكَ بَيْنَ أَحِبَابِكَ، يَا بَدْرَ عَتَمَتِي.

مَرْحَبًا بِكَ يَا جَنَّانَ عَمْرِي، مَرْحَبًا بِكَ يَا كُلَّ أَحْلَامِي..

جئْتُ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِكَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

لَمْ أَقَاوِمُ لِدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْحَنُونِ، إِلَى وَجْهِكَ الَّذِي لَمْ أَنْسَاهُ
مطلقاً وَلَنْ أَنْسَاهُ دَهراً.

ولمَّا رأيتُكَ، كلَّ حَزْنٍ مَعَمَّرٍ بِدَاخِلِي التَّوَى وَذَابَ.. لَمَسَنِي الْحَبِّ لَمْسَةً
سَاحِرًا، جَلَسْتُ أَتَأَمَّلُكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْتَسِي مِنْ جَمَالِكَ السُّكَّرِ وَالنَّبِيدِ،
تَعَرَّبِدُ رُوحِي عَرِيدَةً كُلَّهَا وَقَارًا.

أردتُ ضَمَّكَ إِلَى صَدْرِي، وَتَقْبِيلِكَ وَاللَّعِبَ بِخُصَلَاتِ شَعْرِكَ، وَلَكِنَّ
الْحَيَاءَ وَوُجُودَ أَخِيكَ عَنَّفَانِي لِأَلْتَزِمَ بِالْأَدَبِ.. بَعَكَازِينَ قُمتِ وَبِخَطَوَاتِ
عَفيفَةٍ صَغِيرَةٍ بَدَأْتَ تَمْشِينَ حَذَوِي حَتَّى كَدتِ تَسْقُطِينَ فَمَسَكْتِكِ مِنْ
ذِرَاعِيكَ الْحَانِيَتَيْنِ، ضَحَكْتِ هَكَذَا بِلَا سَبَبٍ.. لَا أَعْلَمُ لِمَاذَا كَانَتْ تِلْكَ
الضَّحْكَةُ الْمُفَاجِئَةَ، وَالِابْتِسَامَةَ الْخَاطِفَةَ!

تَجَادَلْنَا، وَتَعَارَكْنَا بِوَسَادَةِ الْحَدِيثِ، سَالِمٌ كَانَ يُنْظَرُ إِلَيْنَا نَظْرَةَ
الْمَغْلُوبِ عَلَى أَمْرِهِ، نَسِينَاهُ فِي لَجَّتِنَا تِلْكَ.. هَمَّيَمَ بِصَوْتِ خَافَتِ "كَمْ أَنْتِ
سَعِيدَةٌ يَا جَنَّانَ، لَمْ تَكُونِي هَكَذَا سَابِقاً لَمْ أُرْكَ فِي حَيَاتِي تَبْتَسِمِينَ كَمَا
الْيَوْمَ. أَدَامَ اللَّهُ حَبَّكَمَا وَجَمْعَكُمَا فِي خَيْرٍ."

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قُمتِ مُتَحَمِّسَةً تُريدِينَ الخُروجَ والتَنزّهَ قليلاً، اتَّكَأتِ بكَتفي وتَرَبَّعتِ
فوقَ الكُرسِيِّ المُتَحَرِّكِ.

خَرَجْتُ بِكَ مُسْرِعاً وشَقيقَكَ يَنظُرُ إلينا بِتَعَجُّبٍ مُريبٍ.. إلى أين؟
أُحِبُّهُ: لا تَقْلِقِ. سَوفَ أُعِيدُها بَعدَ أنَ أَفرِغَ لَها ما في قَلْبِي مِن هَوسٍ
بِها ونَرفَعُ السِتارَ عَن خَفايا قَلْبينا.

بَينَ الأشجارِ ضَبعنا، وَأَصابِعنا تَلامسُ بَعضُها البَعضَ، والحِياءُ يُربِكُ
مَمشاننا..

قُلْتُ بِسُرورٍ: سَلمانَ أُمسِكُ بَيدي؟ وكأَنَّنا زَوجانُ مِن طَيرٍ.

- ماذا!!! كَيفَ!؟

هَيا أَلَمْ تَسمعَ أُمسِكُ بَيدي!

كَادَ قَلْبِي يَنفَجرُ مِن قَوةِ الدَقْدَقَةِ.. احتَضَنتُ كَفَّكَ بِكَفِّي، وأَقبَلْتُ
مُفتَعِلاً قَبْلَةَ فِوقَ جَيبِكَ.

- أُحِبُّكَ بِكُلِّ ما فيكَ.

تَكلِّمُ يا سَلمانَ، أنا جِئْتُ وَيَقْتُلُنِي الشَوقُ، تَكلِّمُ وَأَنعِشُ دَواخِلي قليلاً..

أنثر فوقِي زقزقة أشعارك. تكلم عن أحوالك.. عن أيامك.. عن أصحابك..!
عن ديارك..!

تكلم وفض فض إليّ بروحك، أغدق دمي بدمك..! أتحنّفي برونق
صوتك..!

قلْتُ بغير تركيز ونظرتي سارحة في عينيك: أريد أن أستركِ عن أعين
البشر، أريد أن أتمل في رحاب سعادتك، أريد منك حباً لا عدمتها لاحقاً.
أرى الفجر في عينيك، أرى الكون في عينيك، أرى البراءة في عينيك.
أقسم بأنني أكثر الرجال هيبَةً بكِ فوق هذه البسيطة.
نثرتُ لها بكلّ شيء وعن كلّ شيء.

سألتكِ: كيف ترككِ خطيبك القديم هكذا دونما عذابٍ وندم!
قلتِ وقد تغيّرت ملامح وجهك: أرجوكِ سلمان لا تفتح أبواب الماضي،
ألم أقل لك دعها تتوه في سراديب النسيان، ما حدث قد حدث! كانت
غلطة، والله لم أفكر به قطّ كحبيب أو زوج،

في ناصية حزني كنت أرفع أكفي لرب العالمين أن يجيرني من بلائي،
حتى تعبتُ نفسياً، لم أكنُ أطيقه كنت أراه كعفريت، تقزّزتُ آنذاك
من كلّ رجال العالم سوى منك، كنتُ أملُ روحي المنتظر كنتُ رؤيتي

التطّعية، أنتَ لم تُحارب حتى، لماذا تركتني في قبو التعاسة؟ لماذا لم تُحارب لأخذي، لخطفي!؟

قُلْتُ: حاولتُ وحاولتُ ولكنك كُنتِ سعيدة "كما قالوا". لذا قُلْتُ في نفسي لعلها كانت نزوة شيطان فانبرى. "كما قالت هي تلك الأيام" فاستسلمتُ، وأنا إنسانٌ ضعيفٌ أستسلم في أول بادرة من بوادر المصيبة كما تعلمين.

تَطَرَّقْتُ مَغْيَرًا سِيَاقَ الْحَدِيثِ: آخٍ مِنْكَ يَا سَلْمَانَ، تَتَحَدَّثُ وَكَأَنَّكَ رَجُلٌ مِنَ الْقُرُونِ الْوَسْطَى، تَنْثُرُ بِقَايَاكَ عَلَى هَامِشِ حَدِيثٍ قَدْ قِيلَ، وَلَا تَتَحَرَّكُ لِلْبَحْثِ عَنِ الدَّلِيلِ.

هَلْ تُرِيدُنِي أَنْ أَنْصَحَكَ يَا عَزِيزِي قَبْلَ أَنْ نَرْتَبِطَ رَسْمِيًّا.. أَرْجُوكُ خَقَّفَ مِنْ حِدَّةِ حَبِّكَ لِي!

قُلْتُ لَكَ وَالْحَيْرَةَ مَرْسُومَةَ فَوْقَ مَحْيَايَ:

أَحَبُّكَ رَغْمًا عَنِّي فَفْتَاةٌ مِثْلَكَ لَا تُنْسَى بِسَهُولَةٍ وَلَا تَمُوتُ وَلَا تَرْحَلُ كَبَاقِي النِّسَاءِ!

مِنْكَ أَسْتَمِدُّ الْقُوَّةَ، أَنْتِ يَا نَازِحَةَ قَلْبِي!

قُلْتُ مُتَسَائِلَةً: أَمَا زِلْتِ تُحَبِّبِ الْكُتُبَ، وَتَكْتُبِ الْأَشْعَارَ يَا مَلَاذِي؟

- لا أكذب إن قلتُ لكِ بأنِّي أُحِبُّ الكُتُبَ وأتذوِّقُ الشعرَ، ولكنني أشعر بالخوف اللّا إرادي حينما أكتب شعراً أو بضع كلماتٍ منمّقة.. لأنّ الشعراء يا عزيزتي أكثر هشاشة عن بقيّة الخلق.. قد يعيشون بتفاخر وحكمة.. لكنّ أحزانهم لا تعرف حدّاً فتتوقف عندها.

أمضتُ ابتسامة تعجّب. أدركتها لاحقاً بسخرية: إذاً فكلّ شاعرٍ حزينٍ وليس كلّ حزينٍ شاعرٍ.

- عجباً لأمرك! متى أصبحتِ حكيمة يا لطيفة؟
قُلتي: مُنذ أن قابلتُك يا لطيف.

- أخذتِ عقلي في كلّ شيء يا مجنونتي حتى مزاحك يُشبهك شهياً لذيذاً.

نسينا الوقت، فلقد داهم الليل أطياف النهار فأطفأتها.
أدركتُ الوقت في أطرافه: جنان، حبيبتي تأخّر الوقت هيا سأوصلك..
هيا، لا بد بأنّ سالم قلقٌ عليك الآن والأمرُ الآخر يجبُ أن تأخذي قسطاً من الراحة.

أُمّ ما رأيكِ تأتيين معي لشقّتي!؟

قُلْتِ نَافِثًا عَن غِيظِكِ الجَمِيلِ: يا مُنحرف عيبٌ عَليكَ، صَدَّقني لَن تلمسني حَتى نَتزَوج، ولَن أَتَزَوج حَتى تَجِدَ وظيفَةَ مرموقَةَ لا أريدُ أَن أَكونَ يَتيمَةَ المَالِ كَمَا يَتيمَةَ الأبِ.

ضَحَكْتُ وَتَهَامَسْتُ بِهَمْزَةِ الاستِياءِ: كَم أَنتِ فَاتِنَةٌ.. سَريري بِدونِكَ تَابُوتٌ مُجمَدٌ، أَنتَظِرُ حَنانَكَ بِكُلِّ كيانِي.

كانَ حَدِيثًا ممتعًا، حَتى أَرَكْنُهَا إِلى وَجْهَتِها وَأَنا إِلى كَهْفِي الغُرِّ.



مَضَى اليَومَ بِسَرعَةٍ مُجدِيَةٍ وَغيرِ كافِيَةٍ، كَم أَنَا مُتَناقِضٌ مَعَ الوَقتِ، قَبْلَكَ لَم أَكُنْ أَتَحَمَّلُ بَطُوعَها الرَتيبِ، وَالآنَ بَعْدَ حُضُورِكَ أريدُ أَن أَحتَضِنَه حَتى لا يَهْرَبُ مُسرِعًا كَمَا يَفْعَلُ الآنَ.

تَسَلَّلَ خِيطُ الشَّمسِ نُزْلِي، انكَبْتُ فِي الصَباحِ المُلمَمُ شَتاتَ يَومِي، تَفَقَّدْتُ هاتِفِي وَإِذِ بِالرِسائِلِ تَهالُ كَمَطَرٍ غَزيرِ.

انتهيتُ أَني نَسيتُ موعِداً مَعَ مُحَمَّدٍ، مُعَاتِباً ذاكِرتي لِائِثْمِ نَفسي.

اتصلتُ بِهِ مَنحَتَهُ حُقنَةَ اعتذارِ.. قَبِلَ اعتذارِي لَوَحٍ لي بِالقَدومِ سَريعاً.. عَندما وَصَلتُ لِمَقْهانا المُعتادِ اتَّسعَتْ حَدَقَةُ عَيني حِينَما رَأيتُ

محمد وبجانبه فتاة مُمتلئة بملامح شرقية وأخرى عربية. خليطٌ بين
العرق الصيني والعربي. كيف، لا تسألوني!

أَلْقَيْتُ تَحِيَّتِي الْمُعْتَادَةَ وَلَمْ أَمُدَّ يَدِي. مسك محمد بيدي.. بَادَرَ بِحَدِيثٍ
كَسَرَ عَنَاقِيدَ التَّعَجُّبِ فِي عَقْلِي.

- هذه حبيبتي شهناز.

- وهذا رفيقنا سلمان يا أميرتي.

انحنيتُ قليلاً احتراماً لها.. مُذَيَّلاً بقولي: أنتِ جميلة! هنيئاً لك يا
محمد أحسنت الاختيار.

انحنيتُ بدورها خجلاً، شكراً لك.

بعد بُرهة دخل ابن الكتب والأناقة.. عاطف.

دُهل من المنظر لم يكن أحد يتوقع ماهية شهناز.. كلنا حسبناها
تقليدية.. خرج محمد بذوقٍ طازج ورفيع.

وقتذاك شردتُ في هاتفي وقهوتي المُرّة تنفثُ دُخاناً غليظاً.. أتأملُ في
رغباتي.. وأضحك هكذا بلا سبب.

بينما عاطف يُجادل محمد في موضوعٍ مثير للجدل.. هل نزل البشر
فوق سطح القمر! أم أنّها مجرد تمثيلية أمريكية.. أمّا شهناز غادرتُ من

حينها مُسرعةً لانشغالها مع طلابها! فهي كانت تعمل كمعلمة "رياضيات" بإحدى المدارس الحكومية.

استيقظتُ من سرحاني تلك، بضربةٍ على الطاولة فاجأتني وأعادني إلى مُحيطي.. كان ضربة عاطف المُخيبة.. استسلم من محاولة إقناع محمد بأنّ نظرية المؤامرة مجرد حجة لفشلنا المباح.

نظر إليّ محمد بنظرة تساؤل: سلمان ما بك؟ أنتَ اليوم لستَ في وعيك؟

بادرته بالإجابة: بالأمس وصلتُ جوهرة صدري، خطيبتني جنان من السعودية، فسلبت النوم من أجفاني.

استدرك محمد: أووه جميل هنيئاً لك، لم تُعرّفنا عليها أم أنّك لا تريد؟

تكلّم عاطف وقال: لا أظنّ بأنّه سوف يعرّفنا على حبيبته، الرجل من السعودية يا محمد في داخله جذور الدين القويمة.

قُلْتُ لهما: ليس الوقتُ مُناسباً الآن أريد أن أسأل الفتاة أولاً، إنّ كانتَ ترغبُ بلقائكم! ولا أريد أن أثقل عليها لا بدّ بأنّها مُتعبة من وعشاء

السفر.. والأمر الآخر أتمها تتعب من المشي البطيء المُثقل للبدن والروح
فهي مُقعدة. آسف لأنني لم أخبركما بذلك مُسبقاً.

"أتعبُ نفسيّاً حينما ينطق لساني ويعيّرُك بأنك مُقعدة، أنتِ بالنسبة
لي كاملة بكلّ تفاصيلك. خيانة مَيّ وصفني لكِ بغير ذلك."
ردّ محمد مُعتذراً ومُتسائلاً في آنٍ معاً: أممم أنا آسف.. هلّ تسمح لي
بسؤالك.

- تفضّل..

- ماذا حدث لها حتى أصبحتُ كما هي الآن!

تهنّدتُ وجعاً فقلتُ: عاقبها الله بظنوني.. أُصيبتُ في حادثٍ مروري..
وما سببُ قدمها هنا إلا هذا! ستُجري عملية جراحية في عمودها
الفقري! وبعدها إعادة تأهيل وتمارين مُكثّفة والأمل مورود بنسبة كبيرة
لأنّ الإصابة طفيفة فلا خطر بإذن الله.

بعدها أقفلتُ الحديثَ عنها.

"كلّما تذكرتُ الماضي معكِ تمرّ من أمامي قوافلُ التعب، فأسيرُ معها
نحوكِ نحو ذكرياتك التي تُصيبني بوهن، وهنٍ مختزل بأحداث وتفاصيل
سابقة مؤلمة".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

تَجَهَّنَا بِالسُّؤَالِ نَحْوِ عَاطِفِ الْمُسْتَكِنِّ مَعَ كِتَابِهِ وَكَأَنَّهُ فِي غَيْبِيَّةٍ:
وَأَنْتَ يَا عَاطِفَ مَتَى سَيَحِلُّ الرَّبِيعُ عَلَى قَلْبِكَ؟

زَفَرَ عَمِيقاً ثُمَّ قَالَ: الْغَنِي مِنَ اسْتِغْنَى عَنِ النَّاسِ.. بِاسْتِثْنَاءِ أَسْرَتِي.. لَا
مَانِعَ لَدِي مِنْ أَنْ أَبْدَأَ جَمِيعَ عِلَاقَاتِي الشَّخْصِيَّةِ وَأَنْهِيَهَا فِي مُخِيلَتِي.. حَبِّهِمْ
أَوْ حَتَّى كَرِهَهُمْ لِي.. لَا يَهْمَنِي مَا دَامَ هَذَا لَنْ يُؤْذِينِي.. لَذَا لَا أَهْتَمُّ.

كِعَادَتِكَ يَا عَاطِفَ فِيلَسُوفٍ. أَتَمَّنِي مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ بِأَنْ يَدِشَّنُوا
اسْمَكَ بَيْنَ رَدَهَاتِ الْمَفْكَرِينَ.. قَالَهَا مُحَمَّدٌ نَاكَدًا عَلَى عَاطِفَ كِعَادَتِهِ.
تَجَاهَلُ عَاطِفَ وَنَشِزُ فَيَخْلَعُ نَعْلِيهِ فَأَفْرَغُ بَصْرَهُ فِي كِتَابِهِ مَجْدِّدًا.



جَلَدِي تَقْرَمِشُ.. وَنَفْسِي بَاتَ مَصْنَعًا مِنَ الرَّبِيبَةِ وَالتَّرِيَابِ وَالتَّخُوفِ..
التَّخُوفِ الذِّي يُشْبِهُنِي يَتَشَبَّعُ فِي مَلَامِحِي.. كَلَّ ذَلِكَ حِينَمَا عَلِمْتُ بِأَنَّكَ الْآنَ
تَتَلَفَّافِينَ بَعَثَرَتِكَ النَّاقِصَةَ إِلَى صُورَةِ سَلِيمَةٍ.

حِينَمَا أَخْبَرَنِي سَالِمٌ بِأَنَّكَ الْيَوْمَ فِي مَوْعِدٍ مَعَ الْأَلَمِ فِي مَوْعِدٍ مَعَ سَرِيرِ
أَبْيَضٍ فِي مَوْعِدٍ مَعَ آلَاتِ حَادَّةٍ تَعْفَرُ ظَهْرَكَ.. وَحُقْنَ تَتَمَرَّدُ فِي جِلْدِكَ.
"يَا لَيْتَ لَنَا اعْتِيَادَ وَفَطْنَةَ حَتَّى نَحْقِنَ أَجْسَادَنَا بِتَرْكِيبَةِ الْقُوَّةِ،
فَتُسَاهَمُ فِي رَفْعِ ثِبَاتِنَا عِنْدَ كُلِّ خَطْوَةٍ مَوْءَلَةٍ."

ضعيفٌ أنا جداً، مليء بمُدينٍ من الزهو والوصب، تنشط أضواؤها في
ظروف مؤقتة.

لمشاعري سُلطة مؤقتة تقيّدني في معصم قلبي وتتحكّم في قواني
وتغيّر قناعاتي. أخافُ الفقد أخافُ التعلّق ولكيّي تعلّقتُ ففات الأوان
فحين الفقدِ بالتأكيد ساموت.

لم تُخبرني تلك المشاغبة بموعد العملية، لا أعلم لماذا؟ هل لأنني
ضعيف وأفجع بسرعة في أحبابي! غبتُ عن جامعتي يومها.

تعطلتُ ساعات العالم بعد انتقاعِ القلق في أنفاس سعادتي.. ظللتُ
أعدّ الثواني والساعات حتى أنهى معاناتي بخبرِ تأكيد نجاح عمليتك.

مضتِ الساعات وأجفاني حذرة كثعلبٍ مكر، تفتّح تلقائياً بكلّ
حركةٍ خفيفة، في غرفة الانتظار بالمشفى اختفى جميع من حولي إلّا
سالم تهالكته عيناه فنام.

لو أتيتُ أستطيع التلصّص فأرى ما يحدث معك داخل غرفة الجراحة،
لأرى حلوتي كيف أصبحت.

في كلّ مرّة أتردّد هناك فيأمرني الحارس بالرجوع بحجّة أنه لا يُسمح
لغير الأطباء بالدخول.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قتلني غور الانتظار تناغمتُ معها أقفلتُ الراحة وفتحتُ باب
الصدمة لعلها لن تخرج.. لعلّ العملية فشلت. لعلّ... أوف تأبط اليأس
في صبري فقوَّس تفكيرِي.

فرشتُ السجادة ورحتُ أتوضأ فاستقبلتُ القبلة لأصلي ركعتين
أدعوا الله فيهما بأن يخفّف عنك، وأن تخرجي أنقى ممّا كُنْتِ.
أردتُ تشتيت الأفكار السلبية.. خرجتُ أنفَس الليل وأسمع صرصرَة
حشراتِها الداكنة.

أرعى سالم شتاتي فخرج مُنادياً.. سلمان.. حمداً لله.. أخيراً انتهى
البؤس بإذن الله.

حينما سمعتُ الحمد الخارج من فاهه بثقةٍ تامة.. انتعشَ قفصي
الصدري.

مشيتُ بخطى متناقلة كنوافذ متآكلة.. لحقتُ بها وهم يهيمون بها
خارجاً نحو غرفتها.. نظرتُ إليها كانت نائمة كأميرة حسناء كأميرة في أفلام
ديزني كبياض الثلج.. لونها كان باهتاً كانت باردة أهي جثة أم أنّها حياة..
كانت حيّة حينما حرّكت يديها.. كانت تحت تأثير المُخدّر.

هادئة كقطّة أليفة. لأول مرة يتسنى لي تأمل ملامحها الهادرة وهي

نائمة وهي مخدرة، جبينها يتحلّى بنقاط عرق كالندى، ثغرها رطب وكأَنَّها
تدعوني لتقبيلها، مسكتُ يدها فقبلتُ جبينها. ومسحتُ العرق عنها،
سترتها بدثارٍ دافئ.

بعد ساعات استمرت وكأَنَّها يوم القيامة أخيراً ارتاح القلب فنام
مطمئناً.

نمتُ وأنا ممسكٌ بيدها.

في الفجر أحسستُ بقبضة قوية تمسّ كتفي. قمتُ متوجساً "واذُ به
سالم يوقظني".

هيا قم لنذهب خارجاً. ستأتي الطبيبة لتفحص المريضة.

حينما لفتُ باتجاهها كانتُ مُستيقظة تلك المُشاعبة تتأملني بعينها
الواسعتين.. راسمةً ابتسامةً عظيمةً فوق شفرتها، ووجنتها تزهران تأنقاً
وكأنَّ هناك زهراً مغروساً فيها.

تأتأتُ في الكلام.. ولكنَّها استوقفتني أرجوك لا تُتعب نفسك فهمتُ ما
ستقول.

شكراً لك يا عزيز النفس. حديثي معها مُقتضب. أحرص بأن أمكَّنَّها
من نفسي فهي تستأنسُ بمجرد نظرة. تفهمني بكلّ جوارحي تفهمني جذلاً.
تفهمني في كلّ مرّة دون أن أبوح.

ما أَقَلِّكَ في داخلي..... وما أَكْثَرَنِي في داخلِك.

تعاركتِ مع الموت لتمنحيني حباً عظيماً يا جنان عمري.. أنتِ يا أجمل الأقدار في حياتي.. كُنْتُ أَغْزَلُكَ بينما كُنْتُ مُنْشَغَلَةً بالاستماع لي فتهوين بكلمة "أحبك نهاية كلِّ جملة كُنْتُ أقولها".



بعد كلِّ وجلٍ عاطفي نبتدئ بدايات جديدة.. اللحظة الزمنية لا تتكرر في كلِّ مرة.. ربما تتوقف الساعات وتصمُّ الأجراس في كلِّ خيبة، وفي كلِّ فقد فلا تكون هناك بدايات بل نهايات حتمية.

يعبر الوقت معك كشهابٍ خاطفٍ كطلقة رصاص.. ولا يتمهّل الزمن في وجودك.. ربما لأنك جوف الأمان.. أم مصدر أمني في جريدة يومي.
رَشَحَنِي رسالة محمد، يسأل فيه عني وعن غيابي المفاجئ، وماذا دهاني!

أخبرته بأمرك.. غضب في الوهلة الأولى لأنني لم أخبره حالاً.. وكيف أخبره وأنا الذي لم أخبر بذلك إلا حينما دلفتُ عزيزتي لغرفة الخوف.
ولم أعلم بأيّة تفاصيل أخرى سوى أنك خرجت بخيرٍ وعافية.
توالت الاتصالات على هاتف سالم. كانت الستُ بهيمة أكثر المتصلين،

تَسْأَلُ عَنكَ وَتَطْمَئِنُّ عَلَى حَالِكَ. كَمْ تَحَبُّكَ أُمَّكَ يَا تَرَى كَمْ نَسْبَةَ أُمُومَتِهَا
نَحُوكَ؟ أَغَارُ حِينَمَا أَرَى غَيْرِي يَحَبُّكَ، غَيْرِي يَطْمَئِنُّ عَلَيْكَ وَيَسْأَلُ عَنكَ
بِاسْتِمْرَارٍ.

اسْتَأْذَنَ مُحَمَّدٌ بِالْقُدُومِ.. أَشْرْتُ لَكَ بِالْأَمْرِ! فَوَافَقْتِ عَلَى مَضَضٍ..
نَهَرْتُكَ وَسَطَّرْتُ عَلَيْكَ أَوَامِرِي الْمَلَكِيَّةَ. لَا أُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَعَلَّقُوا بِكَ.. أَوْ
يَذْكُرُوكَ بِسُوءٍ.

- حَسَنًا لَا تَقْلُقْ يَا غَيُورٍ..

- إِذَا دَعَانِي أَقْبَلِ أَوْلَيْتُكَ الْقَوْمَ مَاذَا عَسَاهُمْ يَكُونُونَ يَا تَرَى؟

سؤال غريب يا غريبتي! ماذا عساهم يكونون؟ إنهم تنانين ولديهم
أنياب ضخمة.

قَلْبِي وَالبِسْمَةُ تَمَلُّأُ فَاهُكَ: سَخِيفٌ.. دَائِمًا تَحَبُّ الفِلْسُفَةَ!

وَبَعْدَ نَصْفِ سَاعَةٍ، دَخَلَ مُحَمَّدٌ مُصْطَحِبًا مَعَهُ خَطِيبَتَهُ وَعَاطِفٌ.

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ..

- وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ.. حَيَّاكُمْ الْبَارِي.

أَذْكَرُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، كَمْ وَقَفَ مُحَمَّدٌ وَعَاطِفٌ مَذْهُولِينَ غَيْرَ آيْهِينَ
بِأَفْوَاهِهِمُ الشَّاعِرَةَ..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

مُرْتَبِكُونَ مِنْ جَمَالِكِ يَا جِنَانِ عَمْرِي.

قُمْتُ مُمَسِّكاً بِذِرَاعِكَ: هَذِهِ أَجْمَلُ وَأَغْنَى وَأَرَأْفُ وَأَحْنُ كَائِنَةٌ فِي الْوُجُودِ
وَهِيَ حَبِيبَتِي وَرُوعَتِي وَنَفْسِي وَرُوحِي وَكُلِّ مَا أَمْلِكُ هَذِهِ "جِنَانٌ".

هَذَا السَّمِينُ يَا عَزِيزَتِي مُحَمَّدُ حَاجِي، وَهَذَا الْمُتَجَمِّدُ فِي الْيَسَارِ عَاطِفُ
الشَّاذِلِي..

وَتَلِكُ...!! اسْتَدْرِكُ مُحَمَّدٌ عَفْوِيَةَ الْمَوْقِفِ وَقَالَ: هَذِهِ خَطِيبَتِي شَهْنَازُ
"مُعَلِّمَةٌ مَاهِرَةٌ فِي إِحْدَى دُورِ التَّعْلِيمِ بِالْمَدِينَةِ، خُلُوقَةٌ، وَمَهْدَبَةٌ جَدًّا.
بِشَوْشَةِ الْوَجْهِ صَرِيحَةُ الْكَلَامِ.. وَمُرْشِدَةٌ نَفْسِيَّةٌ".

انْتَصَفَ النَّهَارَ وَارْتَفَعَ الْمَلَلُ عَنِ خَوَاطِرُنَا، أَعْلَنَ مُحَمَّدٌ مَوْعِدَ زَفَافِهِ
فَجَاءَ هَكَذَا وَبِلا مُقَدِّمَاتٍ وَنَحْنُ أَوَّلُ الْمَدْعُوعِينَ، غَشَيْنَا اسْتَعْجَالَهُ الْمُرَبِّكَ،
فَقَدَّ جَهَّزَ الْقَائِمَةَ مَبْكَرًا وَنَالَ مَنَا الْوَعْدَ.

لَحِظْتُ ذَلِكَ اسْتَأْذِنْتُ مِنْ غَالِيَتِي فَقُلْتُ: سَأَتْرُكُكَ لِحَيْنِ التَّصْرِيحِ
بِخُرُوجِكَ. وَدَعَّتْكَ بِقِبْلَةِ طُفَيْفَةٍ فَوْقَ ظَهْرِ يَدِكَ الْعَلِيلِ. وَنَاوَلْتَنِي لِفِظَةٍ
دَعَاءٍ مَبَارِكٍ.



لَا أَعْلَمُ هَلْ أُعَاتِبُ نَفْسِي! فِي الْأَوْنَةِ الْأَخِيرَةِ أَظَنَّ بِأَنَّيَ قَصَّرْتُ فِي

حَقِّكَ.. أَشْعُرُ بِأَنَّي نَاقِصٌ فِي أَحْتِيَاجَاتِكَ. لَوْ كَانَ لِي الْقُدْرَةُ عَلَى انْتِشَالِكِ مِنْ حَالَتِكَ تِلْكَ وَرَفَعَكَ إِلَى الْجَنَّةِ لَفَعَلْتُ.

طَوَيْتُ وَاجِبَاتِي الْجَامِعِيَّةَ.. وَعَلَى وَجْهِ السَّرْعَةِ نَأَيْتُ أَنْ أَكُونَ بِجَوَارِكِ فِي الْمَشْفَى.. وَأَرَاقِبُ التَّغْيِيرَاتِ الْحَاصِلَةَ فِي أَقْدَامِكَ الْهَدِيدَةَ.

وَأَنَا أَسْمُو نَحْوِكَ وَأَتَرَنَّمُ بِمَوْسِيقَى مَوْزَارْتِ، أَتَصَلَّتُ بِكَ.. وَفِي نَفْسِي شَوْقٌ قَاتِلٌ لَا يُقْتَلُ وَلَا يُغَادِرُ.. ظَلَّ الْهَاتِفُ يَرِنُّ وَيَرِنُ فَلَا مُجِيبَ وَيُظَلُّ يَرِنُّ وَيَرِنُ حَتَّى انْبَثَقَ الْحَيَاةَ لِمَنْ أَنَادِي.

أَخِيرًا.... أَجَبْتُ.. نَعَمْ يَا عَزِيزِي. وَيَا آفَةَ عَمْرِي. "لَوْنْتُ مُزَحَّتَهَا بِطَيْفٍ مِنْ الضَّحْكَ".

اسْتَعْجَلْتُكَ بَعْدَ تَوْبِيخَةٍ بَسِيطَةٍ.. قُلْتُ مُتَحَجِّجَةً: كُنْتُ أَشَاهِدُ فِيلْمًا جَمِيلًا.. مَعَ رَفِيقَةٍ قَابَلْتُمَا لِتَوَيَّ بِالصَّدْفَةِ كُنْتُ مَعَهَا فِي غُرْفَةِ أُمَّهَا الْمَرِيضَةِ وَنَسِيتُ هَاتِفِي فِي غُرْفَتِي فَوْقَ، كَانَتْ مَارَّةً فِي الرَّدْهَةِ حِينَمَا شَاهَدْتَنِي أَحَاوِلُ الْمَشْيِ وَالْوَقُوفِ، أَمْسَكْتَنِي وَأَجْلَسْتَنِي غَضَبًا فَوْقَ الْكُرْسِيِّ الْمُتَحَرِّكِ، أَخَذْنَا عَصْرٌ سَرِيعٌ مِنَ السَّعَادَةِ تَحَادَثْنَا فِيهَا وَتَعَرَّفْنَا عَلَى بَعْضِنَا، كَانَتْ قَدْ اقْتَرَحَتْ عَلَيَّ فِيلْمًا رُومَانَسِيًّا شَاهَدْتُمَا مَعَهَا فِي غُرْفَةِ وَالِدَتِهَا.. بَعْدَهَا خَرَجْنَا مِنَ الْمَشْفَى قَلِيلًا لِتَلْتَزَهُ.. وَلَا تَسْأَلْنِي أَيْنَ ذَهَبْتِ الْآنَ! لِأَنَّي أَعْرِفُ أَنَّكَ فَضُولِيُّ بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِي.

سَأَلْتُكَ وَمَا كَانَ نَوْعَ الْفَلَمِ!

قُلْتُ: أَنَعِي يَا بَابِي!

- عَجِيبٌ مَاذَا حَدَثَ لِلشَّعْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا مُدْمِنِينَ بِشَكْلِ فَطِيْعٍ
عَلَى الْأَنْعِيِّ.

- يَا طِفْلَةَ لَا زَلْتِ طِفْلَةَ حَتَّى تَشَاهِدِي مِثْلَ ذَا.

قُلْتُ: الْأَنْعِيُّ عَالِمٌ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، يَعْنِي لَا يُوصَفُ.. وَهَنَّاكَ فَرَقَ شَاسِعٍ
بَيْنَ الْأَنْعِيِّ وَأَفْلَامِ الْكَرْتُونِ يَا بَابَا.

- حَسَنًا أَخْبِرْنِي بِقِصَّةِ الْأَنْعِيِّ!؟

أَمَمٌ حَسَنًا سَأَخْبِرُكَ عَلَى عُجَالَةٍ.

كَانَ ذُو تَصْنِيفٍ دَرَامِيٍّ، عِبَارَةٌ عَنِ شَرِيحَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ..

كَانَتْ مَجْرِيَّاتِ الْقِصَّةِ تَدُورُ عَنِ شَابَةِ فِي مُقْتَبَلِ الْعَمْرِ، صَغِيرَةِ السِّنِّ
نَسَبِيًّا.

تَقَعُ فِي حَبِّ رَجُلٍ كَبِيرٍ فِي السِّنِّ وَمَنْ يَشَاهِدُهُمَا مَعًا يَظُنُّ أَنَّ الْفَتَاةَ
الصَّغِيرَةَ هِيَ ابْنَةُ الرَّجُلِ.. فَالرَّجُلُ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمَرِ عَتِيًّا.

فَقَدَ زَوْجَتَهُ فِي حَادِثٍ مُؤَلِمٍ وَظَلَّ يَتِيمَ الْحَنَانِ مَعَ ابْنِهِ الصَّغِيرِ.

كان يُشغل معظم وقته كمدير لإحدى المطاعم بمدينة طوكيو وكانت هذه الفتاة المتيممة به تعمل بدوامٍ جزئي كنادلة في المطعم نفسه.

اعترفت الفتاة بحبها له ولكن الرجل كان يتغابي في كل مرة وينسى ما قالت في اليوم التالي وكأن شيئاً لم يكن. فاستمرت الفتاة بالاعتراف بحبها له في كل يوم ولم تستسلم.

الرجل كان عاشقاً للكتابة كتب وألف الكثير من الروايات ولكنها كانت كمسودّات مُهملة في رفوف مكتبته، لم تكن لديه الثقة الكافية في نشر دُرره، قامت الفتاة بدور المُنقذة لتلك المُسودّات فأجبرت الرجل المسكين رث السنّ والبُنية بنشر تلك الروايات، فقد فتنت بكل درر نثرها حبيبها.

وهكذا انتهت الحكاية يا عزيزي..

قُلْتُ وَأَنْتِ تَلْقِينَ فِي مَسَامِعِي أَحْدَاثَ الْقِصَّةِ: دُبْتُ فِي جَمَالِ صَوْتِكَ، خَشُوعِكِ مَعَ الْقِصَّةِ وَانْدِمَاجِكِ أَشْعِرَانِي بِشُعُورٍ هَائِلٍ. فَاتَنَّهُ أَنْتِ حَتَّى فِي صَوْتِكَ.

أَقْفَلْتُ الْخَطَّ فِي وَجْهِهِ.

وَإِذْ بِصَوْتِكَ الْعَذْبَ لَا يَكَادُ يَخْبُو مِنْ ذَاكِرْتِي، بَدَأَ الصَّوْتُ يَتَضَخَّمُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ وَكَأَنَّهُ يَقْتَرِبُ مِنِّي.

- هيه يا عاشق أنا خلفك يا مجنون، فيما تتأمل!؟
- و يا إخراج الكون والمجرات في روعة أناقتك، ملابسك الساترة
ووجهك المدهون بالأحمر مع برد الشتاء. معطفك كل شيء فيك ملائكي.
واقفة على أقدامك ولكن بعكازين يسندانك.. وخلفك فتاة كالقمر في
دهاليز الدجى.
- تداركتِ الموقف.. هذه من سوريا اسمها.. منى الشرع، انزوت هي
وعائلتها من براثن الحرب هناك فوجدوا مآلهم هنا.. حضرت مع
والدتها المسنة التي تعاني في الآونة الأخيرة من ألم في ظهرها سلب
هدوء مضجعها.. لذلك هي في المشفى.
- أهلا بك أختي منى.. أنا سلمان مجنون جنان.
ضحكتِ أنتِ.. وطأطأت منى برأسها من الخجل.
- أضافت جنان حينها: لقد أردت أن أفاجئك بها.. ما رأيك في جمالها؟
- نال الحياء مني فأثرت الصمت.
- سألتك مُغَيَّراً مجرى الحديث: لماذا لستِ بعرفتكِ، وما هي التحديثات
الأخيرة في نظام جسدكِ الغالي!

كان مزاحي ثقيلًا.. غضبت فجأة.. قال الدكتور سأموت قريباً..

بعيد الشرِّ عنكِ يا عيوني كُنْتُ أَمْزَح.

انطلقت ضحكةً عارمةً من فمكِ، وأنا كُنْتُ أَمْزَح يا غبي.

قال لي الدكتور يمكنني الخروج اليوم.. ولكن لدي جلسات علاجية

فيما بعد لإعادة التأهيل.

حسبما فهمته مجرد نشاطات رياضية كلَّ ثلاثة أيام في الأسبوع

الواحد.. حتى أتمكّن من السيطرة على أقدامي مجدداً وتستعيد الأعصاب

التحكّم بها.

قُلْتُ حامداً ربي.. حمداً لله على سلامتك يا عنبر أشواقي.

"استأذنت مني منّا بعدما تبادلتُ هي وجنان أرقام هواتفهما.

أخذتُ الأدوية وجهّزتُ حقيبتك.

أردتُ بأن تفارقي الجدران قليلاً وتتنفّسي عبق الطبيعة.. سرتُ معكِ

حيثُ أردتِ.

أخذتُكِ أجراً الخُطى سعيداً جداً أكثر من سعادة الأم بمولودها

البكر.

أصرتُ عليّ بتركها تنزل بمُفردها.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

سبقتها إلى الطابق السفلي.. انتظرتها لنصف ساعة.. فقد تأخرتُ
رجعتُ مجدداً أتلقّف الرؤية.

رأيتها تنزل السلالم رويداً رويداً.. أشفقتُ عليها حقاً.
أثرتُ حنقها بمزاجي العبوس.. جنان لو أنك تنازلتِ عن استبداد
عنادك قليلاً، لحملتك فوق أكتافي. قالتُ بحزن: لا أحبُّ أن يُشفق عليّ
أحد.

كلّها مجرد أشهرٍ معدودة وسأشارك في الأولمبياد وبالذات ألعاب
الوزن الثقيل، لا ريب لأنني سأصبح مفتولة العضلات وأنا أجبر ذراعيّ
على حملي وبعكازين عجوزين.

من باب تغيير النفس.. قلتُ لها لا بدّ بأنّ تينك العكازتين محظوظتين
لأنّهما تزفعاك.

نظرتُ إليّ باشمئزاز.. "هيه يا لك من إنسانٍ ظريف".
أستخفّ بي يا سلمان.. أتعلم بأنني كُنْتُ الفتاة الوحيدة بين الفتيان
في الحيّ التي تمارس كرة القدم. كنتُ كما رادونا يا حبيب.
قلتُ لك مُداعباً.. لا بأس يا عزيزتي.. أظنّ بأنهم كانوا يُجاملونك لأنك
كُنْتُ الفتاة الوحيدة بين صبيان متوحشين.

لم أحاول استفزازك أكثر.. بل أجبرتك على الجلوس فوق الكرسي المتحرك، فقد كفاني ما رأيتُ فيك من قوة.. حقاً أخاف بأن تكوني مفتولة العضلات غداً عزيزتي فتقتليني بضربة غضبٍ ذات خيبة.

هدأ مزاج الشامخة عندما هبت رائحة المطر الممزوجة بالتراب المبلل.
مِئْتُ الحديث: حبيبي جنان انظري عن يسارك ذلك الرجل الذي يجلس تارة ويستقيم تارة كجندي مُعاقب.. أترينه!

- ماذا يفعل هذا أمام عتبات السوق أتعرفه!

لا أعرفه، أتراهنين يا جنان بأنّ هذا المجنون ينتظر حبيبته؟
حسناً أراهنك..

أصص ركزي الآن.. ركزي وراقبي لا بدّ وأنتها تلك الفتاة الخارجة الآن.
انظري لحال الرجل كيف ارتبك.

وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى ركضَ إليها الشاب، وهي رمتْ بنفسها في أحضانها..

قُلْتُ: رأييتِ يا حلوتي..

- أوف منك.. ومن توقّعاتك، إذا ما المقابل على ماذا تراهنا؟

أممم.. أمممم.. ما رأيك.. أريد قبلة على خدي.

- قُلْتِ بِسَخْرِيَةِ: كَمْ أَنْتَ سَخِيفٌ يَا جَمِيلٌ أَتَظَنِّي أَوْزَعُ الْقَبْلِ
بِالْمَجَّانِ!

ولم أدرِ إلا وأثار أحمر الشفاه تنطبع فوق كفّ يدي.

إحساس مُذَلِّ عَظِيمٍ، يَا إِلَهِي كَمْ أَعْشَقُكَ أُرِيدُ الْمَلَائِينَ مِنَ الْقَبْلِ
مَنْكَ يَا جَنَّانٍ.. أُرِيدُهَا فَوْقَ الشَّفَاهِ. وَأُرِيدُهَا فَوْقَ الْخَدِّ وَفَوْقَ الْجَبِينِ وَفِي
كُلِّ شَبْرٍ مِنْ جَسَدِي الصَّاحِبِ.

- هِيَهْ فِي أَحْلَامِكَ السَّعِيدَةِ يَا تَعِيسٍ.. كَلِّ شَيْءٍ فِي وَقْتِهِ أَجْمَلِ.

تَابِعْنَا الْمَسِيرَ نَأْخُذُ جَوْلَةَ حَوْلِ الْمَكَانِ، وَأَنَا أَجْرَّ كَرَسِيَّكَ الْمَرْصَعِ
بِالْحَبِّ كَعْرَبَةٍ سَنْدَرِيلا يَقُودُهَا أَمِيرُهَا النَّبِيلِ. صَرَفْتُ حَدِيثًا طَائِشًا
يَكْبِيرُ صَمْتُ الْخَجَلِ..

"ما أجمل رائحة عطرك يا جنان. أما زلتِ ترشّين نفس العطر!

عطر سنيوريتا، أظنّه عطر لاتيني من أمريكا اللاتينية أم أنّه أندلسي؟

قُلْتِ: أظنّه أندلسي يا ابن فنطل.. لا أستم رائحته عليك.. ألم تُقل لي

بأنّك كُنْتَ تَبَخُّهُ فَوْقَ مَلَابِسِكَ!

- نعم يا حلوتي استخدمه ولكن في الفترة المسائية فقط..

أَبَخَّ القليل منه على كفّ يدي فأنام وأنا أشمّه.

هكذا كُنْتُ أَفَعُلُ كُلَّ يَوْمٍ يا جنان وفي كلِّ ليلة.. عندما أتعب وأذهبُ
إلى النوم أَبَخَّ القليل على يدي وعلى سريري بل وعلى مخدّتي، حتى أتذكرك
وأحنّ إليك وأتخيّلك.. فلا أنساك.



"أقصى درجات السعادة هو أن نجد من يحبّنا فعلاً.. يحبّنا على ما
نحن عليه.. أو بمعنى أدق يحبّنا بالرغم ممّا نحن فيه".

"الحبّ كالقفص.. نتقدّم مجازفين نريد الدخول إلى عالمه بالرغم من
معرفتنا المسبقة بأننا سنفقد الحرية.. وسنُسجِن في بهو عتمته الباهرة
لذا قالوا [الحبّ أعمى] يُعمي العقل ويُدمي القلب".

"الحبّ هو أن يمسّك السوء لأجل حزنهم.. الحبّ هو ألا تُدير ظهرك
لمن احتضنك ذات سقطة. الحبّ هو ذكرك لهم في نسَمات الفجر بعد
دعائك. الحبّ هو ألا تكره حاول ألا تكره".

انحدرت الأيام والأشهر مُسرِعاً كطيّ المصلي لسجاداته بعد انكبابه في
صلاة خاشعة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

تَقَوَّتْ عَلاَقَةَ عَزِيزَتِي جَنَانَ بَرَفِيقَتِهَا الْجَدِيدَةَ تَلِكِ الشَّامِيَةِ الصَّهْبَاءِ..
انكَبَبْتُ أَنَا فِي دِرَاسَتِي حَتَّى أَنهَيْتُ الكَثِيرَ لَمْ يَتَبَقْ إِلَّا القَلِيلَ حَتَّى أَلْبَسَ
قَبْعَةَ التَّخْرُجِ، سَنَةً وَتَرَمَ وَاحِدٌ فَقَطْ وَبَعْدَهَا أُسْتَعِدَّ لِبِنَاءِ عُسْطِيِّ الأَبَدِيِّ..
مَا أَسْرَعَ انقِضَاءَ الدَّهْرِ.

مَارَسْتُ جَنَانَ سَطَوْتِهَا عَلَي جِسْدِهَا المُتَّخِنَ بِالتَّعَبِ فَاسْتَطَاعَتْ
بِفَضْلِ اللَّهِ كَسْرَ ضَعْفِ أَقْدَامِهَا فَأَصْبَحَتْ تَمْشِي بِلا عَكَّازِينَ وَإِنْ كَانَتْ
لَا زَالَتْ تَسْقُطُ بَعْضَ المَرَّاتِ.

فَهِيَ أَنثَى خُلِقَتْ لِتَسْقُطَ وَمَنْ ثُمَّ تُحَارِبُ حَتَّى تَهْضُ مِنْ جَدِيدٍ.
سَرَقْتُ مِنِّي وَقْتِ جَنَانَ عَمْرِي كَلَّهُ.. لَمْ تُعِدْ تَتَّصِلْ كَمَا العَادَةُ.. أَيْضاً
سَالَمَ مَنَعِي مِنْ إِكْثَارِ الزِّيَارَاتِ فَالأَفْوَاهُ بَدَأَتْ بِطَيْشٍ تَنْفُثُ عَنِ سَمُومِهَا.
حَتَّى دَوَى صَهِيلُ مُحَمَّدِ حَاجِي نَحُونَا وَأَزَالَ الجَمُودَ.

لَحِظْتُ ذَاكَ قَرَّرَ مُحَمَّدٌ وَشَهْنَازُ تَجْهِيْزِ مَرَامِ السُّوَالِ وَالاسْتِقْرَارِ..
فَأَلْزَمْنَا مُحَمَّدَ وَأَخَذَ مَتَّ العَهْدَ بِأَنْ نَكُونَ ضِيُوفَ الشَّرْفِ فِي مَقَامِهِ المَبَارِكِ.
أَحْسَسْتُ بِالغِبْطَةِ مِنْهُمَا.. شَعَرْتُ وَقْتِ ذَاكَ بِإِحْسَاسٍ مَشْتَّتٍ.. مَتَى
سَنَجْتَمِعُ أَنَا وَأَنْتِ يَا غَرِيْزَتِي وَعُنْفِي وَقَيْدِي! مَتَى! يَا اللَّهُ قَرَّبْ بَعْدَنَا حَتَّى
سَقْفَ وَاحِدٍ.

يا الله لا تجعلني أسوء الظنّ بك. اجعلني يا ربي صادقاً معك. حتى لا أتألم منها يوماً حتى أروي عطشي بعدوبتها وطهرها.

اتصلتُ بك على عجلٍ.. أردتُ أن أراكِ بعد التهابِ شوقي الحاد. آنذاك وافقتِ على مضضٍ وكأنيّ كأيّ عابرٍ مرّ في حياتك يوماً.

ماذا بك! لا أعلم! هل ما زال ذلك الشيطانُ الرجيم يغوص في أعماقك، أعوذ بالله بدأتُ أصدّق هذه الخرافات المزعومة.

هل حقيقة حبّك لي حقيقة؟ أم أنني في حلم ولا زلتُ في الحلم. أنام ويتكرّر ومن ثمّ أنام فيتكرّر نفس الحلم كلّ يوم.

قيّض عقلي فكرة بائنة.. لربّما رجعتُ لماضيها لربّما أصبح لديها أولويات وما أنا إلا من ثانويات حياتها.

سلمني محمد بطاقة الدعوة لحفل زفافه، العجيبُ في زفافه بأنّ الحفلة قيّدت في مزرعة بسيطة يملكها جدّ وجدّة محمد، ما أجمل البساطة، بالذات في زمن أصبحتِ المادية فيها رمزاً مؤثراً ومهماً.

لو أنك يا مُنتحبتِي بسيطة كشهناز لكنّا الآن في عشٍّ واحد، نداعب أطفالنا بحنان في أحضاننا.

لولا فقري وحاجتي.. لو أنّ الله قدّر لي بأنّ أكون ثرياً هل كُنْتُ ستكونين

بسيطة وسهلة المنال لمجرد المال! هل السعادة الزوجية لا تكتمل دونما ثراء مادي.. هل أنتنَّ حقاً مادّيات بطبعكن "كما قال عاطف يوماً".
بعد الاتصال البارد قابلتُك وفي نفسي وجلٌ وخوفٌ وخجلٌ.. كلُّ شيءٍ أمامك يتغيّر.

فيزياء جسدي قوانيني وقناعاتي.. كلُّ شيءٍ فيَّ أمامك مؤدّب.

أصبحتِ بخير!؟

قُلْتِ: لكلِّ مناضلة نصيبٌ من الفلاح.

قُلْتِ: أحسنتِ يا شامة قلبي.. وأسألُ إلهي بأن تكوني بخيرٍ دائماً.

قُلْتِ مُستدركة: أدخل يا سلمان! لا أحد في الشقة غيري.. وغيرُ..؟

غيرُ.....!!!! من غيرك يا زهرتي!

- لا تخاف يا عيوني.. هذه صديقتي منى.

دلفتُ للداخل متشوّقاً بكلِّ ركنٍ في شقتك! مضتُ فترةً طويلةً منذ

آخر زيارة!

اقتربتُ بمحاذاة أذنها همستُ إليها: يا جنوني بعثرتِ ذهني فلم يُعد

منطقياً كما يجب.. يُحبُّ أن يكون مشغولاً بك.. هل بكِ طاقة اليوم نخرج

لحديقة الحيوانات!

- قُلْتُ بِصَوْتٍ مُتَخَمٍ.. أَرْجُوكَ يَا عَزِيزِي.. نَتَكَلَّمُ فِيمَا بَعْدَ!

اعتدلتُ في جلستي.. فوجهتُ فَوْهَةَ أَنْظَارِي نحو صديقتك الوجلة
الخبجلة منى تلك الهادئة البسيطة التي تنفعل بمجرد نظرة، تغرق في
الحياء بشكل لا يصدق.

تنازلتُ عن الحديثِ معك في أمرنا وقتذاك، حتى تغادر منى وتترك لنا
بساط الراحة لنتكلم على انفراد.

أحضرتُ لي شايًا لذيذاً.. اشتقتُ للشاي المُعد لي خصيصاً بيديك
الماهرتين يا فارسة أحلامي.

قُلْتُ: بأنك تعلمتِ تحضير هذا الشاي اللذيذ بالضبط من منى!
أشكرها يا مُشاعب!
فشكرتها على وهن.

سألتها مباشرةً ما هي خلطاتك المميزة في إعداد هذا الشاي الفخم يا
صديقتي.

قالتُ بدهشة: شاي كرك.. كيف تسمي نفسك باكستانياً وأنت لا
تعرف ماذا يشربون وماذا يأكلون؟ قُلْتُ بلى أعلم ولكن لكل عائلة طريقة
في إعداد الكرك. وأنت أبهرت ذوقِي يا فخمة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

وقتها بدأتُ منى تشاركنا الحديث شيئاً فشيئاً فأصبحنا ننقُرُ نافذة الذاكرة وننقُرُ بعض تلك الذكريات القديمة التي جمعناها في صندوق الذكرى، تلك الذكريات المُنجّدة من طفولتنا في السعودية.. أيام قاسية وأخرى باردة وأخرى حلوة كحلوة وجه جنان.

أرجعتنا رسالة محمد- إلى هاتفي- لواقعنا من تلك الجلسة البريئة.

"لقد وددنا بأن تكونوا شاهدين على رباط حبنا المقدس".

- هذه الليلة هي مميزة جداً بالنسبة لنا، لهذا دعونا فيه الأشخاص المميزين أيضاً.

- لم نجد أفضل منكم ليشاركنا فرحتنا بهذه الليلة.. فنحن بانتظاركم بكلّ حبّ.

* مكان الاجتماع. مقهانا المعتاد لنغادر بعدها مُتجهين للمزرعة.

* خذوا معكم ملابسكم الكثيفة والبسيطة وأغراضكم الشخصية.

* أخوك في الإسلام محمد.

استدركتُ قائلاً: جنان عزيزتي هل تستطيعين الحضور غداً.. طبعاً

خُذي ما تحتاجين من الملابس والأغراض الشخصية.. سنذهبُ حيثُ يأخذنا محمد.

قُلْتُ بنبرة دلال: سَأرى. وغداً لناظره قريب.. أَضَافْتُ بارتباكٍ خجول:
هل نَسْتَطِيعُ أَخَذَ مِنى مَعنَا؟ لا شىءَ تَفْعَلُهُ فى هذِهِ الأيَامِ، أَجَبْتُهَا: لا بِأَس
سَأَسْتَأْذِنُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَشَهَنازِ وَلا أَظُنُّهُ سِيرَفُض.. اتَّصَلْتُ بِهِ آنذاك فوافق
مَنْ فوره فرحاً.. "فضيوف جنان ضيوفنا أيضاً."



انكمش الليل فانبلج الفلق. جهزتُ حقيبتي وأخذتُ ما أحتاجه..
اتصلتُ بِكِ لِأَتَأْرَجِحَ نَحوكِ وَنذهب معاً لمقهانا المعتاد.

بحجة الكسل والجو البارد لم تكن تريد الذهاب.. أجبرتها على
الخروج من شقتها الباردة تلك. أوقفتُ سيارة أجرة.. فحملتُ عنها أثقالها
وحقائبها.

استُوقِفْتُنى مُدهوشاً فى طورها السرمدي.. حتى نقرتني غارقتي فى
مُنْتَصَفِ رَأْسِي بنقطة إدراك فاستوعبتُ الواقع مجدداً.

حينها قُلْتُ لَهَا: أُسْحَرْتُنى يا نطفة الوهج و يا نقطة الإنعاش.. بأناقتك
بهندامك بلباسك الفخم، كلُّ شىءٍ يناسبك كلُّ شىءٍ يبدو جميلاً عليك.
قُلْتُ يذوبك الخيال: آسف يا عزيزي أعلم بأن حقيبتي ثقيلة ولكن
يجب أخذ الحيلة والحذر. تخيل لو أننا نختفي ولا ندلّ طريق العودة..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَوْ يُقْبِضُ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِ الْإِرْهَابِيِّينَ وَيَتَمَّ تَعْدِيْبِنَا أَوْ نَتَوَهَّ فِي إِحْدَى الْغَابَاتِ
وَلَا نَجِدُ مَنْفَذًا لِلْخُرُوجِ!

ضَحَكْتُ مِنْ تَفْكِيرِكَ وَخِيَالِكَ الْوَاسِعِينَ.. قُلْتُ: يَكْفِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ
وَأَلَّا أَفْقِدُكَ.

أَهْمَلْتُ كَلَامِي الْأَخِيرَ فَرَكِبْتُ السَّيَارَةَ عَلَى عَجَلٍ.

حِينَذَاكَ وَنَحْنُ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ رَغْمًا عَنِّي رَفَعْتُ حِجَابَ التَّرَدُّدِ فِي
صَمْتِي.. فَقُلْتُ لَهَا:

أُرِيدُ أَنْ أَحْضِنَكَ أَنْ أَقْبَلَكَ أُرِيدُ أَنْ أَلْمَسَكَ وَقَتْمَا أَشَاءُ وَكَيْفَمَا أَشَاءُ..
أُرِيدُ أَنْ أَشَاهِدَ مَعَكَ التَّلْفَازَ عَلَى سَرِيرٍ وَاحِدٍ.. أُرِيدُ أَنْ أَلْعَبَ بِخَصَلَاتِ
شَعْرِكَ وَأَنْ أَضَعُ ذَوَائِبِكَ فِي طَرْفِ شَفَتَيْ.. أُرِيدُ كُلَّ شَيْءٍ فِيكَ يَا جَنَّانَ.
صَدَّقْتَنِي أَصْبَحْتُ لَا أَقَاوِمَ نَعْرَاتِي وَغَزَوَاتِي وَشَهْوَاتِي.

قُلْتُ لَكَ مَا فِي خَاطِرِي كُلِّهِ، قُلْتُ لَكَ مَا كُنْتُ أَحَاوِلُ تَجَنُّبَهُ ذَاتَ يَوْمٍ،
لَمْ أَتِمَّكَنْ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَى مَقَاوِمَةِ اللَّجْوَةِ إِلَيْكَ، أُرِيدُ دَثْرَ شَوْقِي وَحَنِينِي!
ابْتَلَعْتُ رَيْقِي وَقُلْتُ مَا قَلْتَهُ.

فَقُمْتُ بِرَفْعِ رَأْسِكَ، وَأَنْتِ غَارِقَةٌ فِي دَمُوعِكَ! تَفَاجَأْتُ حِينَمَا رَأَيْتُ تِلْكَ
الدَّمُوعَ وَهِيَ تَنْصَبُ فَوْقَ وَجْنَتَيْكَ، تَوَثَّرْتُ وَلَمْ أَعْلَمْ مَاذَا أَقُولُ أَمْ أَعَاتَبُ

لساني فيما قال! أردتُ ضمَّكَ بكلِّ قوَّة. تنبَّه السائقُ لدموعك فسأل هل
كلُّ شيءٍ بخير!.

هنا جذبتُ نظري نحوه لا شيء سيدي فهي تُعاني من حساسية
مُفرطة.

مسكتُ يدها الحاني.

قبَّلتُ يدها وطلبتُ سماحها فيما إذا قُمتُ بأذيتها دون إدراكٍ مِنِّي.
استسلمتُ للهدوء.. مسحتُ دموعها الحمئة مع عطسة مُفاجئة،
أمرٌ غريب كيف لشخص يبكي ويعطس في آنٍ معاً! هنا ضحكتُ أعجوبتي
أيضاً فجأة.

- سلمان... كفَّ عن حركات الأطفال هذه؟! من قال لك بأنني لا
أريد كلَّ ذلك أيضاً؟ إنَّما الأمرُ بأنني لن أخذُل أُمِّي فيما قالت!
هي مُرشدتي وسندي وهدية ربي لي. بعد وفاة أبي لم أعد أتقبَّل
أية خسارة أخرى.. لا تكن عجولاً يا عزيزي ستنال نصيبك حينما
يكتب الله ويُريد.

- ركَّز في أمور دراستك فمستقبلك قد يعتمد عليها.. والأمور الأخرى
تأتي لاحقاً، أريدك بأن تكون جاهزاً تماماً لي.. أريد أن أكون حليماً

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أخيراً في قائمة أحلامك.. أريد أن أكون نهاية العاصفة في حياتك..
ثق تماماً بأنني لن أكرّر أخطائي القديمة وسأظلّ وفيةً لك.

رقص قلبي من الفرح. لم أتمالك نفسي بما سمعت.. ضممتها بين
ذراعي وكوّرتها في صدري.

أطلقت جنان صرخة فتاة واعية: عيب يا سلمان، ماذا تفعل؟ ماذا
سيظنّ الناس؟ اصبر يا أحرق اصبر..

أطمرنا غبار المقاومة وانغمسنا مُتغافلين عمّا كان وضعنا قبل
لحظة.. حينها نظر إلينا السائق بغتة فباغتتنا بابتسامة عفوية وقال:
أسعدكما الله يا أبنائي.



وصلنا حيثُ المراد. اجتمعنا كلنا في مواقف السيارات التابعة للمقهى..
الكلّ كان حاضراً إلا منى تأخّرت وأخذت بعض الوقت حتى أدركتنا.
أخيراً حَضَرَتِ الوصيْفَة منى الشرع حاملةً معها أمتعها البسيطة.
ألقت التحية:

- السلام عليكم....

رَحَّبَ بِهَا مُحَمَّدٌ.

وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، أَهْلًا.. حَيَاكَ الرَّبُّ تَشَرَّفْنَا بِكَ.

وَلِلْعَجَلَةِ فَقَدْ تَمَّ تَأْجِيلُ طُقُوسِ التَّعْرِيفِ الشَّخْصِيِّ فِيمَا بَعْدَ..

- فَعَلًا حَتَّى صَدِيقَاتِكَ يَشْبِهَنَّكَ يَا جَنَّانَ.

قُلْتُ عَلَى مَضَضٍ وَهَلْ فِي الْأَمْرِ رَيْبَةٌ؟

أَضْفَيْتِ: أَكِيدُ... فَأَنَا مَلِكَةٌ عَمْرُكَ، لَا أُخْتَارُ إِلَّا اللَّاتِي يُرْقِنُ لِي!.

- قُلْتُ: كَمْ هِيَ جَمِيلَةٌ وَهَادِئَةٌ.

تَغَيَّرْتُ مَلَامِحَ الْفَدَّةِ، فَبَرَزَ الصَّمْتُ فِي فَسْحَةِ غَضْبِكَ الْهَادِيَّ..

وَكَانَ أَوَاصِرَ الْغَيْرَةِ بَدَأَتْ تَرْقُصُ فِي أَكْوَامِ عِنَادِكَ الْمَتَشَبِّثِ.

اسْتَعْجَلَ مُحَمَّدٌ: إِذَا تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ.. فَسَيَارَةُ الْفَانِ تَنْتَظِرُكُمْ.

قَعَدْنَا أَنَا وَجَنَّانَ فِي الْمَقَاعِدِ الْأَخِيرَةِ مِنَ السَّيَارَةِ بَيْنَمَا عَاطَفَ وَمَنَى فِي

الْمُنْتَصَفِ.. أَمَّا شَهْنَازُ فَجَلَسَتْ بِالْقَرَبِ مِنْ سَائِقِهَا الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ.

لَمْ أَلْحِظْ كَيْفَ وَصَلْنَا وَمَتَى وَصَلْنَا! حَيْثَمَا كَلَّ تَرْكِيزِي كَانَ مُنْصَبًا

نَحْوَ طِفْلَتِي جَنَّانَ.. كُنْتُ مَمْسُكًا بِكَقْمِهَا أَحَاوِلُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا بِقَبْلَةِ خَاطِفَةٍ

وَقَلْبِي يَخْرُ رَاكِعًا.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بديعة منظرها وهي ساكنة كطفلة كانت مشاغبة فنهرتها أمها عن
الشغب فهدأت.

ذُهلنا لمنظر المزرعة.. شاسعة الأرجاء في وسطها مبنى مبني وفق الطراز
البريطاني القديم كان ذلك البناء هو بيت الجدّ آغا خان أشبه بقلعة أمير
إنجليزي عاش في القرن الثامن عشر.

وفي جوانبها ملاعب كريكت مليئة بصخب اللاعبين والهواة.

أما في آخرها كنيسة مهجورة كانت للإنجليز إبان احتلالهم للقارة
الهندية.

استقبلنا الجدّ آغا والجدّة سمية، أمام عتبة البيت. أهلا بكم يا
أبنائي..

والحمد لله على سلامتكم.

في بداية الأمر، أردنا الراحة قليلاً لأجسادنا المنهكة والمركبة من
وعناء السفر..

أرشدتنا الجدّة سمية لغرفنا كلّ ثلاثة في غرفة.

فاختارتُ جنان أن تبقى مع منى وشهناز، أمّا محمد وأنا مع عاطف في
كيان مُستقل كذلك.

بعد نصف يوم من الراحة طرقتِ الجدّة سمية أبواب الغرف.. تُنادينا للعشاء ولتدارك ما فاتنا من الصلوات المفروضة.

عندما نزلنا إلى الطابق السفلي وجدنا أشهى الأطباق الموضوععة فوق المنضدة تنتظر جوعنا لتلتمهمه.

بعد الوجبة الدسمة اصطحبنا الجدّ آغا حيثُ دهاليز المنزل.. كِدْنَا نضيع في أروقتِه المُتفرّعة.

رأيتُ المنزل بمثابة مُتحفٍ عالي.. تضمّ مكتبة مليئة بالكتب النادرة.. وأشياء أخرى كثيرة يَنُدُّ وجودها في الوقت الحالي، ملابس وأسلحة وأدوات قديمة.

الجدّ آغا رجل حكيم بمعنى الكلمة فأيام الحياة الطويلة أكسبته خبرةً لا يُستهان بها.

لدرجة أنّنا بحثنا مع بعضنا لقباً يناسبه فاخترنا ما اقترحتها جنان.

اسميناه الفيلسوف طاغور.. كان يشبهه كثيراً.. مع العلم فهو لم يقرأ يوماً في الفلسفة إنما استأثر بتجاربه في الحياة بقدرٍ كبير من الحكمة والبلاء.

قضينا أسبوعاً كاملاً في المزرعة، البرد القارس أحال دون خروجنا للتنزّه..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

إِلَّا بَأَنَّ الْجَدَّ آغَالِمَ يَقْصِرُ فِي الْإِطَاحَةِ بِوَقْتِنَا، بَعْدَ الْإِفْطَارِ كَانَ
يَجْلِسُ عَلَى أَرِيكَتِهِ وَفِي يَدِهِ كُوبُ شَايِ الْكَرْكُ يَرْتَشِفُ مِنْهَا رَشْفَاتٍ سَرِيعَةً
وَيَبْدَأُ بِنَثْرِ أَجْمَلِ الْحِكَايَاتِ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ، كُنَّا نَسْتَنْبِطُ مِنْهَا جَمِيلَ
الْحِكْمِ وَالذَّرَرَ مَتَكَوِّرِينَ حَوْلَ الْمَوْقِدِ.

بَعْدَمَا أَنْهَى الْجَدُّ حِكَايَاهُ الْمُهَيَّمَةَ أَعْطَانَا مُحَمَّدٌ خَرِيطَةَ الْمُنْطَقَةِ وَعَرَّفَنَا
عَنِ الْجُغْرَافِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ الَّتِي تَحِيطُ بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ الْخَلَابَةِ مَدِينَةَ "مَرِي" تُعْتَبَرُ
مُنْطَقَةٌ جَبَلِيَّةٌ، إِذْ تَبْعُدُ عَنِ الْعَاصِمَةِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ إِسْلَامْ أَبَادِ سِتُّونَ
كِيلُو مِتْرًا. تُعْتَبَرُ مِنْ أَشْهُرِ الْمَدَنِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، يَتَوَافَدُ إِلَيْهَا السِّيَاحُ مِنْ
أَنْحَاءِ الْعَالَمِ. فِي فَصْلِ الصَّيْفِ خَاصَّةً بِسَبَبِ أَجْوَاهَا الْمُنْعَشَةِ.

مِنْ أَهَمِّ مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ شَارِعُ مَالٍ، وَهُوَ شَارِعٌ يَقَعُ فِي وَسْطِ مَرِي
وَيَحْتَوِي عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَطَاعِمِ الَّتِي تَقَدِّمُ مَأْكُولَاتٍ مَتْنَوَعَةً مِنْ
مَطَابِخِ عَالَمِيَّةٍ مِثْلَ الْمَأْكُولَاتِ الْبَاكِسْتَانِيَّةِ، الْأَفْغَانِيَّةِ، الْغُرْبِيَّةِ وَالصِّينِيَّةِ.
يَحْتَوِي الشَّارِعُ أَيْضًا عَلَى عِلَامَاتٍ تِجَارِيَّةٍ وَفَنَادِقٍ بِأَسْعَارٍ تَنَاسَبِ
مِيزَانِيَّتِكَ حَيْثُ يَوْجَدُ فَنَادِقُ رَخِيصَةً فِي مَرِي وَفَخْمَةً حَسَبَ طَلْبِكَ.

وَمِنَ الْأَمَاكِنِ الْمَشْهُورَةِ فِي مَرِي وَالَّتِي يَتَوَجَّبُ زِيَارَتُهَا (مَوْقِعُ
بَنْدِي) وَسُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّ مَدِينَةَ رَاوِلْبَنْدِي وَإِسْلَامْ أَبَادِ يَظْهَرَانِ

من خلال الموقع حيثُ يستطيع السائح التمتع بالمناظر الخلابة للمدينتين. عدا ذلك يوجد تلفريك حيثُ يستطيع السائح الاستمتاع بالمناظر الخلابة للمناطق الجبلية. والمساحات الخضراء والطبيعية. تكتسي جبالها بأشجار الصنوبر وتحتوي على ينابيع المياه العذبة والشلالات التي جعلتُ منها بحق جنةً على الأرض وواحدة من أجمل بقاع العالم.

وأهم من هذا كله.. هو أنه مكان ولادتي ومرتعُ طفولتي.

تدخل عاطف مشيراً لمحمد: وهذا ما جعلتِ المدينة كئيبة. وأضاف:
السلبية الوحيدة في المدينة هو ولادتك فيها يا مشؤوم.
اعتدل محمد من جلسته فقال: أتدري لربما صدقتُ في هذه. قضيتُ
أنا وأخي طفولتنا هنا. قبل زمنٍ طويلٍ غرقَ أخي في إحدى البحيرات هنا..
لم يستطع أحدٌ إنقاذه واللحاق به إلا بعد فواتِ الأوان أخرجوه جثةً
هامدة.

" كانتِ المزرعة بالنسبة له متعة ووجع وحنين في نفس الوقت."

اعتذر عاطف وجلس بعدها صامتاً خجلاً من غدره لسانه.

أخيراً بعد يومين طويلين اعتدلتِ الأجواء.

هَدَيَانُ عَاشِقٍ

خرجنا نجوبُ أرجاء المزرعة وبرفقتنا الجدّة سمية ترشدنا وتنهنا.
"ذكرتني بجدتي الغالية.. مضى دهر لم أزرها.. اشتقتُ لدثارها وفيض
عطائها.

كان لدى الجدّ ثلاثة خيول عربية أصيلة.
عاطف كاد يُجنّ من الفرح حينما رأى تلك الأحصنة اللبقة.
فأصرّ على الجدّ بامتطاء واحدٍ منها.. وما إن وافق الجدّ، حتى ظهرت
أهازيج البسمة على وجهه. عاطف كان بارعاً حقاً في امتطائها بيد أنه لم
يكن إنسانياً بما فيه الكفاية في التعامل معها.
أما أنا أذكر بأنني كنت متردداً، لم أتشجّع إلا بعد تشجيع الأصحاب
لي، فأردتُ خوُض التجربة ويا ليتني بقيتُ جباناً.. سقطتُ من فوري اختلّ
توازني وأنا على ظهر الخيل.

آنذاك أصبحتُ مهزلة الجميع خصوصاً جنان.. ضحكْتُ على المشهد
من أعماق قلبها..

تأذيتُ قليلاً من السقوط.. إلا بأنّ تطبيبك لجراحي يا طبيبي أنساني
ذلّ الموقف.

كانت طبيعة المكان بالنسبة لجنان مُتنقّساً خلافاً لأجل الرسم..

رسمت الكثير من المناظر المترامية حول المكان. حقيقةً ذهلت من إبداعها في الرسم.. لم أكن أعلم بأنها تحبّ الرسم.

بل وترسم باحترافية وأنا الذي كُنْتُ أدّعي بأنني أعرف كلَّ شيءٍ عنها.. هيميات.

سألتها والدهشة تتلبّسني: مُنذ متى وأنتِ ترسمين يا جنان!؟

قالت: مُنذ أن شعرتُ بالوحدة مع غيرك. كان ملاذي هو الرسم ومن باب تلطيف الجوِّ أشاهد المسلسلات الكورية عبر التلفاز لذلك بدأتُ بتعلّم لغتهم.. وفي بعض الأحيان أقرأ ما يسليني.

والآن تعرف عني ربّما كلَّ شيء.. وأتمنّى يوماً بأن يكون لي معرض خاص أعرض فيها لوحاتي السريالية والباهتة.

شعرتُ حينها بغصّة في قلبي كاد يخنقني.. اعتذرتُ منها فتوجّهتُ للبيت مُنكبّاً في غبنٍ عميق. كوني أنني أدّعي وهماً أنني أعلم كلَّ تفاصيلك.



في أوج فلق اليوم التالي.. أردنا استكشاف الأرجاء والتّحملك في الأركان التراثية.. ونبذ الملل الذي هجانا في دارنا الدافئ، بالرّغم من تقلّبات الجوِّ المُفاجئة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

خرجنا في الصباح الباكر أنا وجنان ومعنا عاطف.. أمّا الباقون قرّروا
البقاء رفضوا الانضمام وكلُّ له حجة رفضه.

حدّرنا الجد آغا من أن نتأخّر، فقد أذاعوا في أخبار الطقس بأنّ
الأجواء سوف تضطرب في الليل وهناك احتمال هبوط درجات الحرارة
أكثر.

انطلقنا وتوغّلنا أكثر إلى أعماق الغابة، كلّ هذا العناء من أجل رؤية
ما هو جديد.. وإضفاء المتعة إلى الروتين الممل..

وقفنا قرب بحيرةٍ شبه متجمّدة، فأخذنا نمرح بتكسيروها.. وفي وهلة
أصبح الجوّ عاصفاً فجأةً والهواء البارد يضربنا بجمودٍ يثقبُ أجسادنا
الواهنة.

فهممتُ أنا بالرحيل، ولكن عاطف رفض الانحناء لما قلته! فتقدّمتنا.
شعرنا بالخوف قليلاً وتمسّكنا بذيل عاطف، فهو رجل قد اعتاد
على مثل هذه المغامرات الخطرة من قبل، بل ويعشقها، منذ كان طفلاً
وقد ضاع في الكثير من المرّات.. وسقط في كثير من المرّات فجسده مليء
بالندوب.. كم هو رجل متهور ومليءٌ بالألغاز!

حقيقة أخذتُ في خاطري منه. إذا كُنْتَ أنتَ تعشق الشتاء هكذا
وكأنك دبُّ قطبي، فما ذنبنا نحن حتى تجرّنا معك في جنونك؟

انقلبَ الفرح والسرور اللذان ملأَ صدورنا قبلاً إلى رهبة مظلمة ازداد
الجوّ حلكتها وبرودة.

بدأتِ الثلوج في التساقط بغزارة، وأصبح المكان مُظلماً وكأننا لسنا في
النهار وكأنّ الغول قد ابتلع الشمس.

قال لنا عاطف يُطمئِننا: الجوّ ممتع، واجهنا هكذا عواصف في
شتاءاتٍ كثيرة. فلا تقلقا.

لم أكنُ خائفاً على نفسي بقدر ما كُنْتُ أفكر بأمانة الناس في عنقي.
كانتُ جنان ترتجف من البرد. فنحن في السعودية لم نشهد قط هكذا
عواصف.

قلبتُ بصوتٍ مُرتجف: أشعر بالبرد يقطعُ عظامي. أتوب والله توبة
لن أخرج مجدداً في جوِّ كئيبي كهذا.

مسكتُكِ وضممتكِ إلى صدري كانتُ تلك المرة الأولى التي أضمتكِ فيها
خوفاً.. كاد روعي يستشهد بين أحضانك.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

سَخِرَ عَاطِفٌ مِنْ مَنظَرِنَا.. وَقَالَ: أَنْتَمَا لِبَعْضِكَمَا، وَأَنَا مِنْ سِيضَمِّي
لِتَخْفِيفِ الْبَرْدِ عَنْ كَاهِلِي؟

تَأَخَّرْنَا كَثِيرًا بِالْعُودَةِ وَالْهَوَاتِفِ لَا تَلْتَقِطُ آيَّةَ إِشَارَةٍ، أَضْعُنَا طَرِيقَ
الْعُودَةِ وَلِسَاعَةٍ كَامِلَةٍ نَقْتَفِي أَثَرَ الْعُودَةِ..
بَعْدَ جَهْدٍ وَتَعَبٍ وَصَلْنَا أُخِيرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي انْطَلَقْنَا مِنْهُ.. بَعْدَ أَنْ
أَخْرَجْتُ جَنَانَ مَنْ جِيبِ مَعْطَفِهَا أَدَاةَ الْإِضَاءَةِ.

"حَقًّا خِيَالُهَا فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ أَصْبَحَ مَنْطِقًا".

نَهَمْنَا الْجَدَّ مُنْذُ الْبِدَايَةِ بَعْدَ الْخُرُوجِ، أَنَا وَجَنَانُ أَرْدُنَا الرَّجُوعِ وَلَكِنْ
إِصْرَارُ عَاطِفٍ رَمَى بِنَا نَحْوَ جُرْفٍ هَارٍ.

ظَهَرَتْ مَلَامِحُ الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ أَمَامَنَا. فَبَدَأَتْ الْأَنْفُسُ تَسْتَعِيدُ
أَنْفَاسَهَا. فَانْتَظَرْنَا بِحَافَتِهَا حَتَّى تَوَقَّفَتْ إِحْدَى الْمَرْكَبَاتِ فَأَقْلَنَّا إِلَى حَيْثُ
كُنَّا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عُدْنَا وَنَحْنُ بِصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ لَمْ تَأْكُلْنَا الذَّنَابَ وَلَمْ تَدْفِنَا
الْثُلُوجَ.

بَدَأَتْ الْأَجْوَاءُ تَسْتَعِيدُ عَافِيَتَهَا. وَبَدَأَ الْفَتَيَانُ وَالْفَتَيَاتُ بِالتَّجَمُّعِ فِي
مَلَاعِبِ الْكَرِيكَتِ..

أذكر بأننا كوَّنا فريقاً من مجموعتنا الفدَّة، محمد كان الأفضل في هذه اللعبة ثمَّ عاطف ومنى قليلاً.

أما أنا وجنان فلا خبرة لنا بتاتاً في هذه اللعبة.. لا نعلم قوانينها من الأساس ولمَّ ألعِبها مطلقاً في حياتي.

أمَّا الفريق الآخر فكان مُشكَّلاً من فتیان وفتيات مهرة.

اشتركتُ مع الخصم ولعبتُ بشكلٍ سيءٍ كالعادة، أعلم بأنَّها كانت خيانة ولكنِّي في النهاية سأكون عالة على فريقِي.

على الأقل أضحكتُ البشر على أفعالي المكرِبة، وأضفتُ البهجة إلى قلب جنان عمري قليلاً.

كان ضمنَّ الفريق الخصم والذي كنتُ معهم فعلياً.. شابة كورية في أواخر العشرينات من عمرها. في البداية أخذتُ تأخذُ وتعطي مع جنان لأنَّها تتقن اللغة الكورية وتُجيدها.

قضوا فوق النصف ساعة في التثرثرة.. ونحن كالأطرش في الزفة، بالكاد نطقنا اسمها المُركَّب.

واسمها كما أذكر كيم أون يونغ سوک.. عاطف الذكي قال: اسمها كثير ولو أكثرنا من ذكر اسمها لأصاب اللسان بعقدة نفسية.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

لِمَ لَا نَخْتَصِرُ الْاسْمَ وَنَدْعُوهَا بِاسْمِهَا الْأَوَّلِ كَيْمَ.. أَسْهَلُ فِي النُّطْقِ!
أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

اسْتَدْرِكُ مُحَمَّدٌ: نَعَمْ، نَعَمْ، أَحْسَنْتَ يَا عَاطِفُ، أَفْكَارُكَ خَطِيرَةٌ.
مَكَانُكَ لَيْسَ مَعْنَا، بَلْ فِي الْيَابَانِ يَا عَبْقَرِي.

حِينَئِذٍ سَأَلْنَا جَنَّانَ عَنْ سَبَبِ وُجُودِهَا هُنَا!

قَالَتْ: هِيَ مُعَلِّمَةٌ وَعَامِلَةٌ آثَارَ وَكَذَلِكَ طَالِبَةٌ بِمَعْهَدِ اللُّغَةِ.. تَتَعَلَّمُ اللُّغَةَ
الْأُورْدِيَّةَ.

فَالْيَوْمَ جَلِمْهَا الْمَلَلُ وَأَتَتْ لِكِي تَرْفَهُ عَنْ نَفْسِهَا قَلِيلًا مَعَ زَمَلَائِهَا، وَتَعْرِفُ
أَكْثَرَ عَنِ اللَّعْبَةِ الْمَشْهُورَةِ لَدَى شَعْبِ هَذَا الْبَلَدِ.. وَتَسْتَمْتَعُ بِمَنْظَرِ الْمَدِينَةِ
الَّتِي لَمْ تَزُرْهَا مِنْ قَبْلِ.



تَحَرَّرَ مُحَمَّدٌ أَحْيَرًا مِنْ قَفْصِ الْعَزُوبِيَّةِ إِلَى نَعِيمِ الْارْتِبَاطِ الْوَثِيقِ
وَالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ.

لَطَالَمَا تَسَاءَلْتُ هَلِ الْإِنْسَانُ الْأَعْزَبُ أَكْثَرُ حَرِيَّةٍ مِنَ الْآخِرِ الَّذِي انْتَهَى
بِهِ الْمَصِيرُ فِي زِيْجَةٍ غَيْرِ مَتَوَقَّعَةٍ!

عندما تكون خالياً من الحبّ تجذبُك الشهوات وتلوح في ذهنك أفكار ملوثة بالجنس وما يدرّه من متعة محدودة.

لطالما ربط البشر السعادة بالزواج. كما قال سقراط يوماً "تزوج يا بني فإن وفقت في زواجك عشت سعيداً. وإن لم توفّق أصبحت فيلسوفاً".
لا ينقصني سوى أن أصبح سعيداً لطالما كنتُ فيلسوفاً في عشقك يا عذابي.

ناقشتُ موضوعاً مُختلفاً فيه بين الأجيال السابقة والحالية، مع الجدّ آغا. حيثُ أردفتُ له مقولات عدّة تُثبت بأنّ السعادة الزوجية لا بدّ لها من إرهاصات ومن ضمن تلك الإرهاصات الحبّ المُسبق. استبدّ الجدّ وأخذَ يلعن هذا الجيل الفاشل، بقوله: كُنّا نثق بأمهاتنا ونتمنّى زوجاتٍ مثلهن، لذا كُنّا ندع لهنّ أمر الاختيار.

واستمرّ السِجال والجدال ولم يصل أحدنا إلى حلّ منطقي، فارتوينا بماء الاستسلام وارتجيننا الصمّت.

كان حفل زفاف أحبابنا شهناز ومحمد بسيطاً جداً وخفيفاً وكأنّك في زفاف أوروبي.. إفطار خفيف وبعض الموسيقى الهادئة مع شيء من حركات الرقص المملة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الأمر الأكثر إثارة في الحفل حينما رقصت منى- تلك الهادئة العفيفة- بصخبٍ في الحفل حتى أنها اختارتُ شريكة الرقص مبكراً انزوت نحو عاطف فتشاركا برقصة مُميّزة استدعت الجميع للتوقف عن الميلاَن ومشاهدة الحيتان وهم يرقصون.

عجيب "وراء كل أنثى هادئة وبسيطة جنيّة تحتمها على الإقدام".

مع الأسف لم أكمل الحفل وكذا جنان عمري.

ظننتها لم تتقبّل فكرة الحفلات المُختلطة.. فنحن عندما كنّا نحضر أعراس الناس في السعودية لم يكن الاختلاط وارداً.. فهذه أول تجربة لنا في حفل زفاف مُختلط.

أثناء الحفل ارتفعت حرارتها فجأة ممّا اضطررتني لإرجاعها إلى إسلام أباد.

عندما رأها سالم على نحو ما كانت عليه من تعبٍ وفير.. عاتبني كثيراً.. بدوركٍ دافعت عني بحجّة أنك لم تكوني ملتزمة بلباسٍ كثيف كما يجب.. فلفحك البرد.





بعد وهنك البسيط.. افتقدت نورك في ظلامي أزقك حزن عاتي.
سألتك عن سبب حزنك!

- تُجيبيني بأنني أتخيل من شدة حرصي عليك.. أشع حزنك نحوي
شعوراً بالخيبة.

هي روعي الأخرى، روعي التي تربطني بها كل أنفاسي.. ومع هذا كله لا
أعلم ما يحل في عالمك فجأة، مُعضلة أنت في مشاعرك الغريقة! هكذا
أنت تمزقين حكاية السعادة معي فجأة وتكتمين ما يمزقك أنت.
طال ليل الحزن معك، قلتُ لعله ينكمش فينتشر نسائم السرور في
وجنتيك مجدداً.

حينذاك أخبرني سالم عن سبب حزنك المتشجج.. أذابني الخبر وأراق
دم أتراني.

مازن خطيبك السابق.. ذلك الغيث الحقير نشر صورك القديمة
معه أثناء حفلة الخطوبة عبر مواقع التواصل، فانتشرت كالهشيم بين

الأقارب والأصحاب. لا ريب أنه أفضى سرَّ حُقدِهِ الدفين ونفثَ سَمَّهُ
غِيظاً.

انقلبتُ مرارتي إلى كُتْلٍ مِنْ حَمِيمٍ. حاولتُ الوصول إليه. علني أستنزف
حُقدَهُ أو على الأقل أطلبُ منه مسح تلك الصور المُشينة والخادشة
للستر والعفاف.

تلك الصور التي تُظهرين فيها أناقتك، ونضوج أنوثتك وكأنك نصف
عارية.

أرهقتني تلك الصور الباهتة حتى طفقتُ أستغفر ربي من شهيق
الشیطان.

أذكر أنني سألتك هل من ذكرى قديمة بينك وبين مازن؟ أو هل لا
زلت تحتفظين بشيءٍ منه أو هو يحتفظ بشيءٍ منك.

فُلتِ وفي نفسك حسرة: غصَّ الطرف عن هذا الماضي العقيم يا
قلبي.. فنأيتُ أن أسألك مجدداً عن أمرٍ لا تطيقين الحديث فيه.

اتصلتُ به بعد بحثٍ حثيثٍ عن رقمه أو كيفية الوصول إليه.. وبعد
محاولاتٍ تمَّ رفض سابقتها. ضَغَطَ زَرَّ الإجابة.

ودونما إرادة مَيَّ صِحتُ في وجهه وألقيتُ عليه شتَّى الألفاظ النابية..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كان هادئاً تارة وتارة يضحك باستفزاز ذلك العنجهي المُستفز.. وبكلّ
غضب وقهر قلتُ له:

أنتَ رجل بلا كرامة.. لا كرامة لك أيّها البيض العفن.. صدقني إن لم
تحذف تلك الصور فلا ريب سوف أشكيك للسلطات بتهمة الابتزاز.

أجابني: بل هي ملاكك تلك ال.....!

أوص.. لا تكمل حتى، صدقني لن تستفيد شيئاً من إيدائك لنا بهذه
الطريقة الصببانية.

أوقفته عن المُهاترة في حبي وأردفتُ له بقولي ماذا يُريد حتى يحذف
تلك الصور!

فأجاب بكلّ بجاحة: أريدها أن تعتذر لي وتعتزف بأثها كانت مُخطئة
وأثها دنيئة وأن تردّ لي أموالي. تلك الأموال التي سلبوني إياها.. هي وأمها
البيغضة.

قلتُ له: لن يعتذر أحدٌ لأحدٍ ولكني سادفك لك مبلغاً أكثر ممّا أعطيت
يُسكت حقدك.

ضحك، وقبيل إقفال الخط.. قال:

"هي شيطانة ولكن من الجنس اللطيف فاحذر قبحها يا خروف.
صدّقتني سيُصيبك ما أصابني من جنون.. صدّقتني فهي أفعى منافقة".
استمرّ يهينها: ادّعت كونها مريضة حتى تنفكّ من المسؤولية.. حينما
شَبِعَتْ ونالت ما أرادتْ سحبتْ نفسها وكأَنَّها سفيرة سلام في أرض توقف
فيها الحرب.. فهي كاذبة ومعتوهة لا تعرف للحبّ معنى فلا تشعر بمن
تحطمهم إلى بقايا حطام.. احذر منها فحياتك الآن مرهون بخيانتها وأنت
تحت طُوع أمر كيدها الفاتن".

"أثار مازن الكثير من التساؤلات لديّ! جعلني أنام بزخم الشكوك
فأستيقظ فزعاً من كوابيس فُقِدِ مرعبة".
في الصباح اتّصلتْ بي أمي توبّخني وتضمّديني في آنٍ معاً. حنيتُ رأسي
خجلاً واستسهمتُ استمع لما تقوله عن روجي وجنان عمري..
"وأنتها وأنتها فيما وما فيها".

جرحتني أمي كثيراً.. فهي عندما ساد نظرها في تلك الصور قاستني
وجعاً وإذلالاً وأمرتني بتركها. ولا أعلم من الفتان الذي أرسل إليها تلك
الصور. ولا أستغرب كون الجميع يحسدني بك.

آنذاك لم أدافع عنك أمام سلطنة العهد والتربية أمي.. لأنّ في نفسي

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

عُتِباً عَظِيماً عَلَيْكَ.. كَيْفَ دَانَتْ لِكَ نَفْسِكَ وَلَمْ تَسْتَرْهَبِي الْمَوْقِفَ فَوْضَعْتَ
نَفْسَكَ مَوْضِعَ الشُّبْهَةِ وَالذَّلِّ!.

كَيْفَ سَمَحْتَ لِكَ نَفْسُكَ بِالتَّقَاطِ تِلْكَ الصُّورِ الْبَاهِتَةِ فَأَنْتِ لَمْ
تُحَبِّبِيهِ وَلَمْ تُرْهِنِي حَيَاتِكَ مَعَهُ بَعْدَ! أَلَا تَعْلَمِينَ مَدَى فَتْنَتِكَ وَمَدَى جَمَالِكَ
الْحَالِكِ. أَلَا تَعْلَمِينَ بِأَنَّكَ سَتَغْرَقِينَ الرِّجَالَ فِي وَحْلِ جَسَدِكَ الْمُرِّ!؟
اتَّصَلْتُ بِمَازَنٍ مَجْدِداً بَعْدَ مَا اقْتَرَضْتُ الْمَالَ مِنْ وَالِدِي وَمِنْ هُنَا
وَهُنَاكَ.

أَرَدْتَهُ أَنْ يَصْغِيَ لِنَفْسِهِ الْإِنْسَانِيَةَ لِأَنَّكَ النَفْسَ الْمَرِيضَةَ الْحَقُودَةَ.
فَأَجَابَنِي بِغُرُورٍ وَقَالَ: مَسَحْتُ الصُّورَ يَا خُرُوفَ. لَا تَقْلِقِي.. وَلَا أَحْتَاجُ
إِلَى مَالِكَ.

لَكِنْ كَمَا قُلْتُ لَكَ احْذَرِ تِلْكَ الشَّيْطَانَةَ.. مَهْمَا كَانَتْ جَمِيلَةً فَهِيَ بِلَا
كِرَامَةٍ تَبْحَثُ فَقَطْ عَنِ الَّذِي تَقْضِي وَقْتَهَا مَعَهُ. كَلَّ الَّذِي أَرَدْتَهُ مِنْ فِعْلِي
هِيَ تِلْكَ الشَّنِيْعَةُ، أَنْ تَعْتَذِرَ وَتَكْتَبَ لِي بِأَنَّهَا هِيَ الْمُخْطِئَةُ وَقَدْ فَعَلْتُ.. مَعَ
السَّلَامَةِ يَا خُرُوفِي الْعَزِيزِ... أَقْفَلِ الْخَطَّ وَلَمْ يُجِبْ بَعْدَ ذَلِكَ.

انْقَصَفْتُ قَهْرًا عَلَيْهَا.. لِمَاذَا طَرَحْتَ كِبْرِيَاءَهَا نَحْوَ مُنْحَدَرِ الْأَنَا مُخْطِئُ
يَا تَرَى!؟



ليلتها لم أذهب إليها ولم أطلب رضاها غرقتُ في خيبيتي وجثتُ على أريكتي الممتدة.

لم أبكي كنت أشهق وأفرغ أكوام الحزن المتراكم فوق أكتافي.. صدّقيني كنت أعاني من نقصك حيثُ إنني ظننتك كاملة.. لماذا تنازلت بكلّ بساطة وبكلّ هدوء دونما استشارة أو حتى إشارة!.

احتواني الاكتئاب والكمد.. وقتها زارتني منى فدلفتُ لشقّتي دون أن أدرك بأنني تركتُ الباب شاغراً لثلاثة أيام مُتتالية.

هي بعد ما علمت عن انطفائي، وبعدما تركتُ مجموعتهم في تطبيق "المراسلات" استسلمت لفضولها فداهمتني. خرجتُ معها مترجلاً نحو الحديقة أخبرتها بما في خاطري وما في نفسي أخرجتُ كلّ الكلام المدفون داخلي ورميتها بلا سترٍ في حُضنها.. مَسَحْتُ ببطن كَفِّها على كتفي وقالتُ: قُمْ إليها. وافهم ما حدث منها.. لا يعجبني هذا النكد وهذا الألم الذي تُكابده لوحديك.

هلمّ إليها وأدفن رأسك في أحضانها ودثارها واسألها عن سبب كلّ شيء يؤزقك.. عش سعيداً فالحزن لا يناسبك يا صديقي.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَتَتْ مِنِي وَغَادَرْتُ كَطَيْفٍ بَرَّاقٍ، أَخْرَجْتَنِي مِنْ حُلُكْتِي وَلَكِنْ لَمْ تُدَمِّرْ
شِظَايَا الْإِسْتِفْهَامِ مِنْ مَخِيلَتِي.

اسْتَلْقَيْتُ فَوْقَ الْعُشْبِ الْمُبْتَلِ، هَمَزْنِي الْقَلْقُ مَجْدِّدًا، فَتَكَوَّرَتِ الْأَسْئَلَةُ
فِي جَمْعَمَتِي، لِمَاذَا تَأْتِي مِنِي وَتَهْتَمُّ لِأَمْرِي هَكَذَا! تَعَوَّذْتُ مِنَ الشَّيْطَانِ
فَجَعَلْتُ لَهَا عِذْرًا خَافِتًا.

قُمْتُ فَأَدْرْتُ الْمُقْوَدُ نَحْوَ شِقْتِكَ. اسْتَقْبَلَنِي سَالِمٌ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ..
حِينَمَا دَلَفْتُ وَجَدْتُ عَاطِفًا وَهُوَ يَمْسَحُ بِالْمَنْدِيلِ نِقَاطَ الشَّيْءِ الْمُنْسَكَبِ
فَوْقَ بِنَطْلُونِهِ.

سَأَلْتُهُ مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ؟ أَجَابَنِي: اقْضُوا أَمُورَكُمْ بِالْكَتْمَانِ.. أَلَيْسَ
هَذَا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا غَلَامُ! تَرَكْتَهُ وَتَرَكْتُ ثِقْلَهُ الْمُصْطَنِعِ
مُتَّجِهًا نَحْوَ غُرْفَةِ عَقِيدَتِي وَدَرْسِي وَعُقْدَتِي وَكُلِّ مَا أَشْتَهِي فِي حَيَاتِي.
طَرَقْتُ الْبَابَ وَبِي هَاجِسٌ أَتَوَجَّسُ مِنْهُ.. فَتَحَ الْبَابَ وَإِذْ بِهَا عَزِيزَتِي مَحْمَرَّةَ
الْأَجْفَانِ وَالْبُؤْبُؤِ وَسَوَادُ كَالْحِجْرِ يَدُوجُ فِي فِرَاقِ عَيْنَيْهَا..... لَرَبِّمَا كَانَتْ تَبْكِي
لِأَيَّامِ مُتَوَاصِلَةٍ..!

قَفَزْتُ تَلْقَائِيًّا فِي أَحْضَانِي تَضْرِبُنِي بِقَبْضَةِ يَدَيْهَا فَوْقَ صَدْرِي.. تَرَكْتُهَا

تضربني حتى يُنجلي همّها وتستكن. حينما فَرَعَتْ مِنْ ضَرْبِهَا لِي اسْتَسَلَمْتُ
للتعب كادتُ تَسْقُطُ لولا أَنِّي ثَبَّتَها بَيْنَ ذِرَاعِي.

شَعَرْتُ فِي نَفْسِي الأمان.. وتوقف لحظةً عِنْدِي الزمان فعرفتُ حينها
مهما ادعينا القوة فنحنُ فِي النِهايَةِ مَجْرَدُ سُحْبِ كَثيفَةٍ مِنَ المِشاعِرِ
تَبَخَّرَ بالأثقالِ والأَتعابِ فَتَمَطَّرَ دَمْعاً غَزيراً.

"صخاء عاطفي بـرجوازية ومتاهات في علاقتنا الغريبة".

تركتها فوق سريرها تستريح. نأيتُ للمطبخِ لِعَلِّي أَعَدَّ لها قَلِيلاً مِنْ
القهوة تُذهِبُ عنها قِيحَ الهَمِّ والتعب.

حينما خرجتُ مِنَ المِطبخِ رأيتُ سَالمَ وعاطفَ يوشوشون خيفةً
ويهمسان لِبعضِهما.

أمرُ مريبٌ مُنذُ متى بدأتُ أشجارَ الغرورِ لِدِيهِ تَميلُ لَغُصَنِ مَكسورِ!
لَمْ أَشأُ التَدخُلِ فيما لا يَعْنِينِي حَتَّى لا أَسْمَعُ ما يَغِيظُنِي مَجْدِداً مِنْ فَمِ
ذَلِكَ الإِنسانِ الثَقيلِ.

"لا أنكر علاقتي الأخويّة معه، ولكن غلاظته وغروره كان عائناً لي

أمامه".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

دلفتُ لغرفتها مجدّداً أحمل معي كوب قهوة. وقليلٍ من الحلوى
التركية. همستُ في أذنها استيقظتُ من فورها.

عزيزتي: خُذي تذوقِي القليل من القهوة علّك تسترخين! قامتُ من
مضجعهما فاتكأت بأقرب جدار.

قرّبتُ كرسيّاً وجلستُ أمامها أتأمّل هدوءها المتضخّم.

بادرتني بالحديث.. أتعلّم أنّي اشتقتُ لأبي كثيراً.. كان دائماً ما يربّتُ
فوق كتفي ويُقبلني فوق جبيبي. فيُسبّبُ أفعاله بقوله: أنّه يحبّني وأنّني
صغيرته المجنونة الحنونة.

كمُ اشتاق لتلك الأيام العظيمة.. كمُ أحنّ إليك يا أبي.. فلو كان
بجانبي الآن لما تجرّأ أولاد الحرام بانتهاك نقائي وأبهة حُلّتي.
قلّتُ لها ملطّفاً حالها: أنا موجود الآن.. ولو أنّني لستُ كأبيك.

قالتُ وهي تُنظر نحوي بنصف أجفان.. نعم أنتَ موجود ولكنك
لستَ أبي. يا الله اجعل الراحة تستوطن قلبي.

حزنتُ كثيراً من منظرها الهشّ آنذاك، واستطردتُ أستذكر ما قاله
مازن عنها. أهذه النعجة الرقيقة التي كُنّت تنعّمها بالشیطانة! فلو كانتِ
الشیطانات مثلها فلحلت البركة على البشر.

ظَلَّتْ تَتَحَدَّثُ وَأَنَا بِدَوْرِ الْمُنْصَتِ إِلَيْهَا.. أَتَعْلَمُ بِأَنَّ كُلَّ الْمَصَائِبِ تَأْتِي
سَوِيَّةً فِيهِ لَا تَأْتِي فِرَادَى وَقَدْ قَالُوا..

قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِمَا يَحْدُثُ مَعَكَ! عَلَيَّ أَحْقَفُ عَنكَ. هَلْ لَا زَالَتْ شَوَائِبُ
مَازِنِ عَالِقَةٍ فِي عَقْلِكَ؟

أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا كَانَتْ وَاقِعَةٌ تَحْتَ تَأْثِيرِ أُمَّهَا السُّتِّ بَهِيَّةٍ فِيهِ الْأَمْرَةَ
وَالنَّاهِيَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ تَكْرَهُ مَازِنَ وَإِنَّمَا كَرِهَتْهُ
بِسَبَبِ طَمَعِ أُمَّهَا فِي ثَرَوَةِ الْفَتَى، فَقَدْ كَانُوا يَنْثُرُونَ الْمَالَ عَلَيْهَا وَهِيَ كَالجِيبِ
الْمَفْتُوحِ تَسْتَقْبِلُ الْأَمْوَالَ بِشِرَاهَةٍ.. وَمَا أَنَا إِلَّا ابْنَةُ بَارَةٍ تَخْشَى لِعِنَةِ اللَّهِ.

أَتَعْلَمُ حَتَّى الْآنَ فِيهِ مُسْتَمِرَّةٌ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْمَالِ وَتَنْظُرُ أَنَّ الرَّاحَةَ فِي
الدُّنْيَا وَالسَّعَادَةَ تَكْمُنُ فِي الْجُيُوبِ الْمُتَمَلِّئَةِ وَإِنْ كَانَتْ ضَيِّقَةً.

أَصْبَحْتِ الْآنَ تُرَاوِدُ جَارَهَا عَنِ زُوجَاتِهِ الْأَخْرِيَّاتِ.. تَرِيدُ أَنْ تُدَمِّرَ بَيْتاً
بِالكَادِ يَقِفُ عَلَى أَرْكَانِهِ الْهَشَّةِ.. تُرِيدُ خَرَابَ بَيْتٍ لِإِعْمَارِ بَيْتِهَا.. رَفَضْتُ
الْأَمْرَ مُطْلَقاً وَلَكِنَّهَا مَصْرَةٌ وَمَا بِالْيَدِ حِيلَةٌ.

وَأَظَنُّهَا لَمْ تُعَدِّ تَفَكَّرَ بِنَا نَحْنُ أَطْفَالُهَا الْمَشْتَتُونَ.. وَالْأَمْرَ الْآخَرَ الْأَكْثَرَ
إِيلَاماً بِأَنَّ سَالِمَ مَدِينِ لَدَى تَجَّارِ السُّوقِ.. الْكَلِّ يَرِيدُ مَالَهُ وَتِجَارَتَنَا لَا تَسِيرُ
عَلَى مَا يَرَامُ نَحْنُ مَفْلَسُونَ يَا سَلْمَانَ!

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَتَعْلَمُ أَحَدَ الدَيَّانِينَ هُوَ السَّيِّدُ كَنَّانُ وَالِدِ صَدِيقِنَا عَاطِفٍ.. أَقْرَضْنَا مَا يَكْفِي مِنَ المَالِ حَتَّى نَقْفَ مَجْدِّدًا عَلَى أَرْجَلِنَا الهَيْشَةَ.. وَلَا يُرِيدُ مِنَّا إِرجَاعَهَا لِأَحْقًا، قَالَ هِيَ صَدَقَةٌ عَنِ أُمِّي المَرْحُومَةِ.

أَحْسَسْتُ بِضَيْقِهَا الوَاسِعِ.. انبَثَرْتُ فِي شَقَّتِهَا لَيْلَتِذَلِكَ.. حَتَّى تَسْتَعِيدَ عَافِيَتِهَا كَمْ هِيَ مَسْكِينَةٌ مَتَى نَرْتَاحُ يَا إِلَهِي مِنْ هَذَا كَلِّهِ!؟
"رَبِّمَا كَانَ هَذَا السَّبَبُ وَرَاءَ قَدُومِ عَاطِفٍ لِدَارِهِمْ".



عَادَتْ مَلَائِكِي قَوِيَّةٌ كَمَا كَانَتْ.. ارْتَسَمَتْ بِوَادِرِ الفَرَحِ فِي وَجْنَتِهَا. سَكَنْتْ وَهَدَأَتْ. قَوَّتْ عَزِيمَتِهَا لِإِكْمَالِ مَسِيرَتِهَا. أَيْقَظَتْ نِيَّتَهَا نَحْوَ غَدٍ أَجْمَلٍ قَامَتْ بِرَفْعِ أَوْرَاقِهَا لَدَى مَدْرَسَةِ حُكُومِيَّةِ لِإِكْمَالِ الثَّانَوِيَّةِ العَامَةِ.. خَاضَتْ امْتِحَانَ القَبُولِ فَتَفَوَّقَتْ فَتَمَّ قَبُولُهَا مَبَاشِرَةً.. وَلَكِنَّهَا أَبَتْ ذَلِكَ الرُّوتِينَ المَمْلِ فِي حُضُورِ الدَّرُوسِ وَتَسْطِيرِهَا.. فَارْتَمَتْ بِنَفْسِهَا فِي أَحْضَانِ أَحْلَامِهَا الطُّفُولِيَّةِ.

بَدَأَتْ بِتَلْقِينِ نَفْسِهَا بِنَفْسِهَا بَيْنَ كُومَةِ أَوْرَاقِهَا وَدَفَاتِرِهَا المُبْعَثَةِ.. فَحَقًّا تَذَهَبُ فَتُدرِجُ دَرَجَاتِ التَّفُوقِ عَلَى أَوْرَاقِ الامْتِحَانِ وَمِنْ ثَمَّ تَعُودُ أَدْرَاجِهَا حَيْثُ دُرَّةٌ أَحْلَامِهَا وَيَاقُوتَةٌ فَكْرُهَا الهَادِي.

اكتسبتُ صغيرتي قوّة الإدراك وقوّة الحفظ فتعلّمت الشيء الكثير
وفهمت الكثير ودليل ذلك إتقانها السريع للغة الكورية.

بُعِيدُ تلك المآسي المنصرمة في حياتها أدركتُ أنّها تناستُ، أو بالأحرى
بأنّها تاهتُ وسط معمعة المصائب فلم تُواكب تطویر لغتها.

فتقدّمت لمنحة مسائية بإحدى تلك المعاهد التعليمية المختصة في
تعليم اللغات.. فأتاها هدهد أحلامها بنبأ يقين يبشّرها بأنّ إحدى المعاهد
أنارتُ في طلبها فأضاءتُ قبولاً تسرح بها في مسارح الدراما والرومانسية.

تأثّرها وتعلّقها بالمسلسلات الكورية كان لها وقعٌ غريب في حياتها.. مع
أنّي أخالفها الرأي فأنا الذي كرهتُ تلك المسلسلات لا لشيء إنّما عندما
أنظر لأشكالهم الشاذة فلا أكاد أفرّق بين الرجل وامرأته. لذلك سادتُ
لديّ مواقف شنيعة تجاه الأفلام الشرق آسيوية.

استرسلتُ في دروسي ذات فلق، أرسلتُ إليّ نَفْحُ الطيّب أنّها قابلتُ تلك
الكورية ثانية "كيم حسبما أذكر" تلك التي اخترعنا لها اسماً مختصراً
حتى لا نُصاب بشدّ عضلي في عضل ألسنينا.

كانتُ تعمل كأستاذة في ذلك المعهد تُدبّر قوت يومها وتقضي بها
أبحاثها الفضولية حول المغول واستعمارهم للقارة الهندية.

في الآونة الأخيرة تطورت علاقتهما كثيراً. أصبحت جنانُ حياتي ترتاد شقتي كثيراً. بدأت الأمور تأخذ منحى آخر غير التي كنت أرجو وأتمنى. تغيّرت، كما عاداتها في كلّ أمر جديد. وكأنّها ارتقت ونحن في القاع. تغيّرت في لباسها في تصرفاتها وفي حياتها وحبّها وحنونها. أشاركها اللوم فألوم نفسي أيضاً لغيابي المنقطع عنها فحجّة الغائب معه.

انشغلت كثيراً عنها بحجّة الدراسة والأمر الآخر الأكثر إشغالاً وإزعاجاً كان في ذهاب وإياب صديقتك الأخرى منى لكهفيّ البارد. من كثرة زيارتها المفاجئة تكوّن لدى الناس فكرة خاطئة عنها. بأنها فتاة تبحث عن المال فتقدم للرجال عفتها وتأخذ مقابلها. لأنّ المبنى السكني الذي يحتوي شقتي لا يوجد به سوى الذكور.

مؤخراً افتتح والد منى محلاً تجارياً قريباً من الجامعة ففي وقت فراغها تُساعد والدها في قضاء حاجات المحل. ممّا سمح لها بالاقتراب مني أكثر.. في البداية أوجستُ منها خيفة. لاحقاً استدركني عاطف بأنّها تكن لي بعضاً من المشاعر.. بدأت تراسلني كثيراً. وهذا لا يُطمئن.



وفي صباحِ يومٍ دافئٍ. أقضّ مضجعي حنيني لعنيدتي وسُقيا ظمئي.
حللتُ بدارها نكزتُ البابَ وإذ بسالم ينادي: منُ بالباب؟ أجبته بحنوِّ أنا
سلمان. بعد دربكة وأصوات سقوط وشم فتَحَ سالم الباب. ضحكتُ
منُ بعثرته تلك، سألته: ما الذي حدثَ معك؟ ما هذا السبِّ والشتم مع
الصباح الباكر. أجابني بعد قوله "اللعنة على الكلاب".

أحضرتُ جنان خطيبتك المُتفهمّة المُتحرّرة فكراً كما تدّعي كلباً
يكسوه الشعر الأبيض وكأنه صوف خروفٍ مغرور.. أصابني هذا الكلب
بالحساسية أصبحتُ أكحُ كحُ كلّ دقيقة. أما عن الشتم والسبِّ كنتُ
أحملُ معي أواني المطبخ أردتُ إرجاعها وترتيبها بعد تغسيلها في مكانها
المُخصّص. تعثّرتُ بهذا الكلب فانكسر كلُّ ما بيدي.

استغربتُ حينما رأيتُ الكلب الغائر وهو قادمٌ نحوي يجرّ حبلاً
مربوطاً حول عنقه.. فأصبح يطوف ويتمسح برجلي مما أثار غيظي
فركلتُها بقوة حتى تأوّهت.. فظهرتُ جنان منُ حيثُ لا أدري.. وفي ملامحها
غضبٌ عارم.

- ماذا دهاكم؟ ما الذي تفعلونه بهانيمورا؟
- ضحكتُ.. مُتناسياً غضبها العارم. سألتُها مُتغايياً: ألم تجدي اسماً
أجمل منُ هذا؟ فهذا كلب وليس جنياً!

- ها ها ها يا أيها الكوميدي أحسنت أضحكيني والله.
 - أضافت: هذا صديقي الجديد.. هانيمورا. هدية تلقيتها من صديقتي كيم.
 - أحبُّها يقضُّمني الغيظ: هل قلّ البشر في الوجود حتى تتّخذي هذا النجس صديقاً.
 - وما النجاسة إلا في أفكارك التخلفية يا فهميم.
- وبدأنا بشجارٍ طفيف.. عندما كنّا في خضمّ المعركة الطفيفة، دخل بيننا عاطف بشكلٍ مُفاجئ.. لم ألحظهُ عندما دخلتُ، كان خلفي مباشرة، لا أعلم ممّا استغرب من الكلب المدلّل! أم من الكورية العنجهية هذه! أم من زيارات عاطف المُريبة!.
- في ذيلِ الحديث نصحتُها بعدم اقتناء النجاسات.. لأنّنا كما عهدنا أنّنا لا نحفظ بالكلاب سوى للحراسة أو الصيد.. هكذا قال حبيبنا المصطفى عليه السلام.
- أجابني من طرف لسانها "لا علاقة لكم فيما أحتفظ وفيمن أصادق. ولكم دينكم ولي دين".

انفعلتُ دونما خضوعٍ مَيٍّ ورفعتُ لجام صوتي فوق عنادها. فبكتُ
ومن ثمَّ هربتُ حيثُ ملاذها. "غرفتها الباردة ومرسمها العتيق".

أحسستُ بالذنب أردتُ اللحاق بها ولكنَّ عاطف جزني من طرف
قميصي.. مذيلاً بقوله: دعها وشأنها حتى تستجمع.. أصبحتُ عصبيةً
جداً في الآونة الأخيرة. أليس كذلك.؟

في الحقيقة لستُ متشدداً يا عاطف في مثل هذه الصغائر.. إنّما أنا
لا أحبُّ أن تُكوّن جنان صداقات أكثر من ذلك. أريدها لي فقط وحدي أنا
فهي مُلكي وجاهي، لا أحبّدا أن أرى حولها ذباباً يحوم.

استغفرتُ الله وتأوهتُ حسرة، ثم التفتتُ نحو عاطف سألته ما الذي
جاء بك؟ أجبني على نحو قلق: جئتُ لأزور سالم. والذي يريده لإدارة
عملٍ ما.

أها.. هكذا إذاً..

وأنا أَلعبُ بدوائب شعري فوق الأريكة العتيقة.. أفكّر بصراخي المَهمل
في وجه جميلتي وآسرتي. إذْهَا تَجذبني من الخلف بيديها العاريتين.. حانتُ
مَيٍّ التفاتة سريعة.. كانتُ جنان.. أردتُ الاعتذار: أوقفتني.

- أنا آسف يا عزيزي.. تدلّل.. وقُل ما تريد حتّى تسامحني.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قُلْتُ لَهَا: يَكْفِينِي أَنْ تَكُونِي بجانبي فقط اليوم. أريد أن أقضي معكِ وقتاً تتجمّد فيه ابتسامته رُوحِي وتتوقّف فيه لحظات عمري.

قام رفيقي عاطف من موقده فغمز لي ومن ثمّ زَفَرَ زَفْرَةً عميقة..
قاطعنا سالم: الحبّ وما أدراك يا سيد عاطف ما الحبّ! نتركهم لوحدهم..
فخرجوا إلى حيثُ لا أدري..

اغتنمتُ فرصة كوننا وحدنا باشرتُ بسؤالها، متى نجتمع يا رفيقة
قلبي.. متى يا حداد رُوحِي وسوادي ونجاحي متى أغرقُ في بحر لذاتك! ومتى
أتغنى أمام الناس ببذخك الأنثوي وغيرتك المخيفة!؟

تمتت. فهممت. فقالت: لِمَ أنتَ عجول هكذا يا مُنازعي ويا نبضَ
قلبي؟

- أترُكها فلتأتي كما يُريدها ربّك.. فستأتي بأجمل ممّا ظننت.

استطردتُ في الحديث والغزل مُنهمكاً في سدّ ثقوبِ حبّنا المنبوذ
والعاري.

أنا مرضُك المزمّن يا دوائي.. كيف لا تنتهين ممّا أعاني! وجهك وردة
ناشفة في جنائن خوفي.

لم أعد أثق بالزمن يا جنان.. ولكأنّ البشر جميعهم يكيدون لنا كيداً

عسى ألا نجتمع في كوخ واحد، في كوخ يملأه الدفء، يملأه أطفالنا الكثر،
وخزانة ثياب تطرزينها أنتِ.. كم أحبّ التحرّش في مواهبك وتألّقك يا أنثى
ولستِ كأيّ أنثى.

وقتذاك كُنْتُ المُتكلِّمُ وكُنْتُ الدمية المُستمعة. وكأنّك تتأمّلين وجهي
المغبّش بأظافر العمر والذي يمضي دونك.. أَعَارَ علينا كليها العنيف
مجدداً، فسحبَ شيئاً من بنطالي فتمزّقت. انهارتِ جنان من الضحك
المفرط عليّ، ومن تصرّفي الحذر وهشّ هَشْتِي لكليها المغرور..

- وكأنّه يغار من وجودي حولك يا لطيفة.
- ها ها نعم، رأيت! كلّ شيء في الوجود يُحبّني.
- في تلك اللحظة ابتسمتُ ابتسامةً عظيمة من قلبي، وقُلْتُ: وأنا لا
أغار من الأشياء يا جنان عمري، بل أغار من البشر لأنّي أريد أن
أكون أنا حبيبك الوحيد وغيري مُنقرضون.

وبعد الأحاديث الطويلة ذلك اليوم، استسلمتُ عزيزتي للنوم.. فتركتهَا
تنامُ مُرتاحة البال.



في الآونة الأخيرة.. أصبحت الأوضاع السياسية في البلد مُقلقة للغاية..
نَبّهتنا الجامعة بعدم التدخّل في الشؤون السياسية والتوجّهات التخريبية
بتاتاً.

بدأ الناس بالتجمهر والتظاهر أمام مبنى الحكومة.
دخلت المملكة العربية السعودية في حربٍ مُتهك.. أمام عدوّ من أعداء
الأمة في اليمن السعيد.
تحالفت عدّة دولٍ مع المملكة.. آنذاك باكستان لم تُشارك في ذلك
التحالف.

طالب الشعبُ الحكومة بالانضمام للتحالف والذود عن أرض
الحرمين.. ولكن قرار البرلمان عكست رغبات الشعب.. فنتج عنه غضبٌ
عارم.

كُنْتُ كدجاجة تحضن بيضها، مُستقراً فوق سريري.. وقتها لم أخرج
مطلقاً من صُومعتي.

في المملكة الكريمة لم أزل قطّ مثل هذا التعصّب والتجمهر.

حتى جنان عمري حذّرتها مُسبقاً.. فلم تُخرج البتة حبسها سالم في
الشقة حتى تهدأ الأوضاع المتوتّرة وتُعود المياه إلى مجاريها.

خصوصاً بأنّ عقوبة التظاهر هو السجن أو الموت بضربة خاطفة
ورصاصة غادرة من الشرطة.

لا أريد لحريّتي أن تُتقيّد ولا زالت أحلامي حبيسة نفسي.. ما زلتُ
صغيراً على مزاولة التفرّد في الظلام خلف القضبان.

أرسلتُ برسالة قصيرة عبر مجموعتنا في تطبيق المراسلات، والتي
عدتُ إليها مجدّداً بعد آخر مُغادرةٍ لي منها، للاطمئنان على أصحابنا،
وأرى ما في جُعبتهم.

الكلّ كان موجوداً وساتراً نفسه في منزله، إلّا محمد لم يتكلم ولم
يُرسِل شيئاً منذ عدّة أيام. غائبٌ عنّا منذ فترة، ولم نعد نراه في الأونة
الأخيرة.

آخر مرّة زرناه فيها عندما ولدت زوجته بطفلة كالقمر ساطعة.
هنّأناهم على القمر الجديد الذي بزغ في حياتهم تواءً فتاة كالعسل
المُصقّى.. ما شاء الله تبارك الرحمن.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

شهناز.. أسمتها جنان.. ظناً منها بأنّها ستصبح مثلها باهرة للعقل
وأخاذهً للألباب.

لم يولِّ أحدٌ أمرَ انكماش محمد المفاجئ واختفائه الغريب أهمية
كُبرى سواي.

فاتصلتُ بالأخت شهناز من فوري.. في الوهلة الأولى لم تُجب ولكن
بعد التكرار والإزعاج أجابت. فقالت:

"بأنّ محمد مُحتجزٌ لدى الشرطة المركزية بتهمة الإرهاب..!!

انفجرتُ في وجهي فوضى، ملأ جسدي بقشعريرة عجيبة.

محمد..؟! ذلك الإنسان المذهل،، كيف..!!

- أجابتي منذ أسبوعين تقريباً، ولم يخطر على بال أحدكم. ولم
تسألوا عنه حتى.

أرجفتني كلماتها القاسية، اعتذرتُ إليها مُشفقاً ومُأنبأً إِيَّاي.

سألتها عن كلّ شيء وكيف ولماذا؟ أجابتي: بأنّها لا تعرف عنه شيئاً
أكثر من التُّهمة الموجهة إليه. تُهمة الإرهاب وتخويف الأمنين. أضافت:
والزيارات ممنوعة كما تعلم، الأوضاع السياسية هذه الأيام لا تُعطي
لأحدٍ المجال بزيارة السجون ومراكز الشرطة.

- ننتظر حتى تهدأ الأمور وسنرى ما باستطاعتنا فعله.



أخيراً بعد كَرٍّ وفَرٍّ من المُتظاهرين والشرطة، رجعتِ الأمور لنصابها
ولسابق عهدها، حينها أفرغتُ وقتي لمحمد، ظللتُ على تواصل مع زوجته.
إدارة السجن، سمحوا لشهناز بزيارة قصيرة فقط ولم يُسمح لي بالدخول.
حينذاك طلبتُ مَيَّ شهناز بأن أرشدها إلى مُحامٍ بارع قبل فواتِ
الأوان.. أرشدتها إلى أحد أساتذتي الكرام من الجامعة فلديه أخٌ يُجيد
المهنة فعلاً. بالرغم من وجود بعض الأقارب لأخي محمد يزاولون نفس
المهنة ولكن لضيق الوقت وبحجة أنني لا أعرف كيف أتواصل معهم
اختصرنا الوقت فوكلنا غيرهم.

رُحْتُ أُلُوذ بالشوارع وفِكْرِي يستوطنه التوتر والقلق.. حتى وجدتُ
نفسي أمام باب شقة جنان عمري. طرقتُ الباب فلم يُجب أحد دخلتُ
دونما استئذان.. رأيتُ الجميع قد اجتمعوا وكأنَّ حفلة ما ستقام هنا..
سألتهم باستغراب: ما الذي جمعكم يا قوم؟.

أجابوا: الذي أتى بك إلى هنا هو الذي قيّض مضجعنا فأتى بنا إلى هنا.

ومعنا طفلة حبيبتنا، جنان الصغيرة. فلم نجد أفضل من جنان الكبيرة لترعاها حتى عودة أمها.

كما تعلم تلك المسكينة الآن مُنْشَغَلَةٌ بأوضاع زوجها المغبُون. وكما تعلم جدّة جنان الصغيرة تسكنُ الريف وتحتاجُ لبعض الوقت حتى تُرتبَ أمورها وتحضُر.

"كَمْ كَانَتْ تلك المرأة صامدة وقوية. تُعتبر كمثل حيٍّ وواقعي للزوجة الحقيقية".

دَفَعَ عاطف عربون المحامي قبل الشروع بأعماله الضرورية، والتي من شأنها أن تُفْرَجَ عن محمد في القريبِ العاجل إن شاء الله. ظللنا في تواصلٍ دقيقٍ مع المحامي بعد كلّ جلسة لنرى مجريات الأحداث في قضية أخونا الغالي.

وقتذاك اتّصل بي مُحامٍ آخر ذو شهرة واسعة في البلاد، حسبما أذكر قال لي بأنه قريبٌ محمد واسمه إسحاق. هو نفسه الذي ذكره لي محمد سابقاً ووعدني بالعمل معه حينما أحمل شهادة التخرّج بيميني. أرسلتُ إليه إحداثيات القضية كما طلب وسلّمته رقم المحامي الذي وُكِّلناه نحنُ

لصديقنا محمد قبلاً. فبدأوا بالعمل معاً وبأسرع ما يُمكن لأنّ قضايا الإرهاب من القضايا الكبيرة وتُعتبر من الدعاوى المُستعجلة.

أخيراً أنبأنا المحامي عن تفاصيل القضية.. قال بأنّ محمد ركب مع رجلٍ حاول تفجير منشأة حكومية وكاد يؤدي بحياة المئات.. محمد برّر موقفه بأنّه مجرد عابر تعطلت سيارته فأراد اللحاق بعمله في المشفى فركب مع أقرب شخص توقّف له عندما أشار بيده وسط الطريق، وحينما اقترب المجرم من هدفه المحدد قال لمحمد انتظر قليلاً فسوف أذهب لأرى ماذا حدث بمعاملي الحكومية. فنزل الرجل ومعه حقيبة فتوقفت مركبتان بامتارٍ بسيطة، فنزل منها رجلان يَحْمَلانِ معهما كذلك حقائقاً كالتي يحملها رجال الأعمال.. فغادروا المكان، بعدها بدقائق سُمِعَ دوي انفجارٍ مُرعب.. نزلَ محمد ليرى الحاصل فاندesh مَمّا رآه، فوقفَ يُساعد المصابين هناك ويطبّطب جراحهم لحين وصول الإسعاف، فجأة تمّت المداهمة من قِبل قوَّات الطوارئ فأمسكوا بكلّ الجموع الواقفة بالموقع وحوله.

سمعتُ بأمر العمل الجبان مُنذ قرابة الأسبوعين فلمُ ألقى للخبر آية أهمية، ولمُ أعلم بأنّ محمد كان داخل هذه المعمة الفوضوية.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الرجل الذي كان يقلُّ محمد تمكّن من الفرار بعد فشل المحاولة
الغاشمة، أما الآخِرَانِ كانا وراء الانفجار، فجّرَا نفسيهما، فتحوّلا لأشلاء
قطعٍ مُبعثرة.

مَنْ الغريب والمُضحك في آني معاً أنّ الإرهابي المجنون توقّف وأراد
إيصال محمد لأقرب نقطة يُمكنه من السير مُبتغاه. حقيقةً لا أعلم ما
كان هدفه الحقيقي ومقصده من وراء ذلك.

الحمد لله لم تكن هناك وفيات، إنّما إصابات لا تتعدّى عدد أصابع
اليد.

استمرت أعمال المحاماة لمدة شهرٍ كامل. وفي كلّ مرة يؤكدون لنا بأنّه
بريء وسيخرج قريباً.

وفي أثناء هذه الأوضاع الصاخبة قرّزنا أنا وعاطف، طبعاً ومنى بأن
يُقدّم كلّ شخصٍ منّا الرعاية اللازمة لجنان الصغيرة. لحين عودة حنان
أمّها المُغتصب.

كم كنت حنونة يا مرآة قلبي.. عندما رأيْتُكِ بتلك الحُلة الجديدة.
كاد قلبي يخرج من شدّة حنانك. انبهرتُ حقاً من تمثيل دوركِ كأم. وكانك
ولدتِ أمّاً تفيضُ بالحنان.

آه بعدما رأيتُ ما رأيتُ. تلهفتُ لأرى أطفالي منك يا جوعي. أريد منك
قبيلة كاملة.



قام المحامي بالواجب. فانتفلَ محمد من التهمة. حينذاك أقام الجدّ
أغا مذبذباً ضخمة، بعد أن ذكّي فيها ما يقارب عشرراً من البقر حمداً لله
على سلامة حفيده محمد. فوزع الباقي أنحاء القرى البسيطة ولأصحاب
الجيب الفقير.

في تلك الليلة غيرتُ من لباسي الاعتيادي بأخرى غير تقليدية. علّها
تشدّ انتباهك. بدلاً من نفس الهيئة في كلّ مرة تريني فيها. لبستُ أفخم
لباس القارة الهندية. يطلقون عليها الشرواني.

كانتُ هدية، كُنت قد تلقيتها من أبي.

عندما تقابلنا في المأدبة، وجهت نظراتك باتجاهي. توشمك الخجلُ
قليلاً، وقلتِ بابتسامة ناصعة: يا أنيق ما أجملك الليلة.

يا إلهي إحساس منلٌ آخر. كم أعشقتُ يا مُشاكستي.

أمّا محمد وعاطف فلم يُفارق الضحك والسخرية لسانهما. ككلّ مرة.
شهناز كانت سعيدة جداً برجوع زوجها.

تكوّنت علاماتُ استفهامٍ في رأسي حينما رأيتُ الابتسامةَ المرسومةَ فوق وجنتيّ شهناز! لأيّ درجة يحبّون بعضهم يا تُرى! لا أذكر ولو لمرةً فيما إذا نطق محمد كلمةً غزليّةً واحدةً أمامنا يتغزّلُ بها حبيبته!

لُجنا في آفاق الحديث. بدايةً حدّثنا محمد عن الحجز وعن قصص بعض السجناء المساكين الذين قابلهم في تلك البُؤرة المعدومة. ثمّ تناولنا موضوع الحروب الحاصلة في قارة آسيا. والظروف السياسية التي تعسر من نهضة البلد. وعمليات التهريب والتخويف الحاصلة.

وفي ذيلِ حديثنا تحدّثنا عن الأدب والشعر. وعن تعليقات عاطف القاسية تجاه قصّتي الأخيرة التي كتبها وشاركتُ بها في مسابقة المجلّة الثقافية التابعة للنادي الأدبي بالجامعة.

انتهينا من مُسامرة الوقت ومشاطرة الأحاديث. بدأ التعبُ ينال من الجميع.

الكلّ قرّر النهوض والتوكّل فور بكاء الطفلة جنان الصغيرة.

لم تكن بكاء جنان الصغيرة تلك كافية. حتى أنتِ يا جنان الكبيرة بكيتِ. يا لغرابة الأمر!

فأنتم لا تتشاركان بالاسم فقط. بل ربّما تتشاركان في المشاعر أيضاً.

قُلْتُ: بكيْتُ لأنني سأفارق رُوحِي الصغِيرَةَ جنَانِ الصغِيرَةَ، قُمتُ
برعايتها لمدة أسبوعٍ كاملٍ. أصبحتُ جزءاً مَيِّ. كمُ تعلقْتُ بها.
أردفتُ شهناز:

- حبيبتِي جنَان. لا تقلقي سوف أحضر جنَان لمُهْدِكُم بين الحين
والآخر.

شكراً جزيلاً لكم من أولكم لأخركم، لاهتمامكم الكريم، بصغيرتي
جنَان.

لا أعلم حقاً كيف أشكركم، وكيف أردد الجميل إليكم يا رفاق!



منْ أحلك الأيَام وأصعبها على المُغتريين. هو حينما يمرض، فلا أم
تُمرّضه ولا أبُّ يصبر لأخذه إلى المستشفى. تعبْتُ مجدداً ومجدداً، لضعف
مناعتي تهواني الفيروسات.

يومي بأكمله قضيته في النوم، والبرد يصفقني من كلِّ جانب والحرارة
تُجبرني على الكسل.

وفي وقت الظهيرة، اتّصل بي عاطف يسأل عن سبب عدم ذهابي إلى
الجامعة!

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

- ألو..! سلمان أين أنتَ يا جميل. لماذا لم تحضُر دروسك اليوم؟.
- قلتُ له: أنا تعبٌ جداً يا عاطف.. لا أستطيع النهوض ولا أستطيع التحدّث.
- سلامات خيراً إن شاء الله..
- هل جنان بجانبك وتهتمّ بك كعادتها؟
- قلتُ: لا فأنا وحدي أشكو هيّ لسقف غرفتي..
- صرّخ في وجهي. "مريض، وأنتَ لوحيدك يا أيها الأخرق".
- حسناً سوف أرسلُ منى أو جنان إحداهنّ ستهتمّ بك تدلّل يا بطل. وإذا نقصك شيء أرجوك اتّصل بي من فورك.
- حسناً حسناً، ومُنذ متى تهتمّ يا صديقي المغرور. هيّا سوف أكمل نومي. أراك لاحقاً.
- فجأةً بعد غيبوبةٍ طفيفة طُرق الباب. قُمتُ بثقلٍ وتكاسل. فتحتُ الباب. توقفتُ أمام الباب قليلاً. أتأمّل في الواقف أمام العتبة لم أعرفه، رجلٌ غريب ذو هيئة عربية ومن خلفه أنثى ندية تملأها النضوج في صدرها المتّرف. كانت تلك الأنثى هي صديقتنا منى.

لأنني لا أحبُّ أن أكون موضع شُبْهة أمام الناس، كوني مع فتاة جميلة في غرفة لوحدها أحضرتُ معها خالها العزيز. لم تدع لي مجالاً للتحدّث أو التعرّف على الغريب الجديد.

أثار عاطف في نفسي غيظاً عنيفاً، كُنْتُ أنتظر حبيبتي وعمري جنان، ولكنّ النذل يظلّ ندلاً.

حينها حضّرت منى الفطور سريعاً. وأقعدتني فوق سريري، انشغل خالها بين زوايا كتبي، بعدما ارتشفتُ معه شيئاً بالزنجبيل.

- قبل الإفطار رطب معدتك بهذا الحساء الساخن وضع هذه الكمّادات الباردة فوق ناصيتك.

قلْتُ لها وأنا في الحقيقة غيرُ مُدرك، ناسياً ما قاله لي عاطف ذات يومٍ حول مشاعرها.. أو بالأحرى لم أصدّقه حينها.

- كم أنت جميلة يا منى، لو أنّني لم أجد جنان حولي ووجدتُك لما أسدلتُ ستارة قلبي عنك.

أصابها الصمتُ المُرجف. لم تنبس ولو بينت شفة.

سألتها: هل تحيّن شخصاً ما. هل دُفقت إحساس العشق المتطفل

يوماً؟

أجابته والدموع تتصارع على الخروج من جفنيها الباردين، نعم أحب رجلاً..

ولكنه مقيّد بقلب امرأةٍ أخرى.

- هل هو عاطف؟

قالت: لا. ذلك الرجل ليس بعاطف ولكنّه عطوف لمن حوله. بريء في تصرفاته. عميقٌ في كلماته يحبّ أخرى يعشقها بجنون. وأنا أركضُ خلف اللّاشيء وراءه.

- هل اعترفت له:

لا، لم اعترف له. بماذا تنصحنني! هل أقدم يا سلمان!

- حاولي وبإذن الله لن يرُدك خائباً.

أحبك..... يا سلمان. مُد رأيتك علقت في قلبي كطائرٍ سجين. أعصابك هادئة قلبك حنون وما أرقه. وجهك بشوش، حينما أنظر وأحملق في وجهك أصابُ بسكرةٍ جنونية. أعلم بأنني متأخرة جداً. نعم أحبك وأكره حبّي لك. وأكره جنان تلك البخيلة في إحساسها. أتمنى بأن أنام فوق تراب

قلبك يا سلمان. أرجوك لا تُغادرني هكذا بلا قول أو فعلٍ يُليق بما أكنّه لك.

اعتذر، حاولتُ النسيان قللتُ من النظر إليك، ولكني كالمسحورة تربطني طلاسمُك في خيوطِ مشعوذة فلا أكاد أخرج حتى أعلق مجدداً.
أرجوك سامحني. الأمر خارج عن إرادتي.. أحبك. أحبك بجنووووون..
وكانَّ الحياة توقفت أمامي. وكانَّ الزمن تحوّل ل فراغ. أوقفت شوارعِي
المزدحمة.

قالتها وبكلّ طلاقة بلا قيود وبلا حياء. أحبك يا سلمان. خفتُ من
جراتها تلك.

أيّ حبّ هذا؟

لا شروط فيها، لا انعزال فيها، الكلّ غريقٌ في أعاصيره. والكلّ في كذبه
مزور.

فجأة تنبّه الشامية وتُخرج الكلمة الثاقبة من ثغرها بلا تمهّل ولا
تأني. تاركة جثة الصمت تطفو فوق قلبي.

لم أعلم بماذا أُجيبها! أحسستُ بصدق مشاعرها. أحسستُ بأنها
امرأة ملغمة تنتظر الفرصة حتى تُفجّر ما في قعرها الدفين.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أُحِبُّهَا بِرُودٍ: آسَفٌ. لَا أَقْدِرُ عَلَى الْخِيَانَةِ. فَحُبِّبْتِي هِيَ جَنَانٌ وَغَيْرُهَا
لَنْ أُعْشِقَ. ذَبْتُ فِي سُكْرِ جَنَانِهَا، وَنِبَاهَةَ عَقْلِهَا.

لَمْ أَقُلْ تِلْكَ الْإِجَابَةَ الْمُنْحَطَّةَ مِنْ أَوَاصِرِ قَلْبِي. بَلْ عَقَلِي أَجْبَرُ اللِّسَانَ
عَلَى الْإِعْتِدَارِ.

لَأَتَّبِعِي أَعْلَمَ جَيِّدًا.. بِأَنَّهَا الْآنَ تَبْكِي قَهْرًا وَجِرْمَانًا فِي دَوَاحِلِهَا.
صَرَخْتُ صَمْتًا وَبِكَلِّ عُنْفٍ. نَعَمْ. أُدْرِكُ جَيِّدًا حِينَمَا يَصْمُتُ الشَّخْصَ
أَمَامَ أَلْمِهِ فَهُوَ يَصْرُخُ أَنْيْنًا فِي دَوَاحِلِهِ. ارْتَدَّ صَدِي صَرَاحِهَا الْبَاهِتِ إِلَى
كَيْنُونَةِ صَدْرِي.

نَبْضُهَا الصَّارِخُ أَحْرَقَتْ حَقُولَ صَدْرِي.
قَالَتْ وَبِصَوْتٍ خَافَتْ: هَنِيئًا لَهَا بِشَابٍ مِثْلِكَ. وَاسْأَلِ اللّٰهَ أَنْ يَجْمَعَكُمَا
تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ لَا فَاقِدِينَ وَلَا مَفْقُودِينَ.

جَلَسْتُ قَلِيلًا وَالْحُزْنَ يَتَرَبَّعُ فِي أَوْسَاطِ قَلْبِهَا. ثُمَّ قَالَتْ: سَلَامَتُكَ.. إِنْ
شَاءَ اللّٰهُ.

فَأَنَا سَوْفَ أَذْهَبُ الْآنَ. لَدَيْ دُرُوسٍ أَسْتَذْكِرُهَا وَيَجِبُ أَنْ أُدْرِسَ.
- قَبْلَ ذَهَابِكَ يَا مَنِي. أَرْجُوكِ أَلَّا تَتَشَاءَ مِنِّي مَنِي. أَوْ أَنْ تُخْزِنِي. الْحَيَاةَ

مليئة بالرجالِ علَّكِ تجدين في غيري ما وجدته فيّ. سامحيني يا
عزيزة النفس.

أجابت: لا بأس. ولكنني سعيدة. أزحتُ عن قلبي همًّا قد أثقلها يوماً.



ذكرتني مني بنفسي عندما كُنتُ أطارد ظلَّ جنان ذاتِ زمن. ذكرتني
بأول المشوار والذكرى مؤرقة!!

سألتُ الله بأن يمنحها رجلاً أكثر أماناً لها مني. وأكثر دفئاً من برودة
مشاعري.

"اتصلتُ بي جنان تطمئنّ على أحوالي".

- ألو.. حبيبي كيف حالك؟

- هل أنت بخير؟ هل تحتاج شيئاً؟

قلتُ: لا يا جنان لستُ بخير، أريدك حالاً بجانبني.

مضتُ ساعةً تقريباً، حتى سمعتُ صوتَ قرع الباب.

حضرتُ صاحبة السمو الملكي جنان الكبيرة مع جنان الصغيرة

تتبعهما شهناز بخجل ومن خلفهم كليهما المدلل.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

اعترف بأنني غرتُ حينها من تلك الصغيرة المزملة بين أحضان
خطيبي المجنونة. أصبحتُ أغار من كلِّ شيءٍ ومن أيِّ شيءٍ يُشغلك عني
سواء أكان بشراً أم مخلوقاً آخر.

أتمنى يا جنان لو أسكُبني في كوز قلبك شراباً بارداً ينعش أقبية قلبي.
أتمنى فقط وأتمنى.

وما الأمانى إلا غمّ يقضم أيامي. حينها غادرتُ شهناز مع ابنتها المدللة
بعد اطمئنانها عليّ.

في كلِّ مرة أردد نفس الجمل..

جنان. أريدك زوجتي. هل نَعقد القِران الآن؟ فأنا لا أقارعك على
اليانصيب. فأنتِ حظّي الوحيد.

ودائماً نفس الإجابة. إجابةٌ تخنقُ ذاكرتي المطبق بحبك الأليم.

- اصبر، يا سلمان... اصبر.

الحبُّ اللّا مكتمل مُزعج وموحش.. يا قطرتي.

قُلْتِ: هي ذاتُ النبضات.. نبضاتنا لها نفس الصدى. لها نفس التركيبة

الموسيقية.

أريد أن أضمنك يا عزيزي. أمشِ على بصيرتي المخضَّب بالعجب، لأرى
ارتفاع الثقة بيننا.

- لا أريد قتلَ روحي المُبَكَّر بفراقك الأكبر، أريد أن أحلم بك فقط.
حتى يتسنى لي الاشتياق لأتارك المهترئة لاحقاً وبممل. لا أريد أن
أفقدك كما فعلتُ ولادة بابن زيدون.

يا قمري كوني في فلكي دائرة ثابتة، فنلتقي بعد كلِّ خسوف.

- نعم يا شمسي إجابتي واحدة لن أكرِّرها مجدداً. اعمل لأجلي
أبهربي بأنك تُريدني حقاً وبعد ذلك وعدٌ مَنِّي نعقد القِران وتنتهي
هذه المعارك المُتقطعة بيننا.

أتعلمين هناك أسطورة تقول:

إنَّ الشمس والقمر كانا مُغرمان ببعضهما. فلمْ يستطيعا أبداً بأن
يكونا معاً. لاختلاف توقيتهما.

لذلك أوجد الله عزَّ وجلَّ الخسوف كي يُبرهن أنَّه لا يوجد حبٌّ
مستحيل في هذه الدنيا.

يبتعدان عمراً ليلتقيا في ساعتين فقط ويعبران عن الحبِّ العميق
بالتعانق.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

- نعم، نعم.. فكلّ الذي فهمته من أسطورتك يا عزيزي أنّك تريد
عناقاً. في أحلامك يا تعيس.

لا أريد عناقاً يا جنان. أريدك بأكملك.

- طأطأت رأسها من الخجل. يا غبي ابقى مريضاً كما أنت سأذهب
الآن.



مضى أكثر من شهر منذ لقائنا الأخير.

منى الشرع ركلت كُرْهها جانباً، فصارت تُشاركُ جنان عمري وقتَ
فراغها.

لم أعد أراها كما السابق. لم تُعدّ تردّ عليّ أو حتّى ترسل لي مقاطعها
المعتادة عبر تطبيق المراسلات كما عهدتها سابقاً.

تلك المقاطع كانت تحمل في طياتها الكثير من الكلمات الدفينة، أو
ربّما كانت عبارة عن رسائل موجّهة إليّ تُعبّر فيها عن حبّها المحرّم لي وأنا
غافل عنها.

خشيتُ عليها!

سَأَلْتُ جَنَّانَ عَنْهَا. أَجَابَتْنِي جَنَّانٌ بَغِيضٌ فَظِيْعٌ. صَدَمْتَنِي بَرْدَةُ فَعَلَهَا
الْمُبَالِغُ فِيهِ.

- مَا الَّذِي تُرِيدُهُ مِنْ تِلْكَ الْخَائِنَةِ؟

اخْتَلَفْتُ مَوَازِينَ نَبْضِي مِنْ سَوَالِهَا. هَلْ عَلِمْتُ يَا تُرَى بِمَا يَجْرِي!

سَأَلْتُهَا مَبَاشَرَةً. مَاذَا تَقْصِدِينَ بِوَصْفِكَ خَائِنَةَ!

- عَزِيزِي أَعْلَمُ بِأَنَّهَا تَحَبُّكَ وَتَعْشَقُكَ بَلْ تَذُوبُ فِي رَوْعَتِكَ. أَدْرَكْتُ
ذَلِكَ مِنْذُ الْبَدَايَةِ حِينَمَا كُنَّا فِي الْمَزْرَعَةِ. أَعْرَفُ وَأُمَيِّرُ تِلْكَ النُّظْرَاتِ
الْمُتَعَقِّبَةَ. كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَيْكَ بِحُبِّ. اعْتَرَفْتُ لِي قَبْلَ فِتْرَةٍ بِأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ
قَادِرَةً عَلَى إِخْفَاءِ الْأَمْرِ، تُرِيدُكَ، وَأَنْنِي أُمَثِّلُ عَثْرَةً فِي طَرِيقِهَا، وَمِنْ
يَوْمِهَا أَعْلَنْتُ كَلْتَانَا كُرْهَهَا تَجَاهَ الْأُخْرَى.

وَلِكِنِّي وَاثِقَةٌ مِنْكَ يَا قَلْبِي وَاثِقَةٌ مِنْ فَوْزِي بِكَ. فَأَنْتَ خِيَارِي الْأَوَّلُ

وَالْأَخِيرُ.

- حَبِيبَتِي جَنَّانُ. لَا تَتَوَاخَذِيهَا. فَالْحَبُّ مَسْأَلَةٌ شَائِكَةٌ، تُهَاجِمُ بَغْتَةً
وَتُخْتَفِي فَجَاءَةً. لَا إِرَادَةَ لِقُلُوبِ الْبَشَرِ فِي تَقْيِيدِهَا أَوْ انْفِلَاتِهَا.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قُلْتِ وَالغَضَبِ يَسْوُدُ وَجْهَكَ: هَلْ تَلْمَحِ بِقَوْلِكَ هَذَا بَأْنَ أَدْعَاهَا تُحِبُّكَ.
وتسرقك مني؟

أَجِبْتُكَ وَأَفْكَارِي مَتَنَاثِرَةٌ: لَا أُرِيدُ أَحَدًا إِلَّاكَ يَا جَنَّانَ.
كَيْفَ أَخُونُكَ يَا رَفِيقَةَ، وَحَبِّكَ يَأْكُلُ جَسَدَ جَسَدِي!
جَمِيلٌ أَنْ تَغْضَبِي يَا جَنَّانَ عَمْرِي. وَسَعَتِ الْآنَ مِنْ قَوْعَةٍ أَمَلِ
الاجتماع بكِ على خير.

لَمْ أُرْغَبْ بِشَيْءٍ، كَمَا أُرْغَبُ بِكَ الْآنَ...!!
سَكَنْتُ كَلِمَاتِي مِنْ رَوْعِ أَعْصَابِكَ الْمُنْفَلْتَةِ، يَا مَنْ تَغْضَبِينَ بِسُرْعَةِ
البرق!

أَرْجُوكَ اسْمَعِينِي يَا جَنَّانَ. سَامِحِي مِنِّي. وَاعْذِرِيهَا. هَلْ تَفْعَلِينَ؟
الْمَسْكِينَةُ كَانَتْ تَكْبِتُ مَشَاعِرَهَا حَدَّ الْاِخْتِنَاقِ. لَمْ تَسْتَطِعِ الصَّمُودَ.
فَاعْتَرَفْتُ عَلَى هَوْنٍ مِنْهَا.
قُلْتِ: حَسَنًا. سَأَسَامِحُهَا إِنْ أَرَدْتِ ذَلِكَ! وَلَكِنِّي سَأُظَلُّ كَارِهَةً لَهَا حَتَّى
أَسْجُنَ فِي بَيْتِكَ كَزَوْجَةٍ.

بَقِيَ سَرٌّ مِنِّي بَيْنَنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ فَقَطْ. أَنَا وَعَاطِفٌ وَجَنَّانٌ، لَمْ نُخْبِرْ
أَحَدًا بِهَذَا الْأَمْرِ الْمُتَعَبِ وَالْمُخَلِّ نَوْعًا مَا.

ولكن سرعان ما علم الجميع بالأمر، لا أعلم من أخبرهم بذلك.
ولكن ما باليد حيلة وما باستطاعتي الآن سوى الدعاء لها.



ليلتها انسلختُ عن الواقع وأنا على مكتبي أستجمعُ أفكارِي العالقة
وأحاول أن أكون مُتمرداً فوق الورق فأكتب شيئاً يُذهب عني ملل النوم،
والتلفاز يُدندنُ بمقدّمة أخبار المساء. حتى انتهتُ لخبرِ هزّ البلاد بأكمله
بلِ العالم بأسرها. مقتل عدد كبير من الطالبات في إحدى المدارس
الحكومية الداخلية، وإصابة عدد آخر ومقتل ثلاثة معلّمات كُنَّ مُناوباتٍ
آنذاك.

ذَكَرَ المذيع أسماء الطالبات المغدورات ومن ثمّ ذَكَرَ أسماء المعلّمات
وإحداهنّ كانت أختنا العزيزة شهناز.

أصابني هلعٌ زلزلَ كياني. وجدتُ نفسي أبكي دون إرادة مني.

شاءتِ الأقدار وحكمتُ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أشرار، كمّ أولئك القوم موبوؤون بطاعون الغدر القذر.

كلّ هذا الدمار والفوضى، فقط لأنّ المدرسة تحوي على فتيات، ولأنّ

الفتيات تعليمهنّ محرّم في دين الإرهاب الداعشي. قاموا بتلك الغدرة القاضية. لعنهم الله أوغاد قتلة مرده. أيّ دين يدينون به.

بأيّ حجة يقتلون؟ بحجة أنّها فتاة. جهلٌ مُركّب.

أين الكيل العادل في ميزانية الإنسانية. يخلع منكم رداء الظلم واللا إنسانية! بنسّ الشياطين هم كيف يصدّق ذلك العفن أنّه شهيد إذا فجّر نفسه وفجّر معه ملائكة الأرض.

اتصلتُ بي جنان وهي تبكي. أسمعتَ يا سلمان ما جرى؟

أحبّتها وأنا أصرع دمعِي من شدّة الصدمة: نعم يا جنان سمعتُ الخبر.

لبستُ هندامي بسرعة توجّهتُ مباشرة إلى أخي محمد. علّي أقوي عزيمته!

"كانتُ في أفنون العمر. رحلتُ سريعاً. رحمها الله وغفر ذنبها وأعان زوجها.

استعدتُ شيئاً من طاقتي أخذتُ جنان وسالم معي وأنا في طريقي لبيت صديقي. داخل السيارة جذبتُ جنان وأرقدتها فوق كتفي. كانتُ خائفة تردّد الأذكار وتسترجع "إنا لله وإنا إليه راجعون" طوال الطريق

تتحدّث بصوتٍ مكظومٍ مع نفسها "من سيعوّض جنان الصغيرة حنان
الأم!

من الذي سيعوّضها الحبّ والعطف؟

في تلك اللحظة، كانت جنان الصغيرة هي صُوب تفكيرها.

عندما وصلنا. رأينا جثة هامة تطفو فوق أرضية البيت الباردة.

محمد فقدَ رُشده تماماً.

عاطف ومنى سبقونا إليه. كانت منى تحمل جنان بين أحضانها. رشّ

عاطف في وجهه الجالونات من الماء. ولكنّ الرجل في عالم الرحيل يُتمتم.

وفي قيح ظهيرة اليوم اللاحق، وصل والد ووالدة محمد من دبي.

للقوف مع ولدهم الوحيد.

أما والدة شهناز الست حفيظة. كانت صبورة وقوية عكس الآخرين.

لطالما تساءلتُ من أين أتت شهناز بهذا الكمّ الهائل من الصبر حيثُ أنّها

عاشت حياةً صعبة! تأكدتُ الآن بأنّها ورثتُ جيناتها الصامدة من والدتها

العظيمة العمّة حفيظة.

"ذهبتُ لتجتمع بوالدها وأخيها اللذين سبقاها قبل سنواتٍ مضتُ.

هكذا تفوّهتُ الست حفيظة، بعدها أثرتِ الصمت على الكلام.

اجتمع الأقارب وجمعٌ من الناس في بيتٍ واسع استأجره العم إسحاق
المحامي المعروف.

"آخ لو أنّي اجتمعتُ بهم في يومٍ غير هذا".

لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ انْتِشَالَ مُحَمَّدٍ مِنْ صَدَمَتِهِ الْمُؤَقَّتَةِ تِلْكَ.

الرجل وصل حدَّ قيعان الموت. سقطت ذات غفلة فاتصل عاطف من
فوره بالإسعاف خشينا أن نفقده هو أيضاً.

الكلّ لحق بالإسعاف. أمّا أنا فتوجهتُ للمشفى الآخر حيثُ ترقد جثة
أختنا العزيزة. وبصُحْبتي جنان والعمّة حفيظة ومنى.

توجهنا إلى الإدارة. نسألهم عن الجثة. منعونا من الدخول حتى رضي
الحارس أخيراً بإدخال النساء فقط. كوني لستُ محرماً لها.

منى وحنان والعمّة حفيظة دخلن وخرجن بعد بُرْهة. وذهول الحزن
يُرجف أجسادهنّ البالية.

حنان خرجت وهي تبكي أشدّ البكاء.

قالت بصوتٍ يملأها القهر: سلمان. كلّ جزء من جسدها انفصل
عنها بالكاد عرفناها.

حضنتها وقلت لا بأس. كان يومها يا جنان. تمّني لها الرحمة والغفران.

أَمَّا الْجُنَاةُ. فَاللَّهُ خَيْرٌ حَاكِمًا.

فِي حِينٍ خَرَجْتُ وَالدُّهُهَا صَامِتَةٌ صَامِدَةٌ. صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ. مَنِي وَكَأَنَّهَا
فَقَدْتُ نَفْسَهَا مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَتْ. لَكِنَّ اللَّهَ أَرْجَعُ إِلَيْهَا إِدْرَاكَهَا بَعْدَ لِحْظَةٍ مِنْ
الزَّمَنِ.

كَيْفَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُنْعَدِمَ الضَّمِيرِ هَكَذَا!

كُنْتُ أَظُنُّ الْبَلَدَ هَادِتًا حِينَمَا مَضَيْتُ إِلَيْهَا، وَلَكِنْ فِي الْآوْنَةِ الْأَخِيرَةِ
ظَهَرَتْ جَمَاعَةٌ إِرْهَابِيَّةٌ تُطَلِّقُ عَلَى نَفْسِهَا دَاعِشَ الْأَعْوَاخِ وَالرَّهَابِ
فِي قُلُوبِ الْمُسْتَضْعَفِينَ. لَعْنَهُمْ رَبِّ الْعِبَادِ. فَقَدْ أُرْعَبُوا الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ.



اسْتَيْقِظْ مُحَمَّدٌ مِنْ غَيْبِيَّةِ الْحُزَنِ الَّذِي ارْتَجَّ فِيهِ قَلْبُهُ. وَلَكِنَّهُ ظَلَّ
صَامِتًا يَنْظُرُ فَقَطْ

وَلَا يَتَكَلَّمُ. لَا أَلُومَهُ فَالْصَّدْمَةُ كَانَتْ قَوِيَّةً وَلِحْظِيَّةً.

الْجَدَّةُ سَمِيَّةٌ وَالْجَدُّ آغَا بَاغْتَانَا بِزِيَارَةِ مُفَاجِئَةٍ وَعِلَامَاتِ الْحُزَنِ بَارِزَةٍ
فِي أَعْيُنِهِمُ الْعَتِيقَةَ.

مَسَكَ الْجَدُّ مُحَمَّدًا مِنْ أَكْتَاْفِهِ وَهَزَّهُمَا بِقُوَّةٍ.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

محمد أمّها الحيوان البائس. قُمْ.. إلى متى ستظلّ هكذا؟ ليست أول شخصٍ تموت ولا آخر شخص.

أنسيتَ بأنّ بقاياها موجودة. ابنتك جنان من سهيمتَ بها! من سيعوّضها حنان الأم إن لم يكن الأب فمن سيكون. هل ستتركها أنت أيضاً؟ نعم ماتت شهناز ولكن لديك أملٌ منها.

طفلتك البهيّة. قُمْ من مرقدك وتأكّد بأنّ الله يختبر صبرك. قضاء وقدر يا بنيّ هيّا انهض واركض إلى ابنتك.

أضافتُ كلماتُ الجدّ، الشيء الكثير. أنجز ما لم ننجزه نحن الشباب. أخيراً بدأ محمد يعود تدريجياً لعالمه الواقعي بعد غيابه عنّا مدّة من الزمن.

أجلنا أعمالنا وتغيّينا عن جامعاتنا. لحين الانتهاء من أيام الحداد الثلاث. ومراسم الدفن.

اتصلتُ بأمي الحبيبة.

صوتها الرخيم يرجعني طفلاً بريئاً من فوري.

كم اشتقتُ إليها.. أريد أن أقبل رأسها وأن أحضنها.. وأبارك لها بقرب شهر الخير. شهر رمضان.

دائماً حينما تُنهي الاتصال. تقول: حفظك الله يا ابني من نكد الحياة.
جميلة تلك الدعوات المُهمرة فوق أغشاء قلوبنا، خصوصاً لو كانت
من ذات الأقدام المُباركة.

عندما وصلتُ إلى إسلام آباد. وقفَ معي محمد وأرشدني كثيراً. لولا
الله ومن ثمَّ محمد لما نجحتُ في تخطِّي عقبات الغُربة.
أيضاً ظروف الدراسة وهمَّ النجاح، تُجبران الشخص في جعلِ الصبر
صديقه الأول والأخير.



انتهت السنة الأخيرة لعاطف أخيراً. تخرَّج مع مرتبة الشرف.
لكن لم أكن لأستطيع تهنئته أو بالاحتفال معه بالرغم من أنَّها كانت
أيام عطلة.
أصابني خمولٌ بارد وعقلي كان مشغولاً بأرطالٍ من الهموم. محمد
كان يأكل تفكيري. وجنان لم تتصل بي بعد العزاء أبداً.
أيَّ عذابٍ هذا! تمنيتُ كثيراً لو بقيتُ مُنعزلاً مع وحدتي بمدينتي
الحنونة. مدينة الطائف.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

غَيَّرْتُ مَنْ تَطَلَّعَاتِ مُسْتَقْبَلِي. فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ الْعَصْرِ كُنْتُ أَتَّجِهَ صُوبَ
الْمَسْجِدِ الْقَرِيبِ مِنْ مَكَانِ سَكْنِي، أَتَعَلَّمُ شَيْئاً فِي أَصُولِ الدِّينِ.

أَرَدْتُ الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ شَيْءٍ يَقْتُلُ الْفِرَاقَ الْمُعْتَكَّ دَاخِلِي.

بَعْدَ أَيَّامٍ بَسِيطَةٍ قَابَلْتَهَا قَابَلْتُ نُطْفَةَ رُوحِي الْأَخَّاذِ، وَهِيَ تَتَمَشَّى فِي
السُّوقِ مَعَ تِلْكَ الْكُورِيَّةِ الْمُدَلَّلَةِ. سَحَبْتُهَا مِنْ طَرَحَتِهَا الْمُهْلِهَلَةِ.

سَأَلْتُهَا عَنْ سَرِّ دَلْعِهَا كَالْعَادَةِ وَبِرُودِهَا الْأَخِيرِ تَجَاهِي!

قَالَتْ: أَوْلَا مَا تَ كَلْبِي هَانِيمُورَا لِأَنَّيْ أَنْشَغَلْتُ بِجَنَازَةِ شَهْنَازِ فَنَسِيتُ
إِطْعَامَهُ فَمَرَضَ، ثَانِيَاً مَنْعَنِي أَخِي سَالِمٌ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَكَ.

أَجَبْتُهَا: أَوْلَا لَا أَتَرَحَّمُ عَلَى الْحَيَوَانَاتِ، ثَانِيَاً مَا خَطَبُ سَالِمٍ لِمَاذَا يَمْنَعُنَا
مَنْ مُقَابِلَةَ بَعْضِنَا.

"بِحِجَّةِ أَنْتِي خَطِيبِيهَا وَلَسْتُ زَوْجِيهَا بِشَكْلِ رَسْمِي. وَخَوْفُهُ مِنْ كَلَامِ
النَّاسِ وَاحْتِمَالَاتِ وَاهِيَّةٍ لَا وَجُودَ لَهَا وَخَوْفُهُ مِنْ رَغْبَاتِي وَشَهْوَتِي. لِنَا
أَجْبِرْنَا عَلَى عَدَمِ اخْتِلَاطِنَا بِبَعْضِنَا.

كَانَ هَذَا الْكَلَامُ غَبِيَاً جَدًّا. أَنَا الَّذِي بِالْكَادِ اسْتَطِيعَ أَنْ أُمْسِكَ فُلُو
لَا مَسَ يَدِي شَيْئاً مِنْ جَسَدِكَ. يَزِيدُ تَوْتَرِي فَارْتَجِفُ. وَكَأَنَّ انْهِيَاراً جَلِيدِيَاً
أَصَابَ قَلْبِي.

غضبتُ أشدَّ الغضب لتفكير سالم الغير ناضج نحوي. ولا أعتقد بأنَّ
سالم وحده يفكر هكذا أظنّها كانت أوامر الست بهيبة.

حينها تعمّدت أن أطيل الغياب عنك ولو قليلاً. مُحاولاً ترويضني
وإشغال نفسي بأيّ شيء. لحين بدأ الدراسة مجدداً. أيضاً لعلّك تعرفين
قيمة الاهتمام. قيمة من يحبك بحقّ وصدق.

مع الأسف كنتُ أكذب على نفسي. لم أتحمّل لأكثر من أسبوعٍ واحد.
أُصبحُ مريضاً دونك يا شاغلتي.

ركضتُ إليها أخبرها ما بي من حنين مُضجر.

- قابلي كلّ خميس فقط. كانت جُملة سريعة وعدادة. وافقتُ على
مضض.

* حينذاك كان الخميس أفضل أيام الأسبوع بالنسبة لروحي المتيمّ بها.



أتمادى دائماً في خيالي.. أحبّ الشعور بالحياة في خيالاتي.. في كلّ مرّة
أتخيّلك فأراك.. وفي كلّ شيءٍ أراك، في القمر أتخيّل وجهك، وبين ثنايا
النجوم أجدك. فوالله سئمتُ حبّاً يمزّقه الشوق إرباً إرباً. أريد الولوج إلى
قلبك بخلودٍ لا ينتهي.

بعد انتهاء العطلة الرسمية، وفي ليلة ممطرة وهادئة قرابة الساعة
الثانية عشر تقريباً.. وأنا أستذكر دروسي وأحفظها رنّ هاتفي الجوال.
المتّصلة هي جنان عمري.

- ألو..!
- ألو..!
- أهلا. يا دهشة أيامي!
- حبيبي سلمان، أريدُ لُقياك يا سيدي! غداً بالمقهى!
- متى تنتهي مُحاضراتك بالغد؟
- حبيبتي محاضراتي تنتهي بعد الظهر إن شاء الله. ما بك هل من
شيء يُزعجك؟

- لا فقط أريدك. أريد رؤيتك، وأن أتكلم معك وأنصت إليك.
- حسناً يا حلوتي. انتظريني في المقهى إذاً.
- مع السلامة.

في اليوم التالي بعد انقضاء مُحاضراتي بالجامعة، قَدِمْتُ للمقهى
وقلبي عطشٌ لماءِ روحك يا جنان. عندما دلفتُ إليها فُوجئتُ بالمنظر
الجديد لأنستي الغريبة.

لَمْ أبادر بالتحية. فوراً سألتُك.. ما أنتِ فاعلة بنفسك يا بهجة
أنفاسي!

أين شعرك؟ لماذا قصصته؟ وما بال هذا اللباس الفاضح!

- حبيبي.. نحن الآن في عصر العولمة والانفتاح. والكل في دوامة
الموضة والتغيير. وأنت لا زلت متحجّر الفكر. هل تُدرك بأنك
أصبحت متشدداً نوعاً ما، خصوصاً بعد ذهابك لتلك الدورات
الدينية المُقامة في المساجد هذه الأيام.

أنا متحجّر الفكر يا جنان، لأوّل مرّة أتلقى إهانة شاذّة وقوية من
فاهك الحسن يا لذيذتي.

"حقاً. أمتني تلك الشتيمة البسيطة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

- حسناً لا أريد الجدال معك، جئتُ إليك. لأتني أريد بعض الكتب، أريد أن أقرأ قليلاً في يوم فراغي.. أريد إشغال نفسي قليلاً وأغيب روتيني المعتاد.

سألتها "وأني كُتبتُ تريدان؟ لحظة لحظة ودراستك؟"

- الدراسة قررتُ المضيّ بدونها، أمّا عن الكتب أذكر بأنني رأيتُ في رفّ الكتب لديك، روايات للمؤلفة أحلام مستغانمي! أريدها.

حاضر سوف أحضرها لاحقاً.. ولكن يا جنان أتعلمين بأنك خيبت أمني فيك حقاً!

ألا يهمني رأيي في شيء؟!

أرجوك لا أريد لك الشر.. ولا أريد الأذية لك، ولكنك فتاة مُشاكسة ما باليد حيلة.

لا أريد رؤيتك بهذا اللباس مجدداً يا جنان، جدي أوسع من هذه في المرة القادمة.

والدراسة سأفاهم معك حولها لاحقاً كذلك.

هدأتُ أعذوبتي فتمتتُ مُستغفرة.

- حسناً حبيبي، أنتَ حقاً بليدٌ في الموضةِ ومُواكبةِ التطور.
- يا متأنقي الوحيد.. سلمان.. حقاً أحبُّك.

أتمنّى بأن تفهمني أنّي أخافُ عليك من الذئبِ المُفترسةِ يا حملي
الوديع.

أيضاً راجعي تصرّفاتك قبل أن تتكلي معي بسوء. أرجوكِ فأنتِ
تجرحيني ببعض الكلام القاسي.

كم أصبحتِ كبيرةً الآن يا حبيبتي وبديعة الجمال.. أصبحتِ امرأة
يافاعة. خُذي ذلك في الحُسبان.

آه بس متى نخلص ونبني بحبنا عشنا الأبدي. يا الله قوّي صبري مع
هذه المرهقة.

بعدَ تلك المُحادثة الجارحة، طلبتُ كوباً من القهوة التركية، أصفّيتُ
بها ذهني المُتوتّر، وحينما قُمتُ لأخذ الطلب، لمحتُ مني وهي تقرأ بجانب
خالها المبتسم.

كنّا خلفهما لذا لم يُلاحظانا في بداية الأمر، قُمتُ إليهما بدون سؤالك
يا جنان لأنني أعلمُ مسبقاً بأنك لم تعودي تُطيقينها كما السابق.. أردتُ
فقط إلقاء التحيّة احتراماً للأيام الجميلة بيننا.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

وإِغَاظَتِكَ قَلِيلاً، عَقَاباً لِكَ جِرَاءِ تَصَرَّفِكَ الأَرَعْنَ مَعِي وَرَفْعِكَ لَضَغْطِ
دَمِي.

عندما لاحظتني، طأطأت برأسها نحو الأسفل.. ردّت التحية على
وجلّ.

قلتُ لها: تفضّلي معنا.

قالت: لا، لا أريد أن أكون مصدر إزعاجٍ لكم.

عندها: عدتُ مجدّداً إلى طاولتنا الكئيبة.

وكعادة جنان فعندما لا أطيعها في شيء، تغضب (احمرّت من
الغضب).

فقالت: سلمان أنا لا أحبّ هذه الخائنة، ابتعد عنها ولا تُكلمها.. وإلّا
ستكون التالي في قائمة المنبوذين لديّ.

"أدرُكُ تماماً بأنّها اجتمعتُ بي، فقط لتُغيظني بادّعاء تطوّرها المُزيف،
والكُتبُ مجرد حجة".

هممنا بالمُغادرة.. فجأة أحسّت جنان بدوارٍ عنيف، كادت تسقط
لولا تدخّلي السريع وإمسакها من أطراف أكتافها البارزة.

لمستُ شعرها الناعم بخفة.. سألتها، ما بك يا غاليتي. أنا آسف.

حينها أخرجتْ عُلبَةَ دواء.. أخذتْ منها حبةً فزحلقتهما إلى حلقها.

كررتُ السؤال، ما بالك يا جنان.. لمَ هذا الدواء؟

قُلْتِ: هذا دواء للصداع، لا داعي للقلق!

لم أثق بكلامها، لم تكن على ما يرام أبداً ثمّة خطبٌ ما بها.

خصوصاً في الصباح التالي، سقطت مغشياً عليها في معرض الكتاب

المُقام آنذاك.

أخبرني سالم بأمرها، وبأول فرصة، دنوتُ نحوها يلوخني القلق.

حينذاك سألتك وفي قلبي كومة من الخوف عليك.. عن وضعك

وأمرك!.

قُلْتِ: لا تقلق أنا بخير، فقط وعكة صحيّة بسيطة وستمرّ.

- ومن الذي أخذك للمشفى؟

أجبت: بعضُ المارّة.

أراحي قليلاً ابتسامتها المُرهفة تلك.. ولكن قلقي لا زال يُداعبني.

قبل النوم رفعتُ أكفّي لربّ الكون، أن يحميك من سموم الأمراض

وكدر الحياة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

دائماً أذكرك عند الله، في كل لحظة حُزن معك، أشكي همّي لربي، وفي كل لحظة فرحٍ معك أُخبر الله بأنّ يُديم تلك السعادة المؤقتة، أظنّ بأنّ قاطني السماء صاروا يحفظون اسمك غيباً من كثرة ذكري لك عُقب كل صلاة.



لم أكن مُتشدداً فكرياً أو دينياً كما قلتِ يا جنان عمري.. فقط لأنني تعلمتُ بأنّ كرامة المرأة في تسّرتها، في إبقائها عفيفة طاهرة.. هذه هي المرأة في الإسلام يا عنيدتي.

عجزتُ عن إيجاد حلّ لك يا جنان. من أيّ معادلة أنتِ مخلوقة؟
بأيّ لسان أنطق حتى أخفّف عن كلينا وطأة الخلاف والاشتياق ومن ثمّ الحبّ!

لاحقاً اجتمعتُ بعاطف، فأخبرني بأنّك أصبحتِ فتاةً مُتمرّدة ولا يُهمّك حجابٌ أو غيره. وتسهرين الليالي ولم يذكّر لي مع من تخرجين! ولا أعلم لماذا عاطف هو من يخبرني بذلك.

لم تُصغي إليّ البتّة كيف ولماذا! كيف تسمحُ لكِ تربيتكِ الحسنة

بمشيكِ فوق أرصفة الشوارع بملابس ضيقة ورثة. كاشفةً عن نحرك
وشعرك المبهرتين!

كرهتُ والدتك الستُ بهية كثيراً آنذاك.. ظننتها هي السبب في كونك
بتلك الحالة السيئة، وبأنها السبب وراء قطع حبل الوصال اليومي بيننا.
قاطعَ محمد سهوي وهدياني حينما قابلني بالصدفة في منتزه فاطمة
جناح.. أصابني الاكتئاب وقتها. قلت في نفسي لعلّ بعض المشي يُزيل عني
شائبة الكآبة هذه.

أظنّ بأنّ صديقي الدكتور تغير وأصبح أكثر إشراقاً من ذي قبل.
جلس بجواري قليلاً وبدأ يتغرّز في المكان.

- هذه الحديقة تلتقط الروعة الخضراء لإسلام آباد. أيضاً لأنّ
مسارات المشي يمكن رؤيتها كقلب جميل من الأقمار الصناعية
أعلاه. هذا هو المكان الذي يمكنك الوصول إليه من أجل
التواصل مع الصفاء القديم والعطر نفسه بالضبط. لديها
العديد من الهياكل الجميلة المضمّنة فيه. ناهيك عن حديقة
للأطفال، وحلقات التزلج، وملاعب التنس، ونادي النماذج الجوية
وماكدونالدز.

أوقفته بتنهيده حزينه. ضَرَبَ بِكَفِّهِ فَوْقَ صَدْرِي.

- تَحْمَلُ يَا رَجُلٍ.. هَكَذَا الْحَيَاةَ وَهَكَذَا هُنَّ النِّسَاءُ مُنْذُ الْأَزْلِ. أَحَدُ
المؤلفين الكبار.. قام بخدعة جميلة.. أَلْفَ عُنْوَانًا لِيَلِصِقَهُ بِمَذْكَرَةِ
فارغة وأراد نشره وبيعه.. كان في العنوان شيءٌ من الغبن والمُكَاهَاةِ
وكثيرٌ من الحقيقة بين طَيِّاتِ الكِتَابِ.. كان الكِتَابُ يَحْمَلُ عُنْوَانَ -
حسبما أذكر-. "كَلِّ مَا تُرِيدُ مَعْرِفَتَهُ عَنِ الْمَرْأَةِ" ولكن عندما تقطني
الكتاب ستجده فارغاً.. النساءُ مُعَادِلَةٌ صَعْبَةٌ جَدًّا مُسْتَحِيلَةٌ
الحل.. فقط كثيرٌ من التجاهل وقليلٌ من الاهتمام.

شكراً لك يا صديقي.. ما أجمل هذه الصدفة.. أتعلم أظنّها ابتلائي في
هذه الحياة فالناس تُبتلى بمرضٍ أو فقرٍ وما إلى ذلك.. أمّا أنا فقد ابتلاني
ربي بهذه الحورية.

- ما رأيكم يا سلمان بالاجتماع غداً في نفس المكان.. احضر معك
من تشاء فأنا سأكون برفقة صغيرتي. أراك غداً لا تنسَ بأن تنسى
يا صديق. سلام.

يومها أرسلتُ إليكم فرداً فرداً.. جميعهم طَبَعَ خَتَمَ المِوَاظَفَةِ.
ومع حضور الغد، أتيتِ ومعكِ تلك الكورية.. بلا حياء ولا حشمة.

مفأنتك واضحة وضوح الشمس.. بهذا الجنز الضيِّق.. وشعرُك الغير مُرتَّب.

حينها لم يكن أحدٌ قد حَضَرَ بعد.

سألتُك: هل تسمعين ما أقول يا جنان.. أم تسمعين من أذن وتخرجينها من الآخر؟

قُلْتُ: لم أفهم.

قُلْتُ: ألم أحذرك.. بالأ تلبسي هذا اللباس الضيِّق والمُهترئ مرّة أخرى!

قُلْتُ: بل أنت المُهترئ.. من أنت حتّى تُحاسبني فيما ألبس وما لا ألبس؟ فأنا حُرّة.

قُلْتُ لك: أنا خطيبك وحبيبك وزوجك المُستقبلي.

قُلْتُ: حبيبي اسمعني أنا أتغيّر للأفضل، وأنت للأسوأ، أصبحت مساحات أفكارك ضيِّقة.

قُلْتُ: أنا أفكاري ضيِّقة ولكن أنت أفكارك مُسمّمة، أيّ جرأة هذه، كيف تجرئين! الحياء يا جنان قليلٌ من الحياء فقط.

أين تلك الغيورة والغضبانة؟

أين تلك التي.....

هَدَيَانُ عَاشِقٍ

قاطعنا عاطف: أوووص أرجوكم يا عشاق.. لم نحضر إلى هنا..
وقطعنا كل تلك المسافة لكي تتبادلا الألفاظ العنيفة فيما بينكما ونحن
نشاهد.. لا تجعلوا يومي يمرّ مرور البائسين.

أضاف: سلمان، بالعكس جنان أصبحت أجمل من ذي قبل أصبحت
أكثر نضوجاً وأنوثة.

محمد ومنى كانا وكأنتهما في منفى الصامتين لا إلى هنا ولا إلى هناك.

وتلك الكورية أخيراً نطقت بكلمات بالكاد جمعتها ببعضها.

- أنا آسفة. فأنا التي ابتعت لجنان هذه الملابس.

قاطعتها وأنا مُمتقع الوجه: ابتعدي عن جنان يا غريبة.

مجدّداً وجّهت مدفع غضبي نحو جنان عمري.

- أتريدين بأن تكون هذه البوذية مصدر ألمنا يا جنان. يا جنان..

أتريدين بأن تكون هذه المتطّلة هي من تُنهي ما بيننا من نهم حبّ

قاسي! أم أنك تتخذينها حجّة فقط لكي تبُتعي عني؟

قُمت من قُعودك فجأة. أخرجت الخاتم من إصبعك وهويت بها في

وجهي. خُذ يا ناقص الفكر.

ها قد انتهى ما بيننا.. ولا أريد رؤية وجهك مجدداً.. حسناً تلومني على
مُصاحبتى للكورية وأنتَ ماذا تفعل؟ ألم أقل لك بأنني لا أريد رؤية هذه
الخاتنة منى في اجتماعاتنا مرّة أخرى!

رددتُ لك الصاع صاعين يا حبيب.. اذهب معها علّها تُريحك وتُرجعك
لعالمك الثالث يا مُتخلف.

أردتُ أن أجعل من وجهك الجميل شُعلة لهيبٍ مُحترق من شدة
الحرارة. لولا تدخل محمد ومسكه ليدي. فقال: تعوّد من الشيطان يا
سلمان. لا تمدّ يدك، عازّاً على الرجولة بأنّ تمدّ يدك على فتاة.. ستندم
لاحقاً.

ترك الجميع مقاعدهم.. مذهولين ممّا جرى، إلا عاطف لم يقم وظلّ
مُبتسماً وكأنّه يشاهد توم وهو يُلاحق جيري.

فتنهّد:

- هيه شجار أطفال.

تمنيتُ فعلاً كونها شجار أطفال.. ولكّتها مع الأسف تعدّت مرحلة
الكهولة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

منى مسحْتُ دموعها بمنديلها المبلل.. اعتذرتُ فقامتُ تجرّ خلفها
أذيال الندم والخيبة.

فبدأتُ ألعن حظّي التعيس في خلدي.. خنقتني لدرجة لا أستحقّها.
أيّ حقد هذا الذي ظهر فجأة بقلبك المتّيم أنا بها يا جنان!
في يومٍ وليلة أصبحتُ وحدي أندب أحلامي الحمقى.

أيّ حماقة ارتكبتها، أيّ مشكلة خلقتها من لا شيء، أيّ غبي أنا يا ترى!
بكلّ بساطة انتهى كلّ ما بنيته.. ببساطة أبسط ممّا ينبغي.

ليلتها أرسل محمد رسالةً إلى هاتفي مفادها: معك حق يا سلمان.
كُن واثقاً من نفسك. وتشجّع ثم اذهب وأمسك بها لا تتركها لمجرّد شجارٍ
طفيف. احتضنها كُن لها سلوى واسرق أنفاسها مجدداً. أنا على يقين بأنّ
لديها أسبابها الخاصة. أسباب لا تُريد منك الاطلاع عليها.

أيّ وجع أنا الذي أزاوله الآن! وكأنني لستُ في مُحيطي. أشعر بأنني
أغوصُ في نقطة سوداء.

أطمثتُ تصرّف جنان الفوضوي دُنيتي.. فلقيتُ الحزن دليلي فوقفتُ
فوق عتباته ومارستُ جنوناً مسرفاً غير مدرّكٍ بسيلان أجفاني بذرات
دموعٍ عنيفةٍ كموجٍ هائجٍ.

لَمْ أُنَمِّ. وَلَمْ يَمِرَّ وَلَوْ لِقْمَةً إِلَى حَلْقِي.. وَلَمْ أَسْتَقْبَلْ أُولَى أَيَّامِ رَمَضَانَ
بِالصَّوْمِ.

كُنَّا فِي شَهْرِ عَظِيمٍ. فِي شَهْرِ كَرِيمٍ، الشَّوَارِعُ أُضِيئَتْ وَالنَّاسُ اسْتَبَشَرَتْ
بِالْخَيْرِ.

وَالْمَسَاجِدُ امْتَلَأَتْ بِالْمُصَلِّينَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَكُنْ فِي حَالَةٍ تَسْمَحُ لِي بِالْخُشُوعِ
أَوْ الصَّلَاةِ، ظَلَلْتُ أَدُورَ فِي حَلَقَةٍ مُفْرَغَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَايَ وَتِلْكَ الْمُهْمِلَةِ.
وَصَلَّتْ لِدَرَجَةِ الْفَقْدِ النَّفْسِي وَالرُّوحِي بِسَبَبِكَ يَا عَنِيدَةَ.

تَمَنَيْتُ لَوْ تَتَخَشَّبُ ذَاكَرْتِي فَلَا أَتَذَكَّرُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ السَّقِيمَةَ، مَتَى
سَيَنْتَهِي كُلُّ هَذَا الْعِرَاكِ، إِلَى مَتَى سَأُقَاوِمُ كُلَّ هَذَا الْخُذْلَانِ الْمُنْبَثِقِ مِنْكَ!
مَتَى يَخْتَفِي هَذَا الْجُنُونِ، مَتَى يَمْضِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي فَيَسْتَرِيحُ
عَنِ التَّجَدُّدِ الدَّائِمِ، وَنَسْتَرِيحُ نَحْنُ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْمُجَازَفَاتِ الْمَلْعُونَةِ.

بَيْنَمَا كُنْتُ أَحَاوِلُ هَدْمَ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ اللَّاسُويَّةِ فِي حَيَاتِي، اقْتَحَمَ
مُحَمَّدٌ حَالَةَ اللَّأْوَعِي الَّتِي كُنْتُ فِيهَا تِلْكَ، بِقُوَّةٍ وَحُسْنِ تَدْبِيرٍ.. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ
دَلَفْتُ مِنْ وَعِلَامَاتِ الشَّفَقَةِ تَجَاهِي مُوسِمَةً فِي مَلَامِحِهَا الْهَادِرَةِ.

قَدَّمُوا التَّعَاذِي مُبَكَّرًا.. حَطَّمُونِي فِي الْبَدَايَةِ وَمَنْ ثُمَّ أَعَادُونِي إِلَى رُشْدِي
وَطَبِيعَتِي الْبَشَرِيَّةِ.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أعادني محمد إلى كوكب الاستيعاب مرّة أخرى.. بضربة من قبضته القويّة كاد يكسّر أنفي ذلك المجنون، وبعد غمّرات الارتياح التي اجتاحتني، نظر في وجهي وقال:

- حافظ على كرامتك، وإذا أردت الانسحاب فانسحب كما ينسحب الأبطال.. لا كما ينسحب الجبناء الهرمون والفاشلون.

حينها سألتهم عن جنان ماذا تفعل؟ هل كانت تقفز من الفرخ؟ أم كانت تنوح على موتي وأنا على قيد الحياة، أم ماذا؟

سحبت مني جذور الاستفهام من عقلي وأضافت: بالأمس سجّلنا زيارة سريعة لشقّتها.. كانت في أشدّ حالاتها بؤساً.. تبكي ولا تفتأ تذكر اسمك.. فتُردد: لقد ظلّمته... لقد ظلّمته.. كم أنا مُنافقة.. ظالمة.. قذرة.. لا شرف لي.. ولم تنبئه لأحدٍ أبداً.. حينما شاهدتنا هربت إلى جحرها وأحكمت إغلاق الباب.. جلسنا قليلاً مع سالم، سأله ما سبب ذلك العناد الواضح من قبل جنان. فأجابنا بأنّ الإجابة لدى كليهما فأنا لا أعلم شيئاً، ولقد سئمتُ منهما ولا دخل لي بعد اليوم فيما سيحلُّ بهما مُستقبلاً.

لماذا إذاً يا جنان.. أرهقتِ روحي يا وجع قلبي، أيّ وسوسة شيطانية قد أصابتكِ؟

"أجبرنا الحياء المؤلم على استباق الحُزن بعزاءٍ مُبَكَّر!"

أصبحَ جسدي اليوم بلا قلب.. والعين اليوم بلا دُمع.. أصبحتُ فارغاً
من كلِّ شيءٍ إلا روحيَ الذي يأبى الهروب والخُروج.. فلا زالتُ أرواحنا
تتنفّس من رئةٍ واحدة.

هُجْرانك النازف ألبسَ قلبي تعويذة مُهرطقة. وبتقوسٍ أليمة.. وكأنَّ
قطعةً مِنِّي قد خرجتُ وضلّت الطريق!

في خضمِّ تلك الفوضى العارمة والشكاوى الفاسقة التي كُنْتُ أُسردها
على صديقي محمد، أتى عاطف وبيمينه صينية فطائر بالجبن، أطعمني
شيئاً منها بعدَ صِدِّ وردِّ. فقال مُعاتباً:

- سلمان ولو رفضتكَ ولو فقدتها اصبر يا أخي. لا تكُره ولا تحقد
فالأمرُ لا يستحق. الحياة لا تقف على أحد، وفيها من الفتيات ما
يُعادل كواكب الكون أجمع.

- كُنْ قنوعاً وراضياً بأقدار الله وسيعوّضك ما يُنسيك كلَّ مأسيك.
مسكني محمد وأجبرني على المشي معه خارجاً.. وقال: لعلَّك تُشاركني
صلاة التراويح بالجامع.

صليتُ لله آنذاك صلاةً لم أصلِ مثلها قط.. في كلِّ سجودٍ أنحب
وأدعو من صميم قلبي.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

يا رب عبيدك هذا عصاك بذنب سقيم.. فاغفر لي يا إلهي وعوضني..
اغسل روحي يا رب من فحیح الخيانة، وقساوة الفقد. رَحْمَاكَ يَا اللَّهُ.
بعد تلك الليلة الغامرة بتعب الذنوب والأسى.. ارتحتُ أيّما راحة
حينما بُحْتُ لربّي بكلّ شيء.



لم يخطرُ الفراق في خلدي أبداً.. كانت دفي في برّد وحدتي.. ملاذي
في خوفي، قُنبلَة في وجه أعدائي.. يظنّ بعضُ البشر بأنّ الرّاحل يفقدُ
تأثيره بعد رحيله، ولكيّي أظنّ بأنّ لديهم تأثير عكسي سيمهشمنّا ذات زمن..
فالذكريات دائماً ما تكون مُهيّأة وتنتظرُ الفرصة السانحة لكي تدور
بدولابها وتقذف تلك الصور الملوّثة بالقهر والدنس.. فتبقى كنقش آثم
في عقولنا تُقرأ حينما تجرحنا مواقف الحياة العاتية.. بل وتلاحقنا تلك
الذكريات كشريطٍ زمني حين نُفارق العالم النّين الذي نقطن فيه.
قررتُ بعد مُعاناة من مُجاهدة نفسي الكئيب.. واتّخذتُ تلك الخُطوة
الأبدية في مسار حبنا العتيق.. "من فرط حزنّي العاصف بهواء إهمالك".
اتّصلتُ بك..

قلّت: أنتظرك بشقّي غداً.. تعال واحضر معك شاهداً يشهد.

في اليوم التالي، أيقظتُ عاطف حتى يكون شاهداً إِمَّا لوفاة علاقتنا
أو لنجاتها.

متورطٌ أنا في هذه العلاقة المتورّمة كسرطانٍ جاف.. كعجوزٍ يَأبَى
الانقراض.

كُنْتُ أريدُ أن نكون لوحيدنا حتى أبوحَ لكِ بكلِّ ما أكنّه تجاهك..
ولكنَّ شقيقك المُفعم بالحوية رفض الانحياز لطلبي.. فكان لا بدَّ لي من
اصطحاب عاطف معي.

لمُ أُرِدْ أن يطول الحديث.. أو أن يقصُر.. فخير الأمور أوسطها.
ماذا تريدان يا جنان؟ هل تريدانني في مُستقبلك.. أم نحدّد الملامح
المُستقبلية من الآن.. كلُّ في طريقه وفي سبيل نفسه!؟

قلت: أعلم جيداً بأنّ الوداع مُرهق.. مدمّر وساحق.. وعدُّ مَيِّ بأنّ
أضعك في أرقى متاحف ذكرياتي.. دمتَ سالمًا يا حبيبي.
صوّبتُ بصري نحو عاطف.. أتشهد. قال: نعم أشهد.

شاركنا سالم تلك المهزلة، تلك الكارثة الإنسانية، وزاد الملح على
الجرح، فقال: أنا يا سلمان منذ البداية توقّعتُ بأنّ علاقتكما لن تستمرَّ
على خير ما يرام.. لذا تقبّل هذا الواقع.. أنت أحببتها طفلة وهي عشقتك

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كطفلة.. ولكن عندما كبرت الفتاة اختلفت الأمور ونضجت الأفكار.
الحبّ في الطفولة لعبة فقط.. أو اعتبرها نزوة.

لَمْ أَصْغِ لِسَالِمٍ كَثِيرًا، فَهُوَ لَا يَعْلَمُ لِأَنَّهُ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْحَبِّ قَطُّ.
قُلْتُ لَهَا: هَدْوُوكِ الْمُضْطَجِعِ يَا جَنَّانِ فِي آخِرِ أَيَّامِنَا لَمْ يَكُنْ يُعْجِبُنِي..
زَادَتْ الثَّغْرَةَ بَيْنَنَا عِنْدَمَا تَقَلَّصَتْ أَيَّامُ اللَّقَاءَاتِ.. تَوَجَّسْتُ قَلْقًا فِي أَوَاخِرِ
لِقَاءَاتِنَا.. هَلْ هُنَاكَ عَيْبٌ مَا! أَرْجُوكِ بَرِّرِي بِأَيِّ شَيْءٍ. لَا تَتْرَكِينِي بِلَا سَوَابِقِ
هَكَذَا!

قُلْتُ وَالِدَمِّعِ يَسْرِي فَوْقَ خَدَّيْكَ: أَرْجُوكِ اذْهَبِي يَا سَلْمَانَ. الْحَيَاةُ
أَمَامَكَ، عَشْ كَمَا يَحْلُو لَكَ. اذْهَبِي فَاِنَّا لَمْ أَعُدْ أَحَبِّكَ، اذْهَبِي حَيْثُ لَا
أَحَدٌ يُشَبِّهُنِي هُنَاكَ..

قُلْتُ وَأَنَا دَمْعِي غَائِرٌ فِي مَقَلَّتِي: أَفْهَرْتُ جَلَابِيبَ قَلْبِي، أَمْطَرْتُ سَمَاءَ
خَزْبِي بِخَيْبَاتٍ مُتتَالِيَةٍ. يَنْسَتْ أَضْنَانِي التَّعَبُ وَمَا بِالْيَدِ حِيلَةٌ.
فَلتَعِيشِي كَرِيمَةً كَمْ أَتَمَّنِي بِأَنْ أَرَاكَ يَوْمًا وَأَنْتِ تَ.....؟ لَمْ أَكْمَلِ.. لَا
أُرِيدُ أَنْ أَرَاكَ وَأَنْتِ تَعِيسَةٌ.

نظرتُ إِلَيْكَ بِأَخْرِ نَظْرَةٍ حَبِّ وَبِأَخْرِ نَظْرَةٍ عَشْقٍ وَبِأَخْرِ نَظْرَةٍ هِيَامٍ..

قَبْلُ أَنْ تَتَحَوَّلَ تِلْكَ النُّظْرَةُ الْجَلِيلَةَ إِلَى نَظْرَةِ كُورِهِ وَجُدَامٍ. مِنْ هُنَا أُدْرِكْتُ
بِأَنَّيَ عَاشِقٌ سَيءُ الْحِظِّ حَدَّ النَّخَاعِ.
(أُردتكَ، وأريدك، ولا أريدك).

كَانَ يَكْفِي أَنْ تَعْتَذِرِي فَقَطْ حَتَّى تَصْلِحَ الْعِلَاقَةَ.. فَقَطْ اعْتَدَارَ مِنْكَ
يُربِكُ مَنَافِذَ الشَّيْطَانِ.

فَقَطْ كَلِمَةً اعْتَدَارَ كَانَتْ تَكْفِي لِكِي تَغْسَلَ مَا بَدَاخِلِي، لِكِي تُطْفِئَ مَا
بَدَاخِلِي مِنْ لُجَجِ الْأَثَامِ.

لَا أَعْلَمُ يَا جَنَّانَ مَا خَطِيئَتِي الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ؟ مَعِيَ كُلُّ الْحَقِّ بِأَنْ أَغَارَ عَلَيَّ
عَائِلَتِي.

هَلْ تَمَادَيْتُ فِي الذُّودِ عِنْدَكَ! هَلْ تَمَادَيْتُ فِي تَدْلِيلِ عَوَاطِفِكَ؟ أَمْ أَنِّي
كُنْتُ التَّجْرِبَةَ قَبْلَ الْإِتْيَانِ بِالْحَقِيقَةِ... فِيمَا آذَيْتَكَ؟ صَرَخْتُ فِي وَجْهِكَ..
أَجِيبِي لِمَ الصَّمْتِ؟ تَكَلَّمِي وَأَخْرِجِي مِنْ قَلْبِكَ الْأَضْغَانَ. تَكَلَّمِي وَصَبِّي لِجَامِ
غَضَبِكَ عَلَيَّ.. تَكَلَّمِي فَقَطْ.

مَسَكْنِي عَاطِفٌ مِنْ أَكْتَا فِي وَقَال: خَلَاصُ الْأَتْرَى الْفَتَاةُ تَشْهَقُ مِنْ
الْبِكَاةِ.. دَعَاهَا رَبَّمَا ظَرْفُ الْمَمِّ بِهَا رَبَّمَا كَانَتْ مَجْبُورَةً بِكَ. وَأَنْتَ مِنْ فَرْطِ
حَبِّكَ لَهَا غَمَمْتَ عَنْ سَحَابِ الْوَاقِعِ. دَعَاهَا يَا سَلْمَانَ. هَيَّا قُمْ لِنَخْرُجْ مِنْ
هُنَا. قَبْلَ حَدُوثِ ضَرَرٍ أَكْبَرَ هَيَّا..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قبل خروجي بدقائق. سمعتُ صوت سقوطِ أليم، وآههُ أَلِمٍ معروفة..
حينما نظرتُ للخلف كانتُ جنان، تعثَّرت المسكينة فسقطت.. سحبني
عاطف بالقوة إلى الخارج.. وأقفل سالم الباب من خلفنا. ماذا جرى لها،
أريد الرجوع، أريد الذهاب بها إلى المشفى يا عاطف، هل خرقَ ذلك الجني
العاشق العهد وباتَ ينتقم منها! أرجوك لنعدُ يا عاطف.

جزّتي عاطف ذاك اليوم جرّاً أزال الخيط عن ملابسني.

أذكر أنّني بعد ذلك اليوم.. عدتُ لسابق عهدي، عدتُ للانتقام من
ذكرياتنا مجدداً، حرقتُ كلَّ شيء. حرقتُ كلَّ ذكرياتنا يا جنان.. وكلَّ ما
يتعلّق بك، صورتك وأنتِ طفلة، حرقتها. مسحتُ كلَّ صورك الموجودة في
هاتفي النقال.

كُنْتُ احتفظ بعقد منقوش عليها اسمك.. كُنْتُ أنتظر العيد حتى
أفاجئك بها.. مسكتُ مطرقةً بيّمناي فرميتُ العقد أرضاً لم أدع فيها شبراً
إلا وهشمتها.. بعد إعدامها كسراً، دفنتها....

ولكنّ ظلَّ سؤالٌ يترنح في رأسي كالذباب الأعمى.. إلى يومنا هذا لم أجد
إجابةً شافية ووافية له.

هَلْ كُنْتُ تستحقّين انتظاري لك؟



لَمْ أَعِدْ أَخَافُ مِنَ الْخَسَارَةِ.. فِي الْوَاقِعِ لَيْسَ لِدَيَّ مَا أَخْسِرُهُ الْآنَ.
يَقُولُ الْكَاتِبُ رِشَادٌ حَسَنٌ "أَنْ تَتَعَاطَلَ مَعَ النَّاسِ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّهُمْ لَا
يُخْطِئُونَ، ثُمَّ تَتَفَاجَأُ بِأَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَأُوا، فَهَذَا خَطْوُكَ أَنْتَ"، لَا أَعْلَمُ مَنْ
كَانَ الْمُخْطِئُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ الْأَلِيمَةِ.

إِنْ كُنْتُ أَنَا الْمُخْطِئُ فَلَا رَيْبَ أَنَّي أَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذَا الْعَذَابِ.
أَكْدَى قَلْبِي بَعْدَ فِرَاقِكَ يَا جَنَّانَ.. كُلَّ شَيْءٍ بَدَأُ يَتَلَاشَى مَعَكَ رَوِيداً
رَوِيداً، كُلَّ الْمَسَاعِي الْبَائِسَةِ فِي سَبِيلِ إِرْضَائِكَ لَمْ يَعُدْ لَهُ مَعْنَى.. كَيْفَ
وَأَنْتِ كُنْتِ مُنْتَهَى الْمَعَانِي مُنْذُ الْأَزْلِ.

قَرَّرْتُ أَنْ أَهْرَبُ وَأَنْ أَسَاقِ الزَّمَانَ وَأَنْ أُنْسِيَ فَقَطْ.. أَنْ أُنْسِيَ فَقَطْ..
بَعْدَ تِلْكَ الْأَثْقَالِ الْمُحْمَلَةِ بِالْأَسَى، أَزْدَانَتِ السَّمَاوَاتُ بِالْوَانِ الْمُفْرَقَاتِ
الزَاهِيَةِ..

اقْتَرَبَ الْعِيدُ، هُنَا الْعِيدُ يَخْتَلِفُ عَمَّا تَعَوَّدْتُ عَلَيْهِ فِي الطَّائِفِ. فِي
الطَّائِفِ النَّاسُ يَصِلُونَ الْعِيدَ بَعْدَهَا كُلُّهُ إِلَى دِثَارِ فِرَاشِهِ.. النَّوْمُ كَانَ
سُلْطَانَ الْعِيدِ. وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ تَبْدَأُ التَّبْرِيكَاتُ بِالتَّغْرِيدِ.

هُنَا فِي إِسْلَامِ آبَادٍ يَوْمَ الْعِيدِ مُخْتَلِفٌ.. يَوْمٌ تَتَجَدَّدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتَسْتَكِنُّ
بِاجْتِمَاعِ الْأَحْبَابِ.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

فكَلَّ اجتهادَ نهايته عيدُ سعيدٍ.. فبعدَ اجتهادِ معدودٍ وترقُّقٍ للأجفانِ
مَنْ الخشوعِ وترطُّبٍ للألسنِ بآي القرآنِ.

يُحِسُّنُ إلينا الرَّبَّ سبحانه بيومٍ تستروح فيه النفوسُ.. فيتنفَّسُ
الضائقونَ بوسعتِها.

فيها تستطبُّ الروائحُ وتجمَلُ الأشكالُ.. وتتسابقُ النفوسُ إلى
الإحسانِ.. ففيها فرحةٌ لا يضاهاها فرحةٌ تكادُ مِنْ فرحتها تنشقُّ الخدودُ..
وتحلُّو لطائفها بأطفالٍ يُزهرون حلَّتْها الهيبةُ.

وفي شوارعها يصطفُّ الأحابيبُ لمشاركة السعادة فيما بينهم البينِ..
وتستقيمُ البيهجةُ في القلوبِ. وتُسترُ الأضغانُ في بواطنِ الأحقادِ.. وتنطلقُ
التبريكاتُ مِنْ كُلِّ بقعةٍ يقطُنُها مسلمٌ.

"كَلَّ عامٍ وأنتَ بخيرٍ".

كَلَّ عامٍ وأنتَ بخيرٍ... أه مِنْ يتأملُ هذه الكلمات البسيطة يجدها
عميقة.

أنتَ بخيرٍ في كُلِّ عامٍ، يا رب اجعل كُلَّ أيامنا خيراً تجنَّبنا شرَّ الوئامِ،
فكَلَّ عامٍ معك أسوء من قبله.

كُنْتُ يا جنانِ جَلَّ اهتماماتي في كُلِّ عيدٍ.

كُنْتُ تَجْمَلِينَ نَفْسَكَ أَيَّمَا تَجْمِيلٍ.. كَانَتْ أَيَّامَ الْعِيدِ قَبْلَكَ كَثِيبَةً دَائِمًا..
لَمْ أَكُنْ أَفْرَحُ وَلَمْ أَكُنْ أَجِيدُ التَّمَثِيلَ بِابْتِسَامَةٍ مُزِيْفَةٍ وَتَبْرِيكَةٍ طَفِيفَةٍ.
حَتَّى ظَهَرْتُ أَمَامِي (وَيَا لَيْتَكَ لَمْ تَظْهَرِي).

بَاتَتْ أَيَّامَ الْعِيدِ أَجْمَلَ أَيَّامِ حَيَاتِي وَقَتْذَاكَ.. بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ مُبَاشَرَةً
كُنْتُمْ أَوَّلَ الْوُجْهَاتِ. أَهَنْتُكُمْ بِالْعِيدِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكُمْ الْقَبُولَ.. أَبْدَأُ بِتَقْبِيلِ
رَأْسِ السُّتِّ بِهَيْبَةٍ وَآخِرَ شَخْصٍ أَبَارِكُ لَهَا بِهَذَا الْيَوْمِ الْمَجِيدِ هِيَ أَنْتِ يَا
جَنَانَ عَمْرِي، لِأَنَّكَ مِنْ أَزْمَةِ السَّهْرِ كُنْتِ تَنَامِينَ مَبَاشَرَةً بَعْدَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ.
أَمَّا الْيَوْمَ الْجَمِيعَ مُجْتَمِعَ مَعَ أَغْلَى نَاسِهِمْ إِلَّا أَنَا.. لَيْسَ لِي فِي هَذَا الْبَلَدِ
أَحَدٌ، مَعَ مَنْ أَقْضِي الْعِيدَ وَمَعَ مَنْ أَدْرِكُ الْعِيدَ مِنَ الْأَسَاسِ!
النَّاسُ أَقْبَلُوا عَلَى شَتَّى أَنْوَاعِ الْحَلْوِيَّاتِ.. وَأَشْهَرَهَا فِي هَذِهِ الْبِقْعَةِ مَا
تَسَمَّى بِاللُّدُو.

مَعَكَ كُنْتُ أَنَا الْعِيدَ وَأَنَا الْبِهْجَةَ، فَبِدُونِكَ الْيَوْمَ.. أَنَا شُؤْمُ الْعِيدِ
وَبِؤْسَهَا.



أَتَى اللَّيْلُ سَرِيعًا.. أَتَى الْمَسَاءَ الْفَارِغَ بِهَدْوٍ مُزَعَجٍ وَمُتَعَبٍ.
ذَلِكَ الْمَسَاءَ كَانَ مَسَاءً مَلِيئًا بِرَسَائِلٍ مَمْرُوجَةٍ بِفَرَحِ الْعِيدِ وَبِاعْتِذَارَاتٍ
رَسْمِيَّةٍ.

عَلِمْتُ أَخْتِكَ رِيحَانَةَ بِمَا جَرَى بَيْنَنَا.. أُرْسَلْتُ إِلَيَّ عَبْرَ بَرِيدِي الْإِلِكْتُرُونِي
رِسَالَةً لَمْ أَفْهَمْ بِالضَّبْطِ مَغْزَاهَا وَمَاذَا كَانَتْ تُرِيدُ مِنِّي.. وَمُنْذُ مَتَى كُنْتُ فِي
قَائِمَةِ اِهْتِمَامَاتِهَا أَصْلًا.

كُتِبَتْ:

حَلْمِي وَحَلْمِكَ وَحَلْمِهَا وَأَحْلَامَ الْجَمِيعِ، كُلُّهَا أَحْلَامٌ مُبْتَوْرَةٌ.

لَوْ لَمْ تُكُنْ تَحْلَمِ. هَلْ كَانَتْ السَّمَاءُ سَتُسْقِطُكَ عَلَيْهَا.

أَوْ تُسْقِطُهَا عَلَيْكَ؟

لَمْ خُلِقِ الْحُبُّ إِذَا؟!

لَوْ لَمْ نَكُنْ بَشَرًا، كُنْتُ أَخْبِرْتِكَ بِشَيْءٍ آخَرَ الْأَرْضِ طَالَمَا فِيهَا نَحْنُ

الْبَشَرِ، وَنَتَنَفَسُ هَوَاءَهَا الْمَلَوَّثَ، فَنَحْنُ مَلَوَّثُونَ بِالْحُبِّ.. وَلَا يَطَهِّرُنَا مِنْهَا

أَلْفَ اغْتِسَالٍ.

نَحْنُ الْمَوْشُومُونَ بِالْحُبِّ مُنْذُ وُلِدْنَا.

حُبِّ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا لَنَا.

الْحُبُّ كَائِنٌ مُسْتَقِلٌّ.. بِمَزَاجِيَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ، لَا يَمُتُّ لَوَاقِعِنَا

بِصَلَةٍ.

يَغْتَالُ صَمْتِنَا وَيُوَدِّدُ أَمْنِيَاتِنَا.

فيجعلنا نثرث ونكتُب كالمغلوب على أمرهم (المجانين) لكن بعقل.
سامحها وعش حياتك.

... ربحانة...

لم أركّز كثيراً فيما كتبتُ شقيقتكِ الحسناء، ما أكل تفكيري وسلب
تركيزي أكثر هي رسالتك يا جنان. أرسلتها قبل يومنا الكئيب ذاك لو أنّي
فتحتُ بريدي آنذاك.. لم أكن لآتي إليك مُنعدم الحال وهزيل الملامح..
ولكن شاءتِ الأقدار.

كتبتُ فقالتُ:

- أيها الإنسان الجميل. أعرف بأنني دخلتُ لحياتك مُخملية النسب..
وخرجتُ منها كمنافقة، كخائنة.. سمّتي ما شئت. أتدري بأنني أبكي
وأنا أكتبُ لك هذه الرسالة الباهتة، أنا أيضاً أعاني يا عزيزي،
أعاني من سُوداوية قلبي، وصِغر عقلي.

أرجوك اعذرني ولكن ما يجب عليك أن تعلمه، بأنني أحببتك أكثر من
أيّ كائنٍ آخر. أمل بأن رسالتي قد اطفأتُ غضب قلبك قليلاً.. سامحني.
.. جنان..

بعدها قرأتُ رسالتك الدّموية تلك، أعلنتُ الكره المطلق لك. لو أنّك

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

فَعَلَا أَحْبَبْتَنِي أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ كَائِنٍ آخَرَ كَمَا تَدَّعِينَ، لَمَّا تَجَرَّأَتْ فِي تَمْزِيقِ
صَفْحَةِ حَبْنَا بِكُلِّ تِلْكَ السَّهْوَةِ وَالرَّعْوَةِ.

هَوَيْتُ بِالرَّسَائِلِ بَعِيداً. نَوَيْتُ الْهَرُوبَ عَسَاهُ يُنْهِي كَمَدِي وَهَذَيَانِي،
عَسَاهُ يُنْهِي عَارَ الْجَبِينِ الْمَوْسُومِ فَوْقَ رَأْسِي. وَعَدَنِي مُحَمَّدٌ بِاصْطِحَابِي
إِلَى الْمَرْعَةِ لَعَلِّي أُغَيَّرُ شَيْئاً مَنِ الْجَوِّ الْمَكْظُومِ الَّذِي يُحِيطُنِي، وَلَكِي أَهْرَبُ
مَنْ أزدحام تلك الخيبات المتكدسة فوق أكتافي، حزمتُ حقيقتي ووضعتُ
القليلَ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ.. وَعِنْدَ وَصُولِي اسْتَقْبَلَنِي الْجَدُّ آغَا بِكُلِّ سُرُورٍ
وَحِنْيَةٍ..

حينها أعطاني الجدّ الحكيمَ مذكرةً صغيرةً وقلم. فقال:

عَلِمْتُ بِمَا جَرَى بَيْنَكُمَا. اجْعَلِ الْقَلَمَ طَيِّبِكُ.. أَكْتُبُ فَوْقَ الْأَوْرَاقِ
أُحْرِقُهَا وَجَرَّ الْقَلَمَ جَرّاً.. فَقَطُّ أَكْتُبُ وَاسْتَمَهَا بِأَقْدَرِ أَنْوَاعِ الشَّتِيمَةِ..
صَدَّقَنِي سَتَشْعُرُ بَعْدَهَا بِرَاحَةٍ عَظِيمَةٍ.

سَرَيْتُ مِنْ فُورِي فَجَلَسْتُ بِقَرْبِ الْبَحِيرَةِ.. اسْتَنْشَقُ هَوَاءَهَا النَّقِي..
كَتَبْتُ وَكَتَبْتُ.. حَتَّى أَنْهَيْتُ الْمَذْكُورَةَ بِالْأَمِي الْقَاهِرَةِ.

هَرَمْتُ وَأَنَا فِي رِيْعَانِ شَبَابِي.. أَلَا يَا لَيْتَ الشَّبَابَ يُعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا
فَعَلْتُ جِنَانُ.

اتّصل محمد بعاطف ليُشاركنا الرّاحة.. ولكنّه اعتذر وبرّر بأنّه مع جنان يُساعدها في إعداد المعرض الفني لرسوماتها الباذخة.

- أصبح عاطف يُشاركك كثيراً في أمور شتى.. الأمرُ تعدّى كونه مُساعدة أو حتى شفقة، ستكشفُ الأيام غموض الأوان.

جنان كانت ترسم أبداع اللوحات.. أبداع الرسومات.. كانت تُجيد اللعب بالفرشاة وتُخرج لنا عالماً بديعاً من صنع يديها.

افتتحوا المعرض بحضور الكثير من الناس والفنّانين الهنود، بل وحتّى السيّاح الإنجليز حضروا الافتتاح. حتى وأنتِ بعيدةٌ عنيّ تصلني رياح أخبارك مع كلّ نسمة يا أنسة.

جميلٌ بأنْ تُنجزي يا جنان.. وغيرك يتألّم من واقع الصدمة النفسية.. وغيرك فاقدٌ مُتعة الأشياء بعدك.

اشتهرتِ بعدي سريعاً.. الكلّ أصبح يعلم منْ هي جنان.. تركتِ الدراسة وانشغلتِ بالرسم فقط.

صوّر لنا عاطف الكثير منْ إبداعاتك.. وأعطانا اسم المعرض جزلاً مسروراً بإنجاز غيره.

"معرض ابنة دافنشي للفنون".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

لاحظتُ في رسْمها صراعاً عنيفاً وألماً قاهراً. وكأنّها ترسّم رسائلَ مشقّرة
لا يفهمها أحدٌ غيري، مؤلمة تلك الرسائل وكأنّها تعترفُ بأنّها رهينة صدري
الأزلي.. أما الجانبُ الآخر من شفراتها المظلمة سأحتفظُ بها لنفسي في
سريّ وخليّ.

بعد تلك الأيام العجاف، والتي مرّت مرور الغمام الكالج فوق أرضنا
المُعْتَصَب.

اتصلتُ بي الستُ بهيئة فقالتُ كلاماً مُناقضاً صاحباً، أزعجتني بنفاقها
الجائر.

ولكنني احترمها لكبر ستّها.. ولم أعارضها.. وبّختني كثيراً وأهانتي بكلّ
ثقة ولا مُبالاة.. حتى هدأتُ فقالتُ في نهاية صُراخها المُزعج:

- يا بُني لا زال أمامك عُمُرٌ طويلٌ إن شاء الله.. فأنت لا زلتَ شاباً،
وهناك الكثير من الفتيات غيرُ جنان.. ينتظرنك! هذا نصيبك.. ولا
أحد يُرحل من هذه الدنيا دون أخذِ نصيبه منها!

كرهتُ كلمة النصيب. كرهته! وسأكره بعد اليوم كلّ من يذكر لي
اسمك يا فاطرة قلبي.

انتهت أيام سُباتي في المزرعة رجعتُ للدراسة بقي ترمُّ واحدٌ فقط.
وأهرب والله لئن أبقى ولو لثواني في أرضٍ مُخضبةً بذكرياتٍ عصبية.
أريد أُمي.. أريدها أن تحتضني أريد أبي أريد أصدقائي القُدامي.. أريد
الرحيل من هنا إلى موطني إلى مدينتي الهادئة. مدينة الطائف تلك المدينة
الرفيقة. المدينة البسيطة.

عَلَيَّ أَسْتَرِيحُ مِنْ ذَكَرِكَ الْمُتَعَبِ.. مَعَ ذَلِكَ أَعْتَقِدُ بِأَنَّكَ ابْتِلَائِي الَّذِي
سَمِهْشَمِي يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ عُمْرِي الَّذِي يَمْضِي كَثِيبًا.. تَرَكْتُ مَدِينَةَ الطَّائِفِ
مِنْ أَجْلِ هَذَيَانِكَ وَجَنُونِكَ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ بِتَرَاهَا تَمَامًا لِحَقَّتِي حَيْثُ أَنَا
الآن.. وَأَظْنَهَا سَتَلْحَقُنِي إِلَى بَرَزِي وَعَالَمِي الْآخَرِ.

كَيْفَ السَّبِيلُ لِلْهَرُوبِ مِنْكَ يَا تُرَى!



كُنْتُ قَابَ قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى مِنْكَ، وَلَكِنَّكَ كُنْتَ صَعْبَةَ الْمِرَاسِ.. سَعَيْتُ
نَحْوَ الْحَبِّ بِكُلِّ حَيَوِيَّةٍ وَطَاقَةٍ، لِأَنَّ الْحَبَّ لَا يَأْتِي بِلا سَعَادَةٍ. وَلِأَنَّهُ يُخَفِّفُ
الوَحْدَةَ.. لِذَا سَعَيْتُ إِلَيْهِ جَاهِدًا طَارِحًا كُلَّ السَّلْبِيَّاتِ جَانِبًا، وَلِأَنِّي وَهَبْتُ
ذَلِكَ الْحَبَّ لِشَخْصِيَّةٍ كُنْتُ أَظْنُهَا عَظِيمَةً وَتَسْتَحِقُّ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، إِلَّا
بِأَنِّي اكْتَشَفْتُ لِاحْتِقَاقِ بَأْنِ بَعْضِ الْحَبِّ يُمْنَحُ وَلَا يُعْطَى.

أردتُ التغييرَ الجذريَ لحياتي أردتُ عالماً لنفسِي وليس لكِ يا نقيضي
الحاد حقَّ العيش فيه.

كرستُ جلَّ وقي بالدراسة فمعدّلي انخفض أثناء انشغالي بترهاتك
القدرية.

كُنْتُ أتعوذُ بالله منك أثناء كلِّ مادة امتحان أفتحها للمذاكرة.. لأنَّ
طيفك يظهر كلَّ حين.. وفي كلِّ شيء وعلى أيِّ شيء.

محمد بدأ بالعمل مجدداً في مشفى خاص بمدينة لاهور.. فهذا يُبشِّرُ
بالخير.

بدا لي وكأنّه يُجاهد نفسه لكي ينسى، أصبح يُكرّس كلَّ وقته بالعمل..
بُغية نسيان الألم الذي خطفه ذات مرّة.. هو مثلي تماماً عشق ففقدُ
ولكنّ الاختلاف الوحيد بيننا هو بأنّه قويّ الإرادة ويمضي نحو مستقبله،
ولا يُبالي.. بينما أنا، جالسٌ أندب قدرِي التعيس.

اليوم يا محمد أدركتُ بأنك رجلٌ بحق.. كيف تحمّلتَ وأجبرتَ نفسك
الحزين على الصمود! "أدعوا ربّي بأن تكون الآن تلك الأبيّة العفيفة
سارحةً في نعيم الجنّة، وأن يرزقك مُصاحبتهَا في خُلودٍ لا ينتهي ولا يموت
ولا ينام".

هَلْ أَخْبِرُكَ يَا جَنَّانَ عَنِ صَدِيقَتِكَ الْمُنْسِيَةِ تِلْكَ! تِلْكَ الصَّهْبَاءُ الشَّامِيَّةُ
مُنَى!

أَصْبَحْتُ سَاعِدِي الْأَيْمَنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.. كَانَتْ دَائِمًا بَرَفِقَتِي.. تُعِينَنِي..
تُذَكِّرَنِي.. تُعِينَنِي لِلطَّرِيقِ كُلَّمَا ضَلَلْتُ الْمَسِيرَ.. اسْتَعَلَّتْ فِرْصَةَ غِيَابِكَ
فَأَرَادَتْ احْتَوَائِي بِكُلِّ مَا تَمَلَّكَ مِنْ حَنَانٍ وَحُبٍّ. حَاطَتْ إِبْعَادَهَا وَلَكَّنِي مَا
اسْتَطَعْتُ.. لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ كَأَنْتِ تَقْتُلِينَ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ وَتَهْرِبِينَ، فَلَا أَجِدُ
دَلِيلًا لِإِدَانَتِكَ بِتُهْمَةِ خَطْفِكَ لِقَلْبِي دُونَ إِرْجَاعِهِ مَجْدِدًا لِبَيْتِهِ الْمَهْجُورِ.

وَلَكَّنِي سَأْكَوْنُ فَقَطْ مَصْدَرَ أَلْمٍ لَهَا، فَأَنَا الْيَوْمَ آلَةٌ خَرِبَةٌ، فِرْصَةٌ
لِمَشْرُوعٍ مَحَلٍّ خَرْدَوَاتٍ.. لَذَا سَأَحَاوَلُ تَجَنُّبَهَا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

أَتَسْأَلُ الْآنَ وَبَعْدَ مَرُورِ سَنَةٍ كَامِلَةٍ بِلَا وَجُودِي بِجَوَارِكِ، هَلْ بَقِيَ
شَيْءٌ مَنِّي عَالِقٌ بَيْنَ ضُلُوعِكَ؟

أُظَنَّ بِأَنَّ أَعْرَبَ الْغُرَبَاءِ فِي حَيَاتِكَ الْآنَ هُوَ أَنَا أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
بَعْدُكَ.. صَرْتُ أَقْضِي مُعْظَمَ وَقْتِي فِي غُرْفَتِي الْبَائِسَةِ.. لَمْ أَعُدْ أَخْرَجُ،
خَشِيئَةً فِيمَا لَوْ خَرَجْتُ وَقَابَلْتُكَ صُدْفَةً، لَا أَعْلَمُ مَا سَيَجْرِي بَعْدَهَا!
حَبِسْتُ نَفْسِي بَيْنَ جِدْرَانِ غُرْفَتِي الْمُنْتَشِقَّةِ، وَبَعْضٍ مِنْ كُتُبِ.
"فِي غُرْفَتِي لَا غُرْبَةَ يُضْجِرْنِي وَيُنْحَتُ وَيَلَاتِي. فِي غُرْفَتِي سُكُونٌ وَلَيْلٌ
مُظْلَمٌ يُغْنِينِي عَنِ رُؤْيَاكَ".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

عُرفتي الآن أشبهه بأسطورة.. أشبهه بملاذ للمساكين والغارقين في لُجج
الحبّ.

أشبهه بكوخٍ سويسري بين جبال الألب، وحيداً يلُمع.
أصبحتُ قاضياً على نفسي.. أحاسبُ نفسي وأعاتبها وأنهبها بعدم
اقتراف أخطاءٍ أخرى بحقيّ.

لطالما حكمتني قناعاتي بأنك الفتاة التي أحبّ، والتي لن أزاول معها
انحراف القلب الهزيم. كلّ تلك القناعات كانت مُحضُ أوهام.. كلّ حياتي
معكِ كانت مصنوعةً من أوهام.. والشيءُ الحقيقيُّ الوحيد، هو جُرمكِ
الثابت في حقيّ يا ظليّ المُمْتدّ.

لم يبق لي أحدٌ هنا غيرُ محمدٍ ومنى فقط، أنثر عليهم بقاياي العابرة.
وأنقاسمُ معهم أقسامِ روحي الهائمة.

هنيئاً لكِ بحبيبكِ الجديد يا جنان، ذلك المُتغطرس، صاحب المال
والجاه، فعلاً صدقَ حينما قال ذاتَ يوم: بأنّ النساءَ مادّيات بطبعهن..
اعترف عاطف ذاتَ ليلةٍ مطيرة، في رسالةٍ باردةٍ بحبّه الجديد وبرفيقة
عُمره الأليف.. أرسلها إلى الجميع، بدون أن يُرسل لي شيئاً.
أرسلها وقال فيها: أنّه أسيرٌ مُقتنى لدى حبيبتي جنان.

أخبرتني منى بأمر الرسالة النصّية فيما بعد.. فقالت:

ذلك الصديق كان ذنباً بجلد إنسانٍ يا صديقي. "هكذا وبكلّ صراحة".

فهتمتُ الآن، سببُ مُساعدتك لسالم وتسديد الديون عنه.. وسبب

تلك الزيارات المتكرّرة لشقّتهم المتواضعة.

أحسنتَ يا أيّها المنقذ، خطّة رائعة، هنيئاً لك ولتخبّطك العبقري.

لم أبكِ أتصدّق ذلك يا عاطف.. لم أبكِ أبداً.. عشتُ الخيانة منذ أول

يومٍ قابلتُ فيه جنان عمري. أتعلم بأنني أحببتك أكثر من أيّ صديقٍ آخر

يا عدوّي الصديق.

أقول اليوم كما قال ميخائيل نعيمة ذاتَ دهر:

"نجّني اللهم من صديقٍ يدّعي أنّه يحبُّني، فوق محبته لنفسه!"

لم أكن لألومك يا عاطف أبداً، فجنان فتاة تُعشق رُغماً عن أنف

الجميع.

مع ذلك ألوم نفسي، كوني أثقُ بالغرباء سريعاً دون السؤال عن

ماضيه المظلم.

وألومك معي يا جنان، أهكذا تنتقمين مني! أهكذا تُحاكميني وتهزئين

بهيكلي الإنساني!

أَحَقًّا أَنْتِ أَنَا مَنْ عَشَقْتُ يَا تُرَى؟

أَغْتَصِبَ رُوحِي، وَعُقِدَ لِسَانِي بِالْمَلَايِينِ مِنَ الْعُقَدِ، مِنْ هَوْلِ مَا عَشْتُ
مَعَكَ وَتَعَايَشْتُ.

كَمْ كُنْتُ أَلْهَتْ وَرَاءَ اللَّأْشِيِّءِ.. كَغْرِيقٍ يَبْحَثُ عَنْ غُصْنِ شَجَرٍ يَرْفَعُهُ
وَيَسَاعِدُهُ.

أَتَدْرِينَ!

بِأَنَّكَ كُنْتِ عَذَابِي النَّاصِبِ! كُنْتِ صُدَاعِي الدَّائِمِ، وَكُنْتِ أَوْلِيَّ وَآخِرِي.
بَعْدَكَ، قَلْبِي غَشِيَهُ الْإِنْعَادُ وَالسُّكُونُ.

مَنْ صَفَعَاتِكَ الْقَاسِيَةَ تَسْرَبُ إِلَى دَاخِلِي سَوَادٌ بَغِيضٌ، ذَلِكَ السَّوَادُ
الَّذِي لَا يَرَأْفُ بِي وَلَا يُعْطِينِي الْفُرْصَةَ لِكِي أَسَامِحَ. حَاوَلْتُ أَلَّا أُزْرِعَ فِي قَلْبِكَ
أَلْمًا.. كُنْتُ أُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ دَائِمًا.

خَفْتُ بِأَنْ نَفْتَرِقَ دُونَ وَدَاعٍ.. دُونَ أَنْ يَبْقَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْءٌ نَرْتُو عَلَيْهِ
بِالْقِصَائِدِ لِأَحَقًّا.

أَتَقْنَتِ فَنَّ تَعْدِيْبِي عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ.. أَجَدَّتْ إِخْرَاجَ الْمَشْهَدِ حَسْبَمَا
رُوقَ لَهَا مَزَاجُكَ.

لَمْ أَتَجَرَّأُ بِأَنْ أَكُونَ لثِيماً مَعَكَ يَوْمًا، أَمَّا لَوْمُكَ فَكَانَ خَوْفًا رَهيبًا
بِالنسبة لي.

أَغْلَقْتُ سَفَارَةَ قَلْبِكَ مُبَكَّرًا.. اخْتَصَرْتُ الْمَسَافَةَ مُبَكَّرًا جَدًّا.
مَهْمَا اخْتَصَرْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَافَاتِ، فَمَسَافَاتُ الْاِشْتِيَاقِ تُمْتَدُّ لِآلَافِ
الْكِيلُومِتْرَاتِ.

قالوا يا فقيدتي:

"مَنْ أَرَادَ قُرْبَكَ، اقْتَرَبَ.

مَنْ أَرَادَ رُؤْيَتَكَ، أَتَى.

مَنْ أَرَادَ سَمَاعَ صَوْتِكَ، سَيَتَّصِلُ بِكَ.

هِيَ أَشْيَاءٌ لَا تَمْنَعُهَا الظُّرُوفُ، بَلْ تَمْنَعُهَا الرِّغْبَةُ".

كُنْتُ مُخْتَصِرَ رَغْبَاتِي كُلِّهَا، وَكُنْتُ مُجَرِّدَ صُورَةٍ لِشَخْصٍ عَابِرٍ فِي
حَيَاتِكَ.

لَمْ أَعُدْ أَمْلِكُ مَا يَكْفِي مَنْ الْعَمْرَ لِأَسْتَنْزِفِهِ فِي الْبُكَاءِ عَلَى أَطْلَالِكَ.

خُذِي تَأْشِيرَةَ خُرُوجِي. وَكُونِي بِخَيْرٍ.



كُنْتُ أُرِيدُكَ حِكَايَةً لَا تَنْتَهِي، وَحَيَاةً أَبَدِيَّةً لَا تَتَوَقَّفُ.. فَأَنَا كَمَا كُنْتُ
وَسَأَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الْمَغْطُوبَ وَالسَّهْلَ تَجَاوِزَهُ.. أَنْتَظَرْتُ إِشَارَاتِكَ لِلرَّجُوعِ
كَثِيرًا.. نَزَلْتُ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ فِي قَلْبِي لَمَّا دُونَ الصَّفْرِ.

الفراق صعبٌ جداً لكن الأ الصعب من الفراق نفسه هو عندما يكون
هذا الفراق هو السبيل الوحيد لمشكلة آلامنا المتواصلة.. أمّا الآن فأظنني
أحتاجُ لأن أتصالح مع الفشل، وأن أقبل خسارتي بصدرٍ رحب.. وأن
أعيش ببلادة وبدون إفراطٍ ولا تفريط.. وأن أتمرّن على النسيان أكثر.

في يومٍ نسييِّ عليل، زارنا شقيقك سالم.. استبشرتُ به خيراً.

حَفَرَ حَفْرَةً عَمِيقَةً فِي قَلْبِي وَمِنْ ثَمَّ هَرَبَ وَكَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ.

وبعد لحظتين من الصمت نطقَ سالم ويا لبيته ظلّ في صمته.. كرّر ما
تلاه سابقاً ذات دهر، قالها والابتسامة يغزو ثغره.

"أنتم مدعوون إلى حفلة خطوبة أختي جنان بالسيد عاطف."

قالها وبكلّ برود.. بكلّ سهولة وليونة.. وكأنّه كان يتمنى هذا اليوم
وبفارغ الصبر.

نظرتُ إليه بدهشة صريحة كدتُ أصاب بالجنون.. صرختُ في وجهه
أيما صراخ.

حينذاك أصبحتُ وحشاً مُفترساً.. امتلأ قلبي بالغیظ مجدداً..
انقضضتُ على سالم كأسدٍ جائعٍ مسكته من عنقه.

سيطر الغضبُ على عقلاي.. كدتُ أخنقه.. فأنقذ نفسه بالكاد
ولكني أعدتُ الكرة ضربته فكسرتُ أنفه على ما أظن.. ولحسن حظّه
مسكنا محمد وأبعدنا عن بعضنا.. حبسني في غرفته ومسك سالم
فأرشده طريق الخروج وقال له بكلّ صرامة وحنكة:

لا تُعدّ إلى شقّي مجدداً.. لا أنتَ ولا جنان ولا حتّى ذلك الخائن
المُتعجرف عاطف.

أضف بصوتٍ مُرتفع: يا إلهي أمانتِ الضمائر النقية في هذا العالم؟
شعرتُ بقوة كلماته تلك.. وكأنّها خرجتُ من أعماق قلبه.

قعدتُ ضاماً ركبتي.. مقهوراً. أرددُ: حسبي الله عليكم. حسبي ربي الذي
سينتصر لضعف عباده.

أفجعتُ جدّة جنان الصغيرة الست حفيظة.. كانت بالطابق الثاني
تهتمّ بحفيديتها.

خَرَجْتُ وَهِيَ مَدْعُورَةٌ عِنْدَمَا سَمِعْتُ صُرَاخَنَا.

- ولدي لا ترفع صوتك كثيراً.. فنباح الكلاب لا يدلّ على القوة إنّ لم يُظهر أنيابه.

أضاف محمد بشفقة: اجمع شتات عقلك وتصرف بتعقل وحكمة.
كيف لي أن أتصرف بتعقل.. وجنان أرجعتني لزمان الأبيض والأسود.
بخت بألوان حياتي على جدران الخيانة.

حتى سالم لطالما ظننته رجلاً مسؤولاً.. لطالما ظننته الأخ الأكبر
بالنسبة لمن لا أخ له.

وعاطف ذلك الصديق الصدوق.. ذلك الإنسان المثقف والموهوب.
أصبح عقلي خردة لم يعد يميّز شيئاً.

ظلمت هارياً من الوجود إلى حيث اللاوجود.. مجرد استفهات بلا
إجابة.. وهو اجس أغرقتني حدّ الثمالة. أنام نصف نوم وأظلّ مستيقظاً
أتأمل السقف الذي يخرب بأحلام مُزيّفة.

أكملت بعدها أيامي كآلة فقط لا إحساس ولا حتى وجهة معينة..
سوى أنني بالكاد أنجزت فروضي الجامعية، والامتحانات الأخيرة أكملتها
بنصف عقل.

الحمد لله، كان مُعدِّي التراكمي عالياً في السنوات السابقة.. فاليوم فقط أريد الشهادة ومجرّد النجاح فمرتبة الشرف لم تُعد تُمثّل أيّة أهمية بالنسبة لي الآن.

بقي أسبوع واحد فقط على التخرّج.. ولكن أيّ فائدة سأرجوها من إكمالي لدراستي؟



عبثتي بي..

عبثيّة في حبّك.. عبثيّة في مشاعرك.. ولكن قاتلة بخياناتك المتكرّرة.. كائنة مُفترسة وغدّة تطرد حينما تكتفي.

فأنت الفتاة الرقيقة التي كانت تبكي من موتِ نملة!
كيف أحدثت انفجاراً نووياً بنطفة قلبي المنشطر! كم كنت ماهرةً في شرشرة كيمياء حياتي.

يا إلهي.. حقاً إنّ كيدك عظيم.

بكِ فتحتُ عينًا قلبي لأول مرّة لأرى ذلك النور المُشع والمزمل بالسعادة، بنيتُ من حبّك المزيف آمالاً كونية.. سرّني اهتمامك البسيط..

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

مشيتُ معكِ فقراً.. مشيتُ معكِ ذلاً.. مشيتُ معكِ احتراماً.. وبعدَ المشي
معكِ لمسافاتٍ طويلةٍ أخيراً وصلتُ لنهايةِ الطريقِ.

لم أتوقف بإرادتي المخضبة، بل صُدف الحياة أسدت لي معروفاً
مُريعاً.. ركبنا نفس القطار وعلى نفس السكّة ولكن كان لكلٍ منا وجهةٌ
مُختلفة.

تحركَ القطار بسرعة خيالية، كعمري الذي يجري بسرعة غير
مُدركة.

متى سيتوقف هذا القطار؟

لأعرف مصيرنا كيف كُتبَ وكيف سَطُر!



أهملتُ أحلامي بسببكِ يا مغرورة.. لا أعلم ماذا أفعل الآن وأين
أذهب؟ وكيف أكمل نصف حياتي الضائعة، بعدما أهلك النصف الآخرُ
بك.

انتهت سنوات الدراسة.. وانتهى ذلك الكابوس المدمر معكِ.

أرشدني محمد لصديق مقرب لعائلته.. العمّ إسحاق زهور.. قابلته

ذات وهلة في عزاء الأنسة شهناز، كان له فضلٌ كبير في تبرئة اسم محمد من تلك التهمة الباطلة.

العم إسحاق من أقدم المحامين في البلد.. له سُمعة طيبة وعريقة.
إلا بأنه لم يكن يمتنُّ المهنة في العاصمة كثيراً إلا وقت الضرورة والحاجة.

جُلّ قضاياه كانت في قلب باكستان.. مدينة لاهور الثقافية.
ومع شروق شمس اليوم التالي، ركبْتُ حافلةً بسيطة تلك المنتشرة في ضواحي المدينة، مُتَّجهاً نحو وجهتي التالية. إلى العاصمة الثقافية للبلد، كما يسمّيها ساكنيها.

في الحافلة شاهدتُنا يا فقيدتي في عشيقين.. كانا يثرثران وكأتهما أنا وأنتِ يا جنان.

كانا يثرثران عن استعدادات الزفاف.. عن اجتماعهم الشرعي في دار السُّر والسكينة.

يقول الرجل: دعينا نتزوج الآن قبل إتمام الدراسة.
تقول له: لا.. اصبر قليلاً يا عزيزي. بعد الدراسة إن شاء الله وبعد أن تجد عملاً يُغنيننا عن سؤال الناس.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَيَّ كَابَةِ هَذِهِ، أَرَى ذَكَرِيَاتِنَا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ أَتَوَجَّهَ فِيهَا يَا جَنَّانَ.

تُرَى كَيْفَ حَالِكَ الْآنَ؟

وَمَاذَا تَفْعَلِينَ، هَلْ تَسْتَعِدِّينَ لَوْضَعِ الْمَسْحُوقِ فَوْقَ وَجْهِكَ لِتَتْرَبِينَ

لِغَيْرِي، أَمْ تَرَسِّمِينَ كِعَادَتِكَ؟

أَمْ أَنْتِ فَشَلْتِ مِثْلِي أَنَا الْإِنْسَانَ السَّادِجَ الَّذِي أَخْفَقَ فِي نَيْلِ قَلْبِكَ!؟

لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ آيَةَ إِجَابَاتٍ... سِوَى صِدْيِ صَوْتِ الْأَسْئَلَةِ وَهِيَ تَرْتَدُّ إِلَيَّ.

لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ أَحَدًا يِنَادِينِي كَمَا كُنْتُ تَذَكِّرُنِي اسْمِي بِبِنْرِةٍ فَرِيدَةٍ مِنْ

نَوْعِهَا.. يَا سَلُومَ.. يَا شَاعِرِي الْحَبِيبَ.. يَا مُتَغَابِي، يَا فِيلِدِسُوفَ زَمَانِكَ.

فَأَنَا الْيَوْمَ لَمْ أَعُدْ أَصْلِحُ كَزَوْجٍ وَلَا كَرَجُلٍ، بَلْ مَجْرَدَ إِنْسَانٍ يَحْمَلُ

جِينَاتٍ ذَكَوْرِيَّةَ.. سَرَقْتَنِي بِكُلِّ مَا فِيَّ يَا مَكْرَ حَيَاتِي. قُلْتُ: لَعَلِّي بِسَفْرِي هَذَا

أُرْتَاحُ قَلِيلًا.

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَجَّئْتُ بِالْأَزْدِحَامِ الشَّدِيدِ. فَذَهَابُ النَّاسِ

وَإِيَابِهِمْ يَجْلِبُ الصَّدَاعَ.

مَدِينَةٌ مَنْظَّمَةٌ أَكْثَرَ مِنْ سَابِقَتِهَا.. وَكَأَنَّكَ فِي أَوْرُوبَا.. وَكَأَنَّ الْفَقْرَ لَمْ يَثُرْ

فِي هَذَا الْبَلَدِ قَطُّ.

وما كان ينقصها فقط هو الجوُّ البارد والمُنْعَشِ والتي امتازت بها
إسلام آباد، فالحرُّ شديدٌ هنا.

حينها هاتفني العمُّ إسحاق وقال انتظر حيثُ أنت. سأكون هناك بعد
دقائق معدودة.

انتظرته تقريباً لربُع ساعة.. ظهر الرجل أخيراً. عرفته من هيئته التي
كان عليها في أيام الحداد.

"قصير بدين ولديه شاربين طويلين".

اقتربتُ منه.. ألقىتُ التحية.. ردَّ التحية بادرني مُتسائلاً: أنتَ سلمان
بن عبد الله خان.. أحبته: نعم هو وبذاته ولحمه وشحمه.. ضحك قليلاً،
ثمَّ أخذني بـسيارته الفارهة. الـبي إم دبليو.

بينما نحن في الطريق فتح لي الرجل سيرة حياته من طفولته إلى أن
كبر وأصبح محامياً معروفاً.

استطرد فقال: يا بني ستعمل معي إن شاء الله لأنني أحتاج مُتدرباً
يافعاً مثلك يخفّف عني قليلاً. وبإذن الله ستسكنُ في بيتي منذ الآن
فصاعداً أعلمتُ الخادم بأن يرتب لك شقَّتكَ.

سألته عن ساكني المنزل.. أجب: مع زوجتي وابنتي الوحيدة جمانة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أكلُّك وشُربُك.. وأغراضُك كلِّها ستكون على حسابي. لا تقلق من هذه الناحية بمثابة أنك صديق ابني الغالي محمد.. فأنا لم أُرزق بأولاد لذا عوضني محمد في طفولته عن هذا الفخر المُبتدل.

أتعلم صديقك محمد قضى نصف طفولته هنا معي ومع فتاتي الوحيدة جمانة.

زوجتي تعمل ممرضة في إحدى العيادات.. وجمانة تدرس بالجامعة. وبعد سرُّد العمِّ لقصة حياته الطويلة، أخيراً وصلنا حيثُ يقطن فارتفع الملل من حينه.. مباشرةً هويتُ بنفسي فوق السرير من التعب الذي ارتوى من ظهري.



وبعد مضي فترة ليست بالطويلة توغَّلتُ ببؤسي مع كيانِ عائلتي الجديدة.. المليئة بعطفٍ هائئٍ وبرائحة الأمومة المفقودة.. جمانة فتاة فضولية.. تارة مزعجة وفضولية، وفي نفس الوقت مُحترمة و متمسكة بالقيم والمبادئ الكفيلة لأنْ أحترمها.

في الوهلة الأولى ظننتها فتاة عادية كأي فتاة تدرس في مجال صعب.. وتحلم بأحلام تتجاوز عنان السماء. طريقتهما في الكلام مُسلٍ وعفوي. بعد

انكسار هيبة الرسمية من كلينا، بدأ الأخوية تفشّ فيها، فصارت دائماً تناديني بأخي المغفل والأحمق.. نداؤها مزعج وأسئلتها مُخرجة وتطفلية! شخصيتها بريئة طفولية لحدِّ ما.

حينما تواجها لأول مرة، أكّدت لي بأنّها قد قابلتني مُسبقاً في حفل زفاف محمد، وأنّي تركتُ في ذهنها بأنني شخصية ضعيفة ومُكتئبة. كونها شخصية طفولية فهي أيضاً مُدلة.. فالخدم يملؤون المنزل.. بطرفٍ من إصبعها فقط تحصل على ما تريد! كُنْتُ أكتشفُ مميّزاتها المتعددة كلَّ يوم.

كانت ذات طيشٍ تكنّ مشاعر حبِّ صامت لمحمد.. حيثُ ظلّت صامته ولم تُخبر أحداً إلّا بي. وأنّها كادتُ تجنّ حينما سمعتُ بزواجه الغير مُتوقّع، ولا أعلم لماذا أخبرتني بذلك ربّما كانت تلمّح لي به إيصال رسالة إلى محمد. ذات يوم عندما كُنْتُ أبحث في مكتبة العمّ إسحاق.. انبلجتُ أساريُّ وجهي فجأة، حينما لمحتُ رواية تحملُ اسم المُؤلّفة جمانة إسحاق.

دُهشتُ حقاً، قلتُ "لعلّها تشابه أسماء".

عندها ذلكَ الفضول لساني فسألتها.

- أنتِ حقاً من كتبتِ هذه الرواية؟

هَدْيَانُ عَاشِقٍ

بالنسبة لي مظهرك الطفولي والفضولي لا يدلّ على شيء سوى أنّك فتاةٌ مُدللة!

أجابتُ وهي تضحك: نعم يا عزيزي. أنا هي المؤلّفة الطفولية والفضولية لهذه الرواية.

كانتُ ذي شهرة طيّبة بين المثقّفين المُراهقين أكثر من الشباب الناضج لأنّها غالباً كانتُ تكتبُ قصصاً خيالية وطفولية أبطالها مجموعة مُراهقين.

عيبُ رواياتها أنّها فقط باللغة الأوردية لا تتقن الكتابة بغيرها. ولأنّ الشعب الباكستاني لا يقرأ كثيراً فلو كتبتُ بالإنجليزية لربّما كسبتُ شهرةً عالمية.

أعجبتُ بموهبة الكتابة لديها.. تكتبُ بلغة بأسرها الثخانة في الألفاظ. تتحكّم بالكلمات وتروّضها حسب مزاجها الفدّ وبشكلٍ يدعو إلى التفاخر.



نسيّتُ نفسي في وهم النسيان فأشغلتُ عقلي وقلبي بالعمل لفترةٍ تجاوزت الستة أشهر. يقولون بأنّ القليل من التّجاهل يُعيد الشخص

إلى مكانته الطبيعية.. علّ وعسى أن أكون أقوى من ذي قبل وأن أكمل حياتي كفردٍ مُستقرٍّ بنعمة الحياة على هذا الكوكب.

اتّصلتُ بي مُنى ذات ظهيرة.. تُخبرني أنّها وجدتُ عملاً يُعينها في مدينة لاهور.. أصبحتُ تعمل كاستاذة في إحدى المدارس الخاصّة.

بالرغم من تجاهلي لها وعدم الإجابة على رسائلها المتوالية.. إلّا بأنّها لا زالتُ تُحاول إقحام نفسها في تابوتي المهترئ.. فقط لأنّها قرّرت أن تحبّني.. أمري إلى الله.

أعلمُ مُسبقاً بأنّها تعمّدت البحث عن عملٍ يُقرّبها مِنِّي.

انتظرتُها قُرب محطة الحافلات.. وصلت الحافلة بكانتِها.. اصطحبتُها بالركشا مباشرة إلى منزل العمّ إسحاق.. تستريحُ قليلاً من وعشاء السفر ثمّ لكلّ حادثٍ حديث..

فنامت يوماً كاملاً دونما نفعٍ من منبّه أو طارقٍ للباب.

باكراً في صباح اليوم التالي بعد مُزاولة نفس الطقوس الصباحية المعتادة.. جهّزتُ لنا العمّة سارة والدة جُمانة أطيب الطعام فوق منضدة ناصعة ومليئة.. إكراماً لضيفتنا الجديدة منى الشرع.

اندمجتُ منى سريعاً مع جمانة.

وبعد الأخذ والردّ والحديث الطويل والضحك المُمل.

قام العمّ إسحاق مبكراً من المائدة مُعللاً: بأنّ لديه عملٌ كثيرٌ اليوم.

وعليه الإسراع في إنجازها. مع إعطائي يومها إجازةً عفوية.. قائلاً: حتى تقضي وقتاً مباحاً مع صديقتك.. فأنتما لم تتقابلا منذ زمن.

شكرته باسماء.. حقيقةً، فكرة إعطائي يوم راحة كانت فكرة حكيمة، في الآونة الأخيرة تعبتُ من ضغط العمل وكثرة القضايا المتراكمة. لذا أحتاجُ ليوم استجمامٍ هادئ.

أزعجتني جمانة حتى في يوم راحتي قالتُ أريد أن أريك شيئاً يا ثقيل الدم.. هل عليّ أن استأذن ثقالة دمك لأخذك في رحلة قصيرة! وإن أردتُ منى مرافقتنا فالأمر عائدٌ إليهما وصدري رحبٌ كما تعلم.

رفضتُ الأمر من فوري.. لكتّما أظهرت لي ملامح القطّ الحزين.. فوافقتُ على مفض.

خرجنا في جوٍّ ممطرٍ ومنعشٍ نوعاً ما.. لم تُخبرني إلى أين! أخذتُ تقودُ السيارة بنفسها حتى وصلنا إلى معرضٍ للسيارات الفارهة.. إبتاع العمّ إسحاق سيارةً فارهةً ووضعها باسمي.

في بداية الأمر رفضتُ كلَّ هذا الكرم الزائد مع غريبٍ لتوّه نغز

سعادتهم.. خفتُ وقلتُ في نفسي لعلّه يخطّطُ لشيءٍ أبعد من هذا.. لا أريد بأنْ أكوّنَ علاقةً جديدةً بالذات مع جمانة.. فلن أتحمّل ثخانة المشاعر الأليمة مجدّداً.

اتّصلتُ بوالدها فوراً وأخبرته بأنّي لم أتقبّل الهدية كما يجب.. غَضِبَ السيّد وقال هي هدية عُرفاناً لإخلاصك في العمل لا غير.. حينها قبلتُ الهدية وشكرته على كرمه.

لم أتوقّع بأنْ أجد كلّ هذا الكرم في دولة شاعت فيها المصائب السياسية من كلّ ناحية.. هذا غيرُ البدع المثيرة للغثيان.
أذكر يوماً بأنّي قابلتُ مبتعثاً سعودياً، فسألته عن رأيه في باكستان!
أجابَ قائلاً:

- باكستان جنة فوق جحيم البشر.

"من الجميل جداً كوّنَ عائلةً جُمّانة ذو ثقافة وسطية ومُلتزمة بالدين.. لم يشاركوا يوماً في مواسم الزيارات ولم يتقرّبوا يوماً لقبر كما الشائع في هذا الجزء من العالم.. أيضاً لم يكونوا ممّن تستهويهم أعياد الميلاد وغيرها من الأعياد عدا الفطر والأضحى.. استثنى من ذلك بأنهم

نوعاً ما مُنفتحين ولا يضعون النقاب إنما خمارٌ يسير يغطّي مفاتهنّ..
ولا يُفارقون اللباس الباكستاني الأصيل، كانوا مُتمسكين جداً بالأصالة".
أوقفتُ سيارَةَ جمانة في مواقف المعرض.. حتى يتسنى لنا أخذُ جولة
بسيطة بسيارتنا الجديدة فبدأتُ أدور حول الأسواق الشعبية الكامنة
بين الزوايا العشوائية هناك.

شهِدنا حينها مهرجاناً يُقام كلَّ يومٍ من هذا العام، وفيها يعرضُ
الأجانب ثقافة بلدانهم.

صادفنا في ذلك المهرجان البعثة الكورية وكانت تلك الكورية المغرورة
بينهنّ، المغرورة التي غسلتُ دماغ جنان. وسحبها حيثُ الموضة المُزيّفة
والتطوّر المُفضوح.

لكن استغربتُ من مظهرها الجديد.

لقد تغيرتُ تماماً.. تأثرتُ بالإسلام فأعلنتُ إسلامها.. رمتُ غيرها في
اليَمِّ ونجتُ بنفسها.

كانتُ قد تسترّتُ وتأنقتُ بخمارٍ أسود يغطّي ذوائبها. عندما لاحظتني
ميّزني من فورها. فتقدّمتُ نحوها.

نطقْتُ فسألتُ: كيف حالكَ يا سلمان.. بالكاد تتكلَّم الأوردية لم تُتقنها بشكل جيدٍ بعد.

أتصدِّقين يا جنان لم أسألك عنك ولم أهتم إن كان لها دورٌ في تغيُّركِ المُزري أم لا! لأنني فعلاً كُنْتُ جاداً في الشفاء منك.. ولكنَّ هي من بادرتُ ومن تلقاء نفسها، وضَّحت لي سوء الفهم السابق الذي حصل بيننا فقالت: بأنَّها بريئة وليس لها شأنٌ في تغيُّركِ الباهتِ نفسياً وظاهرياً. أو أيِّ شيء من هذا القبيل، بل أنتِ وبكاملِ قواكِ العقلية تعمدتِ إبعادي عنكِ، ولا تعلم شيئاً غير ذلك!

أضافتُ: بأنَّ جنان فتاةٌ كتومة جداً فلديها أيضاً مشاكل صحية لم تُخبرني بها مطلقاً بالرغم من إلحاحي عليها في ذلك.. أنا أتمنَّى بأن تعذرني يا أخي، أسفة كوني لم أقصد الإساءة إنَّما أنا إنسانة اجتماعية، فكلُّ من خالطني أصبحتُ صديقةً له أو لها، اعذرني مجدداً.

قبلتُ اعتذارها بصدرٍ رحب.. أخبرتنا بأنَّها ستعود أدراجها قريباً إلى سينول، وهذه المدينة هي آخر محطاتها قبل رحيلها.

أصابني الصداع ممَّا سمعتُ، استأذنتُها بالرجوع لمُلجئي لأستريح وأشرب قهوتي، لم أعد أحبُّ سماع البربرة الزائدة.

قبل رجوعنا، استدركتنا كيم مُستذكرةً:

- زواجُ جنان بعد غد.. كما قالت لي وأنا مدعوة ولكي لن أحضر..
ربما ستصطحبان لو حاولت أن تكلمها وتفهم منها ما جرى قبل
فوات الأوان.. ربّما تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر.

كلماتها الأخيرة تلك زادني مرارة وغصّة.

آنذاك مرّ يومي بأكمله وأنا في غمّ مُستتر ومُقيت.. اليوم تلقّيتُ
هدية.. وتلقّيتُ صدمة.

لم أخبر الأخت جمانة عن قصّتنا يا جنان بعد.

هي استطلعتِ القصّة وفهمتِ الموضوع بشكلٍ كامل من ثرثرة مُنى
المُدوية.

سألّني ذات يوم عن قلبي وهل هو مأهول بساكنة ما، أم لا زال
يانعاً فارغاً. لمحتُ لها ببعض الأمور بعدها صمتُ فصمتتُ بدورها ربّما
لأنّها توجّستُ القلق والانزعاج من ملامحي لذا لم تصرّ عليّ كثيراً في هذا
الصّدّد.



ذات ليلةٍ مُقمرة، اجتمعتُ بجمانة بين الكتب والأرائك العتيقة

وكوبُ الشاي بجواري يبعثُ دخانَ الراحة.. ضلّتُ تُحدّق فيّ بنصف جفن، علمتُ من حينها بأنّها تُريدُ فتحَ موضوعٍ معي ولكنها تنتظر الفرصة، فقطعتُ ذلك التريّص فقلّتُ لها: ماذا تُريدين! منظرُك المريب يدلّ بأنّ هناك كلاماً عالِقاً في حُنجرة صوتك! فقالت: سأقول ماذا أُريد ولكنّ شريطة ألا تغضب مني. فأجبتها: أمري إلى الله، حسناً قولي ما في جعبتك!

- أروي لي حكايتك الحقيرة مع فقيدتك تلك، بكلّ تفاصيلها من البداية حتى النهاية، نعم حتى النهاية.. حتى آخر نقطة.

فقلّتُ لها: عشقتُها عشقاً لا يبور، فأحببني بأقلّ ممّا أستحق، عرضتُ عليها السفر معي نحو جزر أحلامي وبحار آثامي، ركبّت معي تلك السفينة، أرادتُ خوض المغامرة ولكنّ لسوء الحظ ثقبَ شرّاع السفينة وانبلج فانهتِ القصّة.

فرمتني الفضوليّة بقلمها السائل، أخذتُ تُؤلّولُ وتصرّ على سماع تلك التفاصيل العميقة! أرادتُ من حكايتنا القاسية، نقطة انطلاقٍ لروايتها الجديدة.

في النهاية وافقتُ ولكنّ بشرط تقديم تفاصيل بسيطة وصغيرة وهي تبني عليها قصّة جديدة ومواقف أخرى عظيمة.. لم أرد أن أغرقها معي في عمق التفاصيل المزعجة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

استلهمتُ أجمل الكلمات والدُّرر من زيف حكايتنا.. فأصبحتُ بعدها
وحيدة ليلها ونهارها، تُذاكر دروسها وتكتب روايتها.. طبعاً فلكلِّ كاتب
طقوس خاصة.. يُزين تبريراته الكتابية، كانتُ عندما تكتب تشغلُّ أغنيةً
حزينة حتى يزورها الإلهام فتروّض القلم على أنغام تلك الأغنية.

لستُ سعيداً ولستُ تعيساً إنما أجلسُ في المنتصف بينهما لا زلتُ
أقاوم قيح البُعد الغاشم بالرغم من اقتراب موعد زفافها، تلك التي كانتُ
يوماً سريرة صدري الآمن.

ستجتمع قريباً بآخر لم يتأقلم بعد برائحة العبير المُنبعث منها، بآخر
ينتمكُّ جمالها بلا تقديسٍ مُسبق، بآخر لم يكن نزيهاً للحصول عليها..
أوكد لك يا جنان بأنك لن تجدي قلباً كقلبي أبداً.

تشتت أفكارى مجدداً عاد الحنين يؤرّقني ويزيدني إنزافاً فوق نزيفي.
لم تصنّفني الحياة بعد ضمن قائمة المُرتاحين.. ولم تُصنّفك الحياة
بعد ضمن قائمة المنسيين.

لم أجد حلاً لمشكلتي القديمة والجديدة إلى الآن! إلى متى سأظلُّ
أمارس الاشتياق.. وهذا الحزن الذي كلّمنا أمسحه عن قلبي يرمّم نفسه
مرةً أخرى.

لَمْ أَفَكِّرْ يَوْمًا.. بِأَنْ تَكُونَ جَنَانٍ لِّغَيْرِي. أَنْ يَكُونَ جَسَدُهَا الْفَاتِنِ
لِّغَيْرِي.. سَحَقًا يَا لَهَا مِنْ مَصِيبَةِ تَعِيسَةٍ.

وَأَنَا أَمْزَقُ وَسَادَتِي تَوَقَّفْتُ لِحِظَةً عَنْ هَذَا فَرَفَعْتُ هَاتِفِي النِّقَالَ..
فَتَحَّتْ قَائِمَةُ الصَّوْتِيَّاتِ.. ضَغَطْتُ عَلَى إِحْدَى مَقَاطِعِ الْقُرْآنِ.. بِصَوْتِ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ اللَّحِيدَانِ كَالْعَادَةِ.. أَسْمَعُهُ يَرْتَلُ فَأَزْدَادُ يَقِينًا وَأَزْدَادُ
خَشُوعًا وَتَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ.

أَسْمَعُهُ وَهُوَ يَتَرَنَّمُ بِمَدُودِهِ الْجَمِيلَةِ يَقْشَعِرُّ بَدَنِي وَيَطِيرُ رُوحِي فِي كُلِّ
مَدَّةٍ يَمُدُّهَا.

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ سَمِعْتُ هَذَا الصَّوْتِ الْعَالَمِيَّ عِنْدَمَا كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ يَا جَنَانٍ
فِي تَحَدٍّ غَرِيبٍ.

مَنْ صَوْتُهُ أَجْمَلُ مِنَ الْآخَرِ فِي التَّرْتِيلِ؟ كُنْتِ تَقْرئينِ وَتَرْتَلِينَ وَأَنْتِ فِي
أَشَدِّ حَالَاتِكَ اسْتِحْيَاءً أَمَّا أَنَا فَلَمْ يُعْجِبْنِي صَوْتِي قَطُّ لَا فِي غِنَاءٍ وَلَا فِي
تَرْتِيلٍ. وَأَنْتِ كُنْتِ تَوَافِقِينِنِي الرَّأْيَ.. وَمُنْذُ الْبَدَايَةِ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ غَرَبْتَ
مِنْ حَسَنِ صَوْتِي! كَمَا وَصَفَهُ النَّاسُ.

حِينَهَا فَتَحَّتْ هَاتِفَكَ النِّقَالَ.. وَقُلْتِ: أَتَحَدِّثُكَ بِأَنْ تُطَارِحَ هَذَا الْقَارِئُ!

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كان القارئ هو الشيخ اللحيان مُدَّاك وأنا أعشق صوته.. بسببكِ
عشقتُ ترتيله.

كَلَّ شَيْءٌ كَانَ يُعْجِبُكَ كَانَ يُعْجِبُنِي أَيْضاً.



اتَّصل بي محمد وأخبرني بأنَّه سيزورني قريباً.. محمد هو مُنقذي الأول
والأخير.

وجود محمد يُضيف الشيء الكثير لوحدتي.

وفي ساعةٍ مِنْ نهارٍ مُتعب وثقيل، قديمَ الأخ السميح محمد حاجي
برفقة ابنته المُرَهفة جنان. نقصَ وزنه كثيراً لم يُعد كما كان في السابق.. لم
يحضر محمد مع ابنته فحسب، بل وأخضر معه الست حفيظة كذلك..
حينذاك أقام العمَّ إسحاق كعادته مأدبة غداء أنيقة إكراماً للضيوف.
دائماً ما يقوم العمُّ بمثل هذه البوادر الطيبة.. أشكره جزيل الشكر
على ذلك.

عادة جميلة يمتازُ بها سكان هذا البلد، يُكرمون الضيف بأفضل ما
عندهم بالرَّغم من الفقر المرصَّع على أكتافهم.

كذلك شرفنا الجدَّ آغا والجدَّة سمية.. طبعاً جمانة أرسلتُ إلى منى
بالقدوم.. فلمْ تكدْ تُصدِّق فوافقتُ من فورها.

كُنْتُ أَشْكَ فِي تَصَرِّفَاتِ جَمَانَةَ الْأَخِيرَةِ، لَسْتُ غَبِيّاً أَفْهَمُ الْأُمُورَ مِنْ
حَوْلِي وَلَكِنِّي أَوْثِرُ الصَّمْتَ، كَانَتْ تَحَاوَلُ تَقْيِيدِي فِي شَبَاكِ مَنِي.
كَالْعَادَةِ الْجَدُّ آغَا لَمْ يَتَوَانَى وَلَوْ لِلْحِظَّةِ بِنَثْرِ أَحَادِيثِهِ وَحِكَايَاهِ
الْبَطُولِيَّةِ. وَكَيْفَ تَقَابَلُ هُوَ وَالْجَدَّةُ سَمِيَّةَ وَعَنْ مَوَاقِفِهِ مَعَهَا وَقِصَّةَ
حَبِّهِ لَهَا.

انتهينا من الطعام وحمدنا الله على النعمة الوافرة.. مسكني الجدَّ
جانباً وكالعادة نطق بوابل الحكم والدَّرر.

قال: يا بني لا تلتفتْ لصغائر الأمور على أنّها كبائر. ذات يوم ستجد
من يُطبِّب جراح قلبك. وتلك الطيبة ليستْ ببعيدة. أشار بسبابته
نحو منى. أخرجتني إشارته تلك، فطأطأتُ رأسي خجلاً وحياء.

مرّ اليوم سريعاً.. تركتُ الكبار مع بعضهم يُلقون بوابل القصص
الأسطورية فيما بينهم ورُحْتُ أَلْعَبُ الْمَحْبُوبَةَ جَنَانِ الصَّغِيرَةِ. كَمْ أَحَبَّ
هذه الطفلة المُشَاغِبَةَ، لَدَيْهَا كَوْنٌ خَاصٌ بِهَا أَتَأَمَّلُهَا وَهِيَ تَمْشِي لَوْحِهَا
وتلعب لوحيدها تتكلّم بكلام وتمتّمات بريئة غير مفهومة. أفكّر بماهية

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

عالمها في أيِّ مجال تطوف هذه الفتاة، وأسألُ نفسي كيف تكون حياتنا حينما نعيشها كأطفال!

اقترحْتُ على محمد بتغيير اسمها المُؤرَّق لي لاسمٍ آخر أكثر بهجة، غير اسمك الذي له وقعٌ أليماً في نفسي! رفضَ الأمرُ من فورهِ، كونها الذكرى الوحيدة من زوجته المرحومة.

بعد الغداء الوافر اتَّجه الجميع للصلاة فتحَّ العمُّ جهاز التلفاز.. وإذٍ بخبرٍ شدَّ سمعي وانتباهي.

عن فتاة كادت تُقتل وتكون تحُت الثرى وحيدة.. فقط من أجل مطالبتها بحقِّ تعليم الفتيات.

كانت ملالا يوسف وهي من بين آلاف الناس من العلماء وكبار السياسة.. وهي تستلم جائزة نوبل للسلام أمام الجميع وبكلِّ فخر..

ناضلتُ هذه الفتاة من أجل حُلْمها وحُلْم الكثير ممَّن يَحْمِلُون نفسَ أمانها.

الفتياتُ في هذا المجتمع ما بين شقَّين لا ثالثَ لهما.. ولا توسَّط بينهما. وأنا أظنُّ نفسي أكبرُ مُناضل في حبِّك يا جنان.. من يمنحني جائزة الحبِّ للسلام من بعدك يا مُناضلي!

في ذلك النهار الدافئ أحسستُ بأنني رجعتُ لطبيعتي الإنسانية، في تلك اللحظة فقط شعرتُ بالاطمئنان، لم تكن نبضاتُ قلبي ثقيلة كما كانت، أشعر بأنّ زمهريراً بارداً مرّ بجوار شراييني، فعقلي بات لا يفكر كثيراً.. هل هي بوادر لحياة أخرى لطيفة أم بسبب كثرة الآلام التي أصابت قلبي بالانهزام.. فغرق في بحر متجمّد بارد.



لا تقلقي سأكون معك حتى النهاية.. فقط كوني أُمي حينما أبكي
كالأطفال.. أو كوني طفلي حينما أتدمّر كالكبار.. فقط كوني في حياتي أيّ
شيء ولا تجعلني روحي يتّوه في مُنتصف الغياب..

كانت تلك رسالةً محفوظةً من ضمن أوراق مذكّرتي.. كتبها لك ذات
وحشة.. فندستها ولمّ تصل إليك ولنّ تصل.. عفا عنها الزمن.

وفي ليلة سهبة تواصلتُ أُمي معي.. تطمئنّ على روحها الوحيد.. ظنّاً
منها أنّي مُهمك في العمل ناسياً آثار الحبّ الواهنة..

- ولدي حبيبي اقطع تذكرة العودة للسعودية فبعُد أسبوعٍ من
الآن، زواج أُختك رهف.

فرحتُ كثيراً لذلك الخبر فأنا مُهملٌ جدّاً تجاه عائلتي، لمّ أتواصل مع
أختاي حقّ التواصل. أنستني جنان كلّ قطعةٍ مِنّي في أرضي القديم.

ملأتني الأشواق لزيارة الأهل والأحباب.

حلّ النهار بطيئاً، استأذنتُ السيّد إسحاق فأذن لي.. قطعتُ

تذكرتي وجمعتُ متاعي مُتَجَهًّا إِلَى مَدِينَةِ الطَّائِفِ حَيْثُ بَدَأْتُ قِصَّتَنَا يَا
مُسْتَعْصِمِي.

انشغلتُ بِتَرْتِيبِ أُمَّتَعِي.. وَلَعَلَّكَ وَقْتَهَا كُنْتَ تُجَهِّزِينَ فُسْتَانَ عَرَسِكَ.
تَزَوَّجْتِ أَنْتِ وَطَرْتُ أَنَا.

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الطَّائِفِ أَغْمَضْتُ عَيْنِي وَوَقَعْتُ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ
الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ سُؤْمِ زَوَاجٍ دَمِيمٍ.. وَمِنْ سُؤْمِ فِتَاةٍ أَنْجَبَهَا الْكُفْرُ مِنْ بَيْنِ
ثَنَائِي الْمَتَاعِبِ وَالْأَوْهَامِ.

قَابَلْتُ وَجْهَ الرَّاحَةِ وَجْهَ السَّعَادَةِ.. أُمِّي الْغَالِيَةِ بَعْدَ غِيَابٍ طَوِيلٍ..
ضَمَمْتُهَا أَيَّمَا ضَمٍّ بَيْنَ تَكْتَلَاتِ صَدْرِي كَدْتُ أَدْفِنَهَا. بَكَيْتُ بَيْنَ أَحْضَانِهَا
وَأَنَا مُرْتَمٍ بِجِثِّي فِي قِصْرِ حَنَانِهَا كَطْفَلٍ فَقَدَ لِعَبْتِهِ..

نَامَ التَّعَبُ فِي قَلْبِي.. وَكَأَنَّ الْقَمَرَ أَضَاءَ عَمَّتِي بِضَوْءِ أُسْطُورِي وَنُورِ
رَبَّانِي.. كَسَّتْنِي بِنَجُومِ طُهْرَهَا.

نَطَقْتُ أُمِّي حَيَاءً وَقَالَتْ: وَلَدِي لَا عَلَيْكَ. مَعْوِضُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، الرَّبِّ
كَرِيمِ.

أَجْهَضْتُ بَكَاءً سَتْرَتَهُ يَوْمًا بَيْنَ أَجْفَانِي مِنْ فَرْطِ رُوعَةٍ مَا سَمِعْتُ مِنْ
أُمِّي السُّلْطَانَةِ.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَتَانِي النَّاسَ وَالْأَصْحَابَ مِنْ كُلِّ فَجِّ الْمَدِينَةِ.. مَنْ عَلِمَ بِقَصَّتِي مَعَكَ يَا
جَنَانَ يُشْفِقُ عَلَيَّ حَالِي وَيَذْهَبُ. وَمَنْ عَلِمَ بِإِهْءَاءِ دِرَاسَتِي يُرْتِيئِي بِتَبْرِيكَاتِهِ
وَيَذْهَبُ.

سَوَى السَّتِّ بَهِيَّةٍ أَتَتْ وَكَلَّمَهَا حَقْدٌ وَغَيْظٌ رَمَتْ بِعَجْرَفَةٍ كَلَامَهَا فِي وَجْهِ
فَذَهَبَتْ.. سَامِحِكَ اللَّهُ يَا عَمَّتِي سَامِحِكَ اللَّهُ قُلْتُ لَهَا ذَلِكَ بِصَوْتِ رَخِيمٍ،
فَرَجَعْتُ بِوَجْهِ مَاضِيًّا حَيْثُ بَيْتِي.

رَحْتُ لِعَرَفَتِي الْقَدِيمَةِ الْمَلِيئَةِ بِذِكْرِيَاتِكَ يَا عَنِيدَةَ.. أَخَذْتُ أَقْلَبَ بَيْنَ
زَوَايَا الْغُرْفَةِ وَأَفْتَشُ فِي الْخَزَانَةِ عَمَّا يَرِبْطُنِي بِكَ. حَتَّى أُحْرِقَهَا وَأُحْرِقُ ذَرَاتِ
عَذَابِكَ مَعَهَا كَمَا فَعَلْتُ بِسَابِقَتِهَا.

مَضَيْتُ لِحَفْلَةِ زَفَافِ أُخْتِي وَأَنَا فِي كَامِلِ أَنْاقَتِي.. كَانَتْ جِبَالُ السَّعَادَةِ
تُحْتَوِيهَا.. رَاضِيَةً بِشْرِيكِهَا

شْرِيكَ عَمْرُهَا الْأَبْدِيِّ.. رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.. هُمْ أَهْلُ خَيْرٍ وَطَيِّبَةٍ.. فَلَا
خَوْفَ عَلَيَّ أُخْتِي.

وَسَطَ الضِّيُوفِ نَدَاهُ لِي وَالِدِي مِنْ بَعِيدٍ.. أَبِي ذَلِكَ الرَّجُلِ الثَّقِيلِ.. هَذَا
الرَّجُلُ لَا يُعْبِقُهُ الْخُدْلَانُ.. وَلَا يَرُدُّهُ كَيْدُ الْكَائِنِينَ.. قَوِيَّ الْعَزِيمَةِ، ذُو وَجْهِ
مُتَمَلِّئٍ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ أَبِي. قَالَ لِي مُنْذُ الْبَدَايَةِ بِأَنَّكَ يَا جَنَانَ لَسْتَ مُنَاسِبَةً
لِي.. رَفَضْتُ غَيْرَتَهُ مَنِّي. حَسْبَمَا ظَنَنْتُ آنَذَاكَ.

عَرَفَنِي عَلَى أَصْدِقَائِهِ الْقُدَامَى.

بعدها قال لي يا ولدي لو أردت الزواج الآن سوف أزوجه بأرقى
الفتيات.. لو أردت فقط قل لي يا ولدي العزيز.

قلتُ له: يا أباي يكفيني دعواتك الصادقة فقط.

انتهى مساء الاحتفال على خير.. نمتُ باكراً.. وعدتُ والديّ بأننا
سنذهبُ إلى أرض الله الحرام مكة المكرمة غداً.

حينَ الغد لبستُ إحرامي، وتيقنتُ بالشفاء التام منك يا فلسفتي
الوجودية.

وصلنا مكة وأول ما وطأتُ أقدامي أرضها المبارك.. حتى تفتحتُ زنازينُ
قلبي.

بحثتُ لله أمام الكعبة الشريفة بكلّ من خذلني وبكلّ من قتلني وأنا حيّ
أرزق.. بحثتُ له بكلّ خباياي وبكلّ همومي وآهاتي وضياعي وشتاتي.

رفعتُ أكفِّي إلى من يُبرأني من تُهمة حبك، فطلبته واثقاً مُطمئناً.

ففي النهاية الله هو وحده من يُعينني على سكرات هيامك.

أنهيتُ العُمرَةَ على خير ما يرام، رجعتُ للطائف أجوبُ شوارعها
وأزقتها.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

وألقي التحية على ناسها وساكنها وأستنشق عبير وزدها المُتَفَتِّحِ.
رُحْتُ وقتها أبحثُ عن بيت خالي عبد الله الجديد، أريد سماع أخباره
وعن حياته، سمعتُ منْ والدتي بانقلاب الأمور وتجدُّلها فجأة، فترك
خالي عبد الله يد الحبِّ خالي الوفاض، عَزَفَ عن حبِّه الأخير، بسبب أمورٍ
يُقال بأنَّها تافهة، لمْ يُخبرني خالي بأيِّ شيء ولا زلتُ أجهدُ سبب فراقهما
هكذا.

يُعجبني فيه أنه لا يفكّر بعد المصيبة كثيراً ولا ينتظر حتى يُبجِرَ
الكآبة في جفاف قلبه، إنّما يستمرّ ويتقدّم بلا تزلف وزيف، فيدوس رماد
الماضي ويُكمل.. تزوج بأخرى طيبة وبسيطة.
ترك تميمة ريحانة، فبلى الحبِّ في غدير تنهده وأزهر نباتاً طيب
الأصل.



بعد مضيّ شهرٍ كامل بين أحضان الطائف.. أتصل بي العمّ إسحاق
يسألني فيما إذا أردتُ العودة أم أبقى هنا حيثُ وطني الأول.. ربّما تضايق
من عدد القضايا المتراكمة فوق مكتبته والملقّات الكثيرة الغير مرتّبة
حواله. ففكّرتُ لعليّ أرجع وأقدّم له يد العون وأكسب رزقي.

استخرتُ ربَّ الخلائقُ وتوَكَّلتُ بعد تكاثفِ القُبُلِ الكثيفةِ فوقِ خَدَيِ
مَنْ والدتي السلطانة. وبعد أيامٍ مِنَ الانتعاشِ رجعتُ للاهور مجدداً.
وعندما وصلتُ هناك، كانا منى ومحمد في استقبالي.. ينتظرون رجلاً
أفسد راحتهم يوماً.

عابتني منى كثيراً. قالت: دائماً كُنْتُ اتَّصلُ بك. ولكن لا إجابة.

لماذا تفعل ذلك أحرقتُ أعصابي!

اعتذرتُ لها واختلقتُ بعضاً مِنَ الأعدار.. وأكملتُ السير.

عندما وصلنا لمنزل سيدي إسحاق.. لمحتُ مِنْ بعيدِ جمانة تقف
وتنتظرنا بلهفة وشوق.

فَرِحْتُ بقدمي.. قالتُ لي أغمض عينيك يا أحمرق سوف أهديك شيئاً
ما.. لَمْ أسأل ما الهدية فاستجبتُ لطلبها، أغمضتُ عيني ففتحتهما بعدما
وضعتُ هديتها في كفي.. أهدتُ لي رواية جديدة مِنْ تأليفها بعنوان (خيالٌ
أسود).

كتبتُ عن معركتنا يا جنان عن جولاتنا وصولاتنا في رحلة العشق
الغادر.. مُبدعة هذه الأنثى الماكرة، تُجيد تخطيط المعارك فوق الورق
الأبيض بشكل خُرافي.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

بعدها عُدْتُ لغرفتي أُبني أهدافاً جديدة، ومع الغد استسلمتُ للعمل.

ألهيته نفسي عن مواجهك قليلاً.

وذاتَ زمنٍ غيرِ محفوظ، وأنا أرتبُ ملقّات القضايا وأركنها كلُّ في زاويته الخاصة.. سمعتُ استئذان رجلٍ قادمٍ من بعيد.. المعذرة أهذا

مكتب المحامي إسحاق؟

عندما التفتتُ باتجاهه كان ذلك الرجل هو عاطف.

بقينا ننظر تجاه بعضنا البعض في خطِّ مستقيم.. بنظراتٍ مليئة

بالحقد والكراهية.

طال الصمت.. حتى نطقتُ أنا.

نعم هذا مكتب المحامي إسحاق.. ماذا تُريد وكيف لي أن أخدمك؟

قال: أرجوك أنظر إليّ وتكلّم معي بأدب.

عاندته لم أنظر إليه بتاتاً وأنا أُعيد وأُكرّر: إذا لم تكن قد أتيت

لاستشارة قانونية. أو عمل توكلّله لنا. فالباب وراءك يوسع جملاً! أرجوك

تفضّل.

همّ بالخروج وقبل أن يخرج.. قال سأزورك غداً مع ضيفٍ عزيز.

حينما عدتُ لمهدي أعلمتُ محمداً بما جرى.. قال يا سلمان لو كُنْتُ
أنا هو أنتَ، لما خرج عاطف وهو يتنقّس.



آه منك يا قلب، يا وجع ينبضُ في داخلي بعد كلِّ ثانية ودقيقة..
ارحمني ولو لمرة.

في كلِّ يوم أتحدّس الوقت وأنظر إلى الساعة.. كم الساعة؟ إلى متى
سيستمرّ بالتقدّم وببطقته المزعجة؟ توقّف يا وقت وخذني معك..
خذني إلى ربّي وأرحني.. سئمتُ من حياتي مهما نظرتُ للمستقبل بنظرة
تفاؤلية لا أجد لنفسي مكاناً وملاذاً آمناً.. لطالما كُنْتُ ضعيفاً وكثيراً مُند
ولادتي حتى ظهر أمامي أملٌ أخضر يتمثّل على هيئة فتاةٍ مُبتدلة وعنيدة..
ولكنّها كانتِ القاضية، أرجعتني لماضيّ القديم، بل أبعد من ذلك بقرون.
ذاتَ تقطّع يومٍ باهتٌ، بينما كُنْتُ أسير الوقتَ مع جمانة ومحمد في
لُعب الشطرنج.. بدأ النُعاس يكسِفُ أجفاني. أنهيتُ اللعب وفوراً اتّجهتُ
نحو غرفتي لأنال قسطاً من النوم.

حاولتُ وتقلّبتُ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال ولكنّي ما استطعتُ بسبب

الأرق الذي يُعانقني في كلّ ضياعٍ وتشتتٍ. أخيراً عندما أطاعني النوم ونام معي، حلمتُ بكابوس ألاك لحافي.

راودني حلمٌ بأنّي وحدي وبدون خوفٍ كنتُ أتقدّم نحو نقطة تضيء ظلاماً وسط نورٍ باذخ. وكلّما تقدّمتُ نحوها ابتعدتُ أكثر فأكثر حتى توقّفتُ أنا، وتوقّفتِ النقطة عن الحركة. لم يكتمل الحلم وظلّ ناقصاً بسبب مُنبّه الصلاة، استيقظتُ بنصفٍ وعي.. وبنصفٍ أجفان.

آن الآن موعد آذان الفجر.

ظلّ هذا الكابوس في عقلي.. ظلّ يعبثُ بزواياه المتينة رأسي.. أردتُ تفسيره ومعرفة المقصود من النقطة السوداء، ولماذا كانت تتحرك كلّما تقدّمتُ نحوها! نبشّ الفضول عقلي.

فاتصلتُ بأحد الأصدقاء القدامى أخبرته بأنّي أُريد مُفسراً للأحلام هل تدلُّ أحداً؟

أرشدني لإحدى مواقع الإنترنت الشهيرة والتي تخصُّ بتفسير الأحلام.. في رسالة قصيرة حكيتُ لهم ما رأيتُ في منامي.. وبعد فترة بسيطة تمّ الرد. فسّر لها لي أحد المفسرين وقال: بأنّ حياتي سوف تتبدّل من حالٍ إلى حال وبأنّ النقطة السوداء هذه. هي في الحقيقة شخصية سودت لي

حياتي.. ودلالة تقدّمي نحوها يدلّ على أنّي لا زلتُ أريدُ إكمال بقايا أيامي معها.. وأنّ عقلي لا يُطيقها وقلبي يقول لا أريد بأن أفارقها. وما تبين أيضاً بأنّ تلك النقطة، سيأتي يوم، وسيضمحلّ نهائياً عن حياتي.

استنتجتُ من فوري بأنّ الشخص المقصود في الحلم هي أنتِ يا جنان.. نعم هي أنتِ. وستخفين عني يوماً ما نهائياً وبلا رجعة.

وقتذاك اجتمعتُ بمنى ومحمد في اليوم الذي تلا اليوم السابق.

قاطعني محمد فجأة حينما كنتُ في نقاشٍ حاد مع منى حول أشرط الساعة، فقال: يا سلمان عاطف وحنان موجودان هنا في مدينة لاهور أحدهما يُعاني من مشكلة صحية خطيرة فإنّ لم يخب ظني، فهم يقصدون مشفىً خاصاً كلّ يوم.. ولا أعلم شيئاً غير ذلك.. المهم لا تذهب لمكانٍ غير عمك ولا تلتفتِ إليهم في حال لُقياهم بالمصادفة.. ولا تفكّر كثيراً بتلك المعتوهة جنان.

غضبتُ بلا وعي وقلتُ: لماذا السباب يا محمد؟ لا تشتم من كانت رفيقة قلبي يوماً.. وغير ذلك أرجوكم لا تذكروها أمامي مرةً أخرى، أكادُ أجن، بالكاد أمشي وأمضي مُتعرّجاً.

أضافتُ مني: رفيقة دربك يوماً. أم رفيقة دربك إلى قيام الساعة!

صمتُ ولمُ أحاول الردَّ عليها!

في تلك الأثناء نأيتُ عن الجميع لفترة، لا أريد سماع أيِّ شيءٍ عنها
وعن حياتها وأين هي وماذا تفعل!

دارتُ دوّاماتُ أسئلةٍ مريعة في عقلي.. أصبحتُ في كلّ ليلة أتناول
المهدئات الطبية.. علني أستبر عقلي من غضب الأسئلة وتناحُرها بين
الإجابات.

- أحنّ إليك.

راودتني الأمنيات وباغتتني في لحظةٍ مُريبة.

تمنّيتُ سماعَ خبر طلاقك.. تمنّيتُ أن أرجع لعالمك الموبوء بي مرّة
أخرى.

هكذا تحوّلتُ لياليّ إلى هذيان يهوي بكلّ جسدي نحو أسفل سافلين.

أصفعُ نفسي كلّ ليلة وأردّد بلساني المرير وبصوتٍ مُتعب.

فكّر وعدّ لرشدك، هذيانك هذا لا يفيد! هي كانت خائنة كانت أنثى
عفنة أصابها فيروس التخبّط فاستولت على خلية غيرك لتُعلن عن
خسائر أخرى في الأرواح.



ربّما الخيانة كافرة.. ولكنّ الغياب أشدّ طغياناً من أختها.. لطالما
هدهدت إليّ نواقيس صمتك بحبّك العظيم لي يا جنان.. أضأت قناديل
قلبي بكبريت جمالك النائم يا أميرتي النائمة. والأمنيات بلُقياك حاصرتني
في فوهة الجنون.. لا مدخل يُخرج ولا مخرج يُدخل.

عزمتُ أن أتركك بعيداً عن كوني.. أردتُ ألاّ أسلبك الخيانة وأشاركك
الانتقام الغير المنطقي.

إن لم يساعدني النسيان في طرح الكآبة عنيّ فلا حلّ سوى بإرجاعك
إلى شرايين دمي يا نقطة دمي.

بعد الفراق المؤلم أذكر بأنّه أصابني فضولٌ حزين.. فأردتُ أن أرويه
برسائلك يا جنان

فزرتُ متصفّحك بمواقع التواصل الاجتماعي.. زائراً يطلب الاستغاثة
من ربّ لا ينام.

وقعتُ عيني فوراً على المنحوتة الأولى، كتبتُ في تاريخ بعيد وقريب..
كتبتُ في يوم الملحمة التي خُضنا أنا وأنتِ فيها معركة الفراق. وكنتِ أنتِ
المتنصرة.. عندما بدأتُ بقراءتها.. وكأني قرأتُ حلماً غيباً وأنا نياماً لفتاةٍ
بمثل عمرك الطفولي يا جنان.

هَدَيَانُ عَاشِقٍ

كُتِبَتْ وَكَأَنَّكَ زَعِيمَةٌ نَفْسُكَ اتَّخَذْتَ قَرَارَكَ لَوْحَدِكَ، أَتَمَّتِي أَلَّا يَكُونَ
النَّدَمُ حَلِيفِكِ مُسْتَقْبَلًا.

"وَأَخِيرًا أَصْبَحْتُ فَتَاةً حَرَّةً. طَلَّقَنِي حَبِّ رَجُلٍ تَكْهَنُ بِأَحْلَامِي، شَعُودُ
رُوحِي، لَطَّخَ عَفَافِي. لَا أَلَمَ بَعْدَ الْآنَ وَلَا نَدَمَ بَعْدَ الْآنَ" (إِحْسَاسٌ مُرْهَفٌ)
إِضَافَةٌ تَعْلِيْقٌ: سَحَقًا لِأَضْغَاثِ أَحْلَامِكَ. (شَاعِرُ الْحَنِينِ)

بَعْدَهَا أَقْفَلْتُ الصَّفْحَةَ وَالْغَيْثُ الْحِسَابَ نَهَائِيًا.

زَارَنِي فِي الْمَكْتَبِ رَجُلٌ حَالُهُ كَحَالِي عُدُّبٌ مِنْ قَبْلِ حَبِيبَتِهِ.. يَشْكِي هَمَّهُ
وَحَالَهُ.. يَقُولُ: يَا سَيِّدِي الْمُحَامِي أَنَا رَجُلٌ أَحْبَبْتُ فَتَاةً أَشَدَّ الْحَبِّ.. عَشَقْتُهَا
حَدَّ الْجَنُونِ.. ذُبْتُ فِي كَوْنِ جَمَالِهَا.. وَلَكِنَّهَا هَرَبَتْ مَعَ ابْنِ عَمِي.. هَكَذَا وَبِكَلِّ
بِسَاطَةِ سَرَقِ مَنِي خَطِيبَتِي الْحَنُونَةِ.

هَلْ لِي بِأَنْ أَرْفَعُ دَعْوَى ضِدَّهُ أَسْتَرِدَّ حَقِّي مِنْهُ؟

قَلْتُ: يَا لَيْتَ يَا أَخِي يَسْتَوْنَ قَانُونًا يُحَاسِبُ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ الْفِتَّاكِينَ.
وَلَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ فَالْقَانُونَ لَا يَحْمِي الْمُحِبِّينَ.. لِأَنَّهَا بِبِسَاطَةِ لَعْبَةِ يَهَوَاهَا
الْعَابِثُونَ.

لَمْ يَسْتَطِعِ الرَّجُلُ التَّحَمُّلَ أَكْثَرَ بَكَاءِ مَرِيرًا أَمَامِي ثُمَّ قَامَ وَقَالَ:

عسى الله ألا يجعل لهم سعادة. عسى ربي يحرقهم حرقاً لم يحرق بها عدواً
قط.

تذكرتُ بدعواته تلك.. ذلك اليوم الذي كرهتُك فيه يا جنان أيّما
كره.. رفعتُ أكفّ الذلّ لربّ العزّة أطلبُ منه ألا تجدوا السعادة مُطلقاً..
وأن تعيشوا جحيماً لا يُطفاها أحدٌ من العالمين.



وأنا خارجُ ذاتَ مساء من المكتبِ وإذ به عاطف يقفُ أمام الباب.. لم
أعزّه اهتماماً مضيتُ في طريقي ظلّ ينده باسمي. لم أنظر للخلف مُطلقاً
حتى وصلتُ لعتبة المنزل.. كدتُ أختنقُ من الغضب.. وأنا ذلّفتُ للمنزل
اصطدمتُ بجماناة.

سألتني: ما بك يا صديقي؟

قُلْتُ: لا شيء مُهم.

قالت: كيف لا شيء مُهم وأنتَ وجهك وكأنّه بصلة مغلية بالزيت!

بعُد سؤالها المُستمر، أخبرتها بما جرى.

قالت: الرجل ربّما لديه ما يهَمُّك.. فلتقابله ولو للحظة، من أجلي

أرجوك كُن كريماً ولو لمرة.

- حسناً حسناً. الآن أتركي لي مجالاً لأدخل غرفتي.

حسناً ولكن أعلمني لاحقاً بماذا يُريد التحدّث معك.

أخذتُ حماماً دافئاً على عجلٍ.. بعد خروجي مباشرة نَبَّهني العمّ إسحاق بأنّ لدينا اجتماعاً مُهماً في الغد وعليّ التجهّز له على أكمل وجه. وفي فلقِ الصباح التالي خرجتُ مع العمّ مُتجهّين إلى المكتب.. عندما وصلنا وجدنا رجلين يقفان أمام باب المكتب لم نميّزهما من النظرة الأولى. وعندما اقتربنا ميّزتهما.. كانا عاطف، وسالم.

فتحتُ المكتب ودخلتُ من فوري.. ظلّ العمّ إسحاق بالخارج يستفسرُ منهما سبب قدومهما بعد أن شرحتُ له عن سيرتهم الذاتية قبل لحظات. دخل العمّ وقال: "يا بني هؤلاء الرجال يُريدون مُقابلتك. قابلهم وإلا سيزعجونك في كلّ مرة".

- حسناً يا عمي كما تُريد.

خرجتُ إليهم.. وقلتُ: بسرعة هاتوا ما في خفاياكم.. لأنني لا أملك الوقت الكافي، لدي اجتماع ويجبُ أن أحضره.

قال سالم: لا أظنّ بأننا سنتكلّم واقفين أمام الباب هكذا كالمُتسولين.

أجبتُه: حسناً يوجد مقهى قريب من هنا.. نتكلم فيه.

عندما وصلنا المقهى تلقائياً توجهنا أنا وعاطف إلى الزاوية اليسرى من المقهى.. لطالما جمعتنا تلك الزاوية حينما كنا طلاباً.. لطالما جمعتنا محاسن الذكرى في هذه الزاوية.

تكلم سالم أولاً فقال: سلمان، أرجوك أولاً نحن نعتذر عمّا بدر منا، ثانياً لدي خبر مؤلم قليلاً

أو ربّما لن تأبه بما أقول. ولكن الواجب يُحتم عليّ قوله.

- قُلْ ما لديك لا داعي للمُقدمات.

- اسمعني جيداً، أختي جنان مريضة جداً. فهي تعاني من مرضٍ خبيث، سرطان البنكرياس.. ظهرت الأعراض بشكل واضح بعد تركها لك.

جنان لم تخبرنا بشيء في البداية.. أُغمي عليها ذات مرة في معرض الرسم وبعد إفاقتها أصبحت تستفرغ دماً.. فالطبيب أخبرنا بأنّها مريضة ومرضها في تطوّر مستمر.. وأظنك تذكر أيضاً تلك اللحظة التي سقطت فيها مغشياً عليها وهي في معرض الكتاب.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

مَمَّا يَعْنِي أَنهَا كَانَتْ عَلَى عِلْمٍ بِمَرَضِهَا وَلَمْ تُخْبِرْنَا بِأَيِّ شَيْءٍ.. فَهِيَ الْآنَ فِي حَالٍ يُرْتَى لَهَا.

تَفَاجَأْتُ مِنْ هَوْلِ الْمَصِيبَةِ. لَمْ أَسْتَوْعِبِ الْأَمْرَ، وَكَأَنَّ ضَرْبَةَ بَرْقٍ قَوِيَةٍ أَصَابَتْ قَلْبِي.

تَدَخَّرَ رُوحِي مِنْ جَسَدِي كُلِّهِ.. تَوَاكَبَ أَحْمَالِ دَمِي الثَّقِيلَةِ.

لَا لَمْ أَكُنْ أَتَمَنَّى هَذَا.. لَمْ أَكُنْ أَتَمَنَّى بِأَنْ أَرَاكَ تَتَعَدَّبِينَ بِهَذَا الْكَابُوسِ الْمُظْلَمِ.

أَضَافَ عَاطِفٌ خَبْرًا آخَرَ أَصَابَتَنِي بِقَشَعِرِيَّةٍ ثَقِيلَةٍ:

- سَلْمَانَ أَنَا أَيْضًا أَحْبَبْتُ جَنَّانَ مُنْذُ أَوَّلِ يَوْمِ رَأَيْتُهَا فِيهَا.
- عَشَقْتُهَا انْجَرَفْتُ نَحْوَ جَمَالِهَا الْأَخَازِ لِلْأَلْبَابِ.. وَلَمْ أَصَدِّقْ عِنْدَمَا انْفَصَلْتُ عَنْكَ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ الْمُنَاسِبَةَ لِأَنْقِضَ عَلَيْهَا.. لِذَلِكَ تَقَدَّمْتُ مِنْ فُورِي كَانَتِ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً أَمَامِي. أَرَدْتُ أَنْ أَفُوزَ بِجَسَدِهَا وَقَلْبِهَا.. وَلَكِنِّي فَزْتُ بِالْجَسَدِ دُونَ الْقَلْبِ.. فَقَلْبُهَا لَكَ أَنْتِ.. أَنْتَ فَقَطْ.

لَا زَالَتْ تُحِبُّكَ، جَنَّانُ تَزُوجَتَنِي لَا لِلانْتِقَامِ أَوْ مِنْ غُرُورٍ وَتَكَبُّرٍ كَمَا

تَظُنُّ، بَلْ لِأَتَمِّهَا قَالَتْ وَبِكَلِّ صَدَقٍ وَقَهْرٍ: لَا أُرِيدُ لِرَجْلِي الْفَدُ وَالشَّجَاعَ بِأَنْ
يَمُوتَ شَوْقاً بَعْدَ رَحِيلِي عَنِ هَذِهِ الدُّنْيَا.

لَا أُرِيدُ بِأَنْ أُعَذِّبَهُ بِمَرْضِي، أُرِيدُهُ أَنْ يَتَعَوَّدَ عَلَى مَرَارَةِ الْفُقْدَانِ،
فَالْأَيَّامَ كَفِيلَةً عَلَى تَدْرِيْبِهِ كَيْفِيَةَ التَّحَمُّلِ وَالنَّسْيَانِ، وَلَقَدْ كَرِهْتُ الْحَيَاةَ
مُسَبِّقاً حِينَمَا عَلِمْتُ بِأَنَّ هَذَا الْمَرَضَ بَدَأَ يَفْتَكُّ بِجَسَدِي رَوِيداً رَوِيداً.
أُرِيدُهُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِّي قَدْرَ الْإِمْكَانِ، وَيَبْحَثَ عَنِ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ عَنِ أُخْرَى
يَحِبُّهَا بِلَا عَيْبٍ وَلَا نُقْصَانٍ، عَنِ أُخْرَى أَكْثَرَ صِحَّةً وَنُضْجاً وَجَمَالاً مَنِّي،
فَأَنَا لَنْ أُسْعِدَهُ طَوِيلاً.

لَمْ تُخْبِرْنِي بِالْحَقِيقَةِ مُطْلَقاً، ظَلَمْتُ تَتَعَبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ مُنْذُ أَنْ تَزَوَّجْنَا..
حَتَّى أَحْضَرْتُ الْأَطْبَاءَ لِبَيْتِنَا وَبَعْدَ فَحْصِهَا وَأَخَذِ التَّحَالِيلِ، انْصَدَمْتُ أَيَّاماً
صَدْمَةً.

وَالآنَ هِيَ تَعَبَةٌ جَدّاً خُصُوصاً بَعْدَ حَمْلِهَا بَيْنَ ثِنَايَا بَطْنِهَا بِطِفْلِي الْأَوَّلِ..
صِحَّةَ الطِّفْلِ أَيْضاً بِخَطَرِ يَا سَلْمَانَ وَلَا أَظُنُّهُ سَيَفْتَحُ عَيْنِيهِ يَوْماً لِيَرَى
الْحَيَاةَ بَعَيْنِيهِ الدَّافِتَيْنِ.

بَعْدَ التَّحَالِيلِ الْأَخِيرَةِ وَعَمَلِيَّاتِ أَخْذِ الْعَيْنَةِ.. قَالَ الطَّبِيبُ الْمُعَالِجُ: بِأَنَّ
الْمَرَضَ بَدَأَ بِالِانْتِشَارِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي جَسْمِهَا وَلَا سَبِيلَ لِعِلَاجِهَا غَيْرَ الْعِلَاجِ
الْكِيمِيَاءِيِّ فَلَا يُجْدِي الْآنَ نَفْعاً أَصْلاً، وَقَعَّتْ الْأَوْرَاقُ بِمَثَابَةِ أَنْتِي زَوْجِهَا.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

قاطعته في مُنتصف حديثه: طفلكَ الأول يا خائن.. أهي حاملة بطفلك
يا وغدا! قلبتُ الطاولة ولمْ أتحمّل.

لا يهمني مرضها، أكثر ما يهمني الآن هو طفلها، والتي سُنْجِمها منْ
غيري. سأموت قهراً يا أيها القدر المُشرد.

قام عاطف وصرخَ في وجهي.. نعم هو طفلي ولكنني لمْ أشعر ولو ليوم
واحد بمشاعر الحبِّ والحنان التي كانتُ تكتّمها لك.

لمْ أشعر بها كزوجة محبّة وحنونة، كلّ مذكّراتها تبدأ باسمك وتنتهي
باسمك، وكلّ رسوماتها فيها ملامحك. وأنا أيضاً اليوم هائج وحزين مثلك
يا أحمق.. ما فائدة العتاب اليوم يا سلمان! هي تُعاني اليوم منْ ويلات
المرض ولا أمل في الشفاء أبداً.

اشتدّ مرضها في الآونة الأخيرة ولا أظنّ بأنّ الطفل سيخرج حياً منْ
رحمها.. فقد أفاد الأطباء بأنّ نبض الطفل غير مريح البتة، سيموت لا
رَيْب.

انتقلنا إلى مدينة لاهور بسبب أنّ المستشفيات هنا أكثر خبرة في
التعامل مع هذا الخُبث العنيف.

أمّا جنان..

فهي الآن بالمشفى ترقُد على سرير أبيض تنتظر ربَّ الرحمن بأنْ
يعتقها من وهن الدنيا وما فيها.

تبكي ألماً من حرارة الدواء الكيميائي، وكأَنَّها بلهيبٍ تستعرُ بجلدها.
قالت بأنَّ جُلَّ أمنياتها الآن ترتكزُ في رؤيتك قبل رحيلها عن هذا
العالم.

أرجوك قابلها، وحقّق لها آخر أمنياتها. حقّق لها آخر ما تُريد أتوسّل
إليك قابلها يا سلمان.

رفضتُ الأمر وخرجتُ مُسرِعاً لا أدري إلى أين، ودموعي تأبى الصمود،
رحتُ أدوي إلى حيثُ لا أدري ولا أنوي، حتى سقطتُ مغشياً عليّ وسط
الطريق فتجمّع المارة حولي أخذوني لأقرب عيادة، قُمتُ بعد أربع ساعات
ناظرتُ يميناً وشمالاً لم أجد أحداً بقربي سوى هاتفي الجوّال الذي لا
أعلم كيف خَرَج من جيبِي وصار ينام بقربي.



تمنيتُ منك أطفالاً يملؤون الديار يا جنان، أردتُ أنْ أنجب منك
أجمل الجميلات.

حملتِ من غيري هكذا بلا أدب بلا حبّ بلا قلب بلا رغبة، لماذا كلَّ
هذا الظلم بحقّ نفسك؟

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

الآن ماذا عساي أن أقول وماذا عساي أن أفعل؟ هل أشفق على
مرضك، أم أشاركك هذا الألم لعلّي أخفف عنك وزر الأيام.

قاومتِ رغبتِي وأعلنتِ استسلامك، لم تقبليني كما كنت، لا أدري
ماذا تغيّر ولماذا شككتِ بحبنا؟ يا ليتك بادرتي إليّ وشكيتِ سوء حالك لي،
هل كنتُ لأتركك هكذا!؟

لا شيء أجمل من الحبّ كدواءٍ للداء، ربّما كنت ساطفئ عنك غضب
المرض.

أجمل ما في الحبّ هو الوفاء يا جنان.

فو الله لم أكن لأتركك وأنتِ في هذا البؤس وحدك، فو الله لم أكن
لأجرؤ في جعلك وحيدةً تُعانين مرّمة المرض وحدك.

لم يكن بيننا أبوابٌ كهلة يا جنان، ما ضرّك لو اعترفتِ بحقيقة
مرضك المهِم!

مزقتني لأشلاء مُصطادة في فخاخ الحياة، أيّني أنا؟ إن لم أكن يوماً
عنصراً أساسياً من قلبك فأيني أنا؟ تركتني على تافهة من توافه الحياة.

كيف لك الآن أن تتحملي ثلاثة أوزار فوق كاهلك! وزري أنا ووزرك مع
المرض ووزر الطفل المسكين الذي في بطنك؟

تَخَبَّطْتُ مِشَاعِرِي تَضَارِبَتْ عَوَاطِفِي مِنْ وَسْخٍ مَا سَمِعْتُ، قَلْبِي يَنْ أُمَّ
مِنْ زَيْفٍ مَا حَصَلَ! خَرَجْتُ مِنَ الْعِيَادَةِ وَرَأْسِي يُصَارِعُ صَدَاعاً قَوِيّاً أَشَارَتْ
إِلَيَّ الطَّبِيبَةُ بِبَعْضِ الْأَدْوِيَةِ لِتَخْفِيفِ الصَّدَاعِ أَحَدَهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً
لَدَيَّ فِي بَيْتِ السَيِّدِ إِسْحَاقَ. وَصَلْتُ الْبَيْتَ زَهَبْتُ لِلصِّيدَلِيَّةِ الْمَعْلُوقَةِ
بِالصَّالَةِ مِنْ فُورِي، أَخْرَجْتُ عِلْبَةَ الدَّوَاءِ عَلَيْهِ يَخْفَفُ عَنِّي حِدَّةَ الصَّدَاعِ
قَلِيلاً عِنْدَمَا ابْتَلَعُ حَبَّةً مِنْهَا، لَمْ أَدْرِ تَلْقَائِيَّ وَدُونَمَا إِرَادَةَ مَنِّي ابْتَلَعْتُهَا كُلَّهَا
دَفْعَةً وَاحِدَةً.

فَقَطُّ لِحِظَاتٍ مَعْدُودَةٍ حَتَّى تَخَّرَ مَعْدَتِي وَبَدَأْتُ بِالِاسْتِفْرَاقِ سَرِيعاً
فَأَخْرَجْتُ كُلَّ مَا فِي بَطْنِي. بَعْدَهَا رَمَيْتُ نَفْسِي فَوْقَ الْأَرِيكَةِ فَنَالَ مَنِّي
التَّعَبُ مَبْلِغاً فَغَفُوتُ.

مَرَّةً أُخْرَى حَلَمْتُ بِكُوَابِيْسٍ مَزْعُجَةٍ جَدّاً، أَرَى فِي غَيْبُوبَتِي صُورَتَكَ
وَذَكْرِيَاتِنَا الَّتِي مَرَّتْ أَمَامِي كَشْرِيطٍ مُتَسَلِّسٍ بِأَحْدَاثٍ كَثِيرَةٍ وَبِسْرَعَةٍ
مَذْهَلَةٍ، بَتَّ أَسْمَعُ نِدَاءً مُخْتَلِفاً هَذِهِ الْمَرَّةَ.

أَسْمَعُ صَوْتَ مُحَمَّدٍ وَهُوَ يَنَادِي بِاسْمِي سَلْمَااااا. وَأَصْوَاتُ أُخْرَى
أَنْثَوِيَّةٍ لَمْ أَمَيِّزْهَا إِلَّا حِينَمَا اسْتَيْقِظْتُ.

ذَلِكَ الْمَسَاءَ الْمَشْهُومَ لَمْ أَشْعُرْ بِنَفْسِي "وَكَأَنَّي غُصَّتْ فِي الْأَعْمَاقِ وَلَمْ
أَغْرُقْ".

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كُنْتُ أَشْعُرُ بِأَنَّ رُوحِي يُحَاوِلُ الْهَرَبَ مِنْ جَسَدِي الْمُدْنَبِ هَذَا، ظَنَنْتُ
نَفْسِي فِي حَلْمٍ لَنْ أَسْتَفِيقَ مِنْهُ إِلَّا فِي الْقَبْرِ. بَعْدَ صَفْعَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَبَعْدَ
هَزِّ الْأَكْتَافِ الْهَزِيلَتَيْنِ، اسْتَفَقْتُ وَإِذَا بَوَاجِهَ مُحَمَّدٍ وَهُوَ وَاقِفٌ قُبَالَتِي يَبْدُو
بِاسْمِي، وَيَسْأَلُنِي فِيمَا إِنْ كُنْتُ بِخَيْرٍ أَمْ لَا! وَأَرَاهُ بِوَضُوحٍ يُؤَشِّرُنِي بِسَبَابَتِهِ
وَإِصْبَعِهِ الْوَسْطَى فَيَسْأَلُ كَمْ هَذَا يَا رَفِيقُ؟ قُلْتُ لَهُ مُمَازِحاً أَرَى عَشْرِينَ
إِصْبَعاً.

صَحِحَكَ وَقَالَ أَنْتَ بِخَيْرٍ. وَبَعْدَ لِحْظَتَيْنِ دَخَلْتُ جَمَانَةً وَهِيَ تَنْظُرُ نَحْوِي
مَشْفَقَةً عَلَى حَالِي.

لَمْ أَسْتَوْعِبْ بَعْدُ مَا الْحَاصِلُ؟

سَأَلْتُ مُحَمَّدًا: أَيْنَ أَنَا؟ وَلِمَاذَا تَلْبَسُ مَرِيُولَكَ الْأَبْيَضَ فِي غَرْفَتِي؟ وَلِمَاذَا
تَبْكِي مِنِّي هَلْ بِهَا مَرَضٌ؟

هَلْ تَعَانِي هِيَ كَذَلِكَ مِنْ سَرَطَانِ الْبِنَكْرِيَّاسِ؟

ظَلَلْتُ أَهْذِي، مِنْ مُحَمَّدٍ؟ أَيْنَ أَنَا؟ أَنْتِ أَيْضاً هُنَا يَا مِنِّي مَا الَّذِي أَتَى
بِكُمْ إِلَى غَرْفَتِي؟

ذُهِلْتُ لِرُؤْيَا دَمُوعٍ مِنِّي وَهِيَ تَنْصَبُ كَسَيْلِ جَارِفٍ، مَا بِكَ يَا مِنِّي خَيْراً
إِنْ شَاءَ اللَّهُ؟

لَمْ أَكُنْ فِي وَعْيِي أَبَدًا، أَغْرَقْتُ مِنِّي سُنْفَنَ الْقَلْقُ فِي أَنَهَارِي.

لَا تَقْلُقْ يَا سَلْمَانَ، خَلَّاصَ انْتَهَى الْكَابُوسِ. خَلَّاصِ.

نَقَرَنِي مُحَمَّدٌ بِإِصْبَعِهِ. سَائِلًا: هَلْ كُنْتُ تُحَاوِلُ الْإِنْتِحَارَ يَا مَجْنُونٌ؟

أَجَبْتُهُ وَأَنَا أَضْحَكُ: لَا يَا عَاقِلُ إِنَّمَا كُنْتُ فِي الْعِيَادَةِ فَخَرَجْتُ مُرِيدًا
لِبَيْتِي، وَلَكِنْ كَانَ فِي رَأْسِي صُدَاعٌ كَادَ يَشْقَهُ لِأَنْصَافِ، لِذَلِكَ لَمْ أَنْتَبِهْ
عِنْدَمَا أَخَذْتُ عُلْبَةَ الدَّوَاءِ حَسِبْتُنِي أَخَذْتُ حَبَّةً وَاحِدَةً وَإِذْ بِي أَفْرَعْتُ
نَصْفَ الْعُلْبَةِ فِي مَعْدَتِي.

أَضَافَ مُحَمَّدٌ: أَحْمَدُ اللَّهِ بِأَنَّ الْخَادِمَةَ وَجَدْتُكَ تَهْذِي وَأَنْتَ عَلَى الْأَرِيكَةِ
فَاتَصَلْتُ بِالْإِسْعَافِ فَوْرًا وَاتَصَلْتُ بِي كَذَلِكَ فَاتَيْتُ مُسْرِعًا كَدْتُ أَنْسَى
مَلَابِسِي مِنَ الْعَجَلَةِ.

يَوْمٌ كَامِلٌ قَضَيْتُهُ فِي الْمَشْفَى، شَبِهَ مَيِّتَ تَارَةً أَضْحَكُ مِنْ نَكَاتِ مِنِّي
وَتَارَةً أُرِيدُ الْبِكَاءَ مِنْ أَثَارِ الْخَيْبَةِ، خَرَجْتُ مِنَ الْمَشْفَى بِرِعَايَةِ أَخِي الصَّدِيقِ
مُحَمَّدِ، لَمْ أَكُنْ قَادِرًا عَلَى الْمَشْيِ وَكَأَنِّي كَبُرْتُ سِنَوَاتٍ إِضَافِيَةً.

هَنِيئًا لَكُمْ جَنَّانَ وَيَا عَاطِفَ، عَلَى الْهَلَاكِ النَّفْسِيِّ الَّذِي سَبَّبْتُمَاهُ لِي،
وَلَكِنْ لِسُوءِ حَظِّكُمَا لَمْ أُمْتُ بَعْدَ. وَلِسُوءِ حَظِّي أَنِّي عَشْتُ الْآنَ. لَا طَاقَةَ
لِي فِي رُؤْيَا مَنْ كَانَتْ ذَاتَ يَوْمٍ أَعَزَّ رَفِيقَةً إِلَى قَلْبِي. وَهِيَ تَعَانِي مِنْ سَمُومٍ
يَفْتِكُ بِخَلَايَا جَسَدِهَا.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

ارتكبتِ أعظمَ جريمةٍ في تاريخِ الحبِّ يا جنان. خُنتِ الحبَّ بكلِّ موازينه، ربّما هذا عقاب الإله لك، أستغفر الله ماذا أقول أنا!
رميتني في بحرٍ ليس فيه غيري لا أسماك ولا حيتان تسبح فيها كالبحر الميّت، أتلفتِ عقلي فمالَ يدي إلى دواء الصداع كدتُ أدوي حياتي بموتٍ مبكّر، أتساءل كثيراً متى أنام كما ينام الفقراء؟ ومتى يموت الحبُّ الضاري، ويختفي من بواطني؟

أعميت بصيرة قلبي، فظلّ هائماً كالأشباح وهي تطوف بين أزقةٍ مظلمة، تركتني بأقلّ الحوادث إيذاءً وأشدّها هلاكاً. لم أزل إلا رهينة في شباك قلبك يا قاتلة يا جميلة يا مُجرمة يا أيّتها الأنيقة.



وفي يومٍ من أيام ذلك الشهر الأليم، اتّصلتُ بي والدة منى أرادتُ لُقيائي على عجلٍ، سألتُها: سيدتي هل كلّ شيء على ما يرام؟ قالتُ: سأُخبرك حينما ألقاك.

وعندما دنوتُ إليها، رحبتُ بي فرحةً ومُستبشرةً، بعدها بدأتُ تحكي وتُثرثر عن حياتهم إبان الحرب في سوريا وكيف هربتُ هي ومن معها من الأقراب.

رَكَزْتُ نَطَاقَ رُؤْيَتِهَا فِي وَجْهِهِ وَقَالَتْ: أَتَمَّتْ بِأَنَّ أَرَاكَ يَوْمًا سَنَدًا لِابْنَتِي
الغبية منى.

وبعد لَعْنٍ وَعَجْنٍ آخِرًا نَطَقْتُ سَبَبَ لُقْيَاي: أَخْبَرْتَنِي بِأَنَّهَا تُعَانِي مِنْ
تَحَرُّشَاتِ الْعَشْقِ الذَّمِيمَةِ، وَبِأَنَّهَا فِي الْآوَنَةِ الْآخِرَةِ لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ، وَفِي
مُنْتَصَفِ اللَّيَالِي تَذْكُرُ اسْمَكَ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ، فَمِى مَجْنُونَةٌ بِكَ، أَخَافُ أَنْ
يُؤَثِّرَ فِيهَا هَذَا الْحَبِّ، فَيَفْتَرِسُهَا كَمَا تَفْتَرِسُ الْأَسْوَدَ الطَّرَائِدَ الصَّغِيرَةَ.
اِمْتَقِعْ وَجْهِي مِنَ الْحَيْرَةِ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ مَكَانِ ابْنَتِهَا مِنِّي؟ فَأَرَشَدْتَنِي إِلَيْهَا،
وَدَعَتْهَا مِنْ فُورِي وَوَعَدَتْهَا بِإِيجَادِ حَلٍّ لِلْمَسْأَلَةِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ.

عِنْدَمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهَا وَسَأَلْتُهَا عَنِ الْأَمْرِ، ذَابَتْ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ،
أَثَرَتْ الصَّمْتِ، وَسَقَطَتْ دَمْعَةٌ دَافِئَةٌ مِنْ أَجْفَانِهَا، عَلِمْتُ حِينَهَا بِأَنَّهَا فِعْلًا
رَاغِبَةٌ بِي بِشَكْلِ مَفْجَعٍ، شَاغِبَةٌ فِي مَشَاعِرِهَا قَلِيلًا، وَأَخْبَرْتَهَا وَفِي قَلْبِي
عَتَبْتُ عَلَيَّ، بِأَنِّي إِنْسَانٌ فَارِغٌ، أَفْرَعْتُ جِنَانَ كُلِّ مَا بَدَاخِلِي.

أَخْبَرْتَهَا بِأَنَّهَا لَطِيفَةٌ، وَصَافِيَةٌ، وَذُو قَلْبٍ مَنِيرٍ، أَخْبَرْتَهَا بِأَنَّ تَبْحَثُ فِي
غَيْرِي الْأَمَانَ، فَمُدَّنِي قَدْ هُجِرَتْ وَوَلَّاحَ الْخَرَابِ فِي أَرْجَائِهَا.. وَلَكِنْ تَجْرِي
الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفْنَ..

بَعْدَهَا أَصْبَحْتُ مِنِّي تَلْتَصِقُ بِي أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، لَمْ تُعُدْ تَخَافُ الْإِقْتِرَابَ،

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أَصْبَحْتُ هَاجِسَهَا، أَصْبَحْتُ قَنَدِيلَ ظِلَامِهَا، وَإِلَى اللَّهِ الشَّكْوَى، كُنْتُ أَظَنَّ
بِأَنِّي سَاحَطَّمَهَا إِلَى أَشْلَاءٍ، وَسَتَمَكَّنَ مِنَ الْهَرُوبِ نَحْوِ الْأَمَانِ، إِلَّا أَنْ
حَسَابَاتِي لَمْ تَكُنْ دَقِيقَةً.

الفصل الأخير

هل تعلمون كيف تكون الحياة بلا روح؟

عندما تُفقد كلَّ شيءٍ وتفقد كلَّ مَنْ حولك وتعيش في وهم الفقد مُنتظراً أملاً لا يأتي. عندما تنفّس الجدران أو حينما تبقى عالقاً في المنتصف لا تدري أين تتّجه، رُغمًا عنك تبحثُ عن شيءٍ يُقودك نحو النهاية المحتومة. ربّما موتٌ أليم أو عيشٌ سقيم.

قلبي مليءٌ بالثقوب الآن، مليءٌ بقهر ذائب مُدنّس.

أشعر بكمد العيش المُرعب. الغبار يملأ المكان والرمادية تُلوث الأجواء، لا أظنّني أتنفّس الأكسجين، ذلك الهواء النظيف مفقود أو مُتصلّب بين الغصّة والابتلاع.

أسوأ كابوس قد يواجه الإنسان هو أنّه وحيد يبحثُ عن حياة نظيفة، عن حياة تُشعره بالوجود ولكن ما يزالُ يبحثُ عن رفق العيش حتّى يجد أمامه خانة الموت والإجابة الوحيدة لسؤال الرزق التائه هو الوداع الأبدي.. فلا يتجرّأ لأنّ الخوف يتملّكه.

هكذا جعلتِ حياتي بلا روحٍ يا جنان، جعلتِ مَيَّ مرتعاً للآلام والأهوال، مزقتِ كلَّ صفحةٍ من حياتي كُنتِ قد فتحتها لغيرك..

لنْ أظْهر لكَ انكساري- يا دُؤي- عند وداعك.. سأحاول كسر مرارة فُقدانك دائماً. لأتني كُنتُ في كلِّ يوم أمارس الفُقد معك، وقد فقدتكَ مُنذ الأزل. هكذا كتب ربي حياتي. أتعلمين بأنَّ الروح نفخة إلهية وأنا روحي بعدكٍ تحوّل إلى كُتيلٍ من العار سببتِ زلزالاً فحاً نُطفة قلبي.

أُعاتبكِ بقسوة، ليتني حبستُكِ في غرفة مُتجمدة ليتني احتفظتُ بكِ بين أشيائي كيف وأنتِ كلُّ أشيائي! كيف لي أن أرمك بعد اليوم يا كسرة حياتي.

في تلك الأيام، جمانة لم تتركني وشأني ظلّت فوق رأسي كذبابه عنيدة تُحاول تدمير النمطية الجاهلية في كبريائي، كانت تحثني على رؤيتك في أسرع وقتٍ ممكن.

اعتذرتُ لها مُتحمّجاً بأنني ورقة ناقصة في دفتر عُمرِكَ الآن.

- صرختُ برأيها: الحب لا يموت ولكن الإنسان يموت يا أخي، الإنسان لا يُعوّض يا أخي، لا تعلم لعلّ الله يعوّضك بها في جناته. سترحل عن العالم قريباً ألهمه الدرجة لم تُعد تُهمك! لا أظن،

أظنك فقط تكابر. اعزل كرهك تنازل عن كبريائك قليلاً فلا مجال
للمُجازفة، بالأمس أتى محمد لزيارتك فوجدك نائماً فلم يضطر
لإيقاظك.

أخبرني بشيء لا أعلم إن كان يُهمك يا مُتغافل أم لا!
أُكملت:

- أنبأنا الرجل بأن جنان أجهضتِ الطفل والآن تُصارع روحها
وتُحاول الصمود. أظنّها وَصَلَتْ لأقصى حدود روحها. حدّد الأطباء
موعد هجر روحها لجسدها بالكثير ثلاثة أشهر، وتُبحر نحو
الفضاء، وأنت ما زلت هنا تُعاتب أحلامك البائسة.

- لم يعد في الحياة ما تتمناه جنان الآن سوى بأن تراك يا سلمان أنا
واثقة من ذلك. حاول أرجوك ولك من الله الأجر والمثوبة.

بعد تلك المحادثة الهامشية مع جمانة لم يهنأ لي بال أبداً. بقيت
مُسترسلاً بأفكاري، وفي كلّ مرّة إمّا جمانة تخترق قافلة أفكاري أو اسمك
الذي يتردد صدهاء في كلّ خطوة أخطوها.



بعد محاولاتٍ حثيثةٍ من جمانةٍ في إقناعي بزيارتك يا عقوبتي، أخيراً
ترجّلتُ من كبريائي فاقتنعت.

حينها قرّرتُ المضيّ إليها. مهّما حاولتُ التبرير لهم سأفشل أمام
عنادهم. فأنا على يقين بأنّها لم تُعدّ تنتظر أحداً سوى لقاء خالقها
والهرب من هذا العذاب المُستعر، ما الذي ستجنيه من رؤيتي سوى زيادة
في المرض والهيم!

في يوم فراغي. نهشتُ جمانة فأخبرتها بنية الزيارة. فانكفأت مُتصلّبة
وبعد الدهشة استوعبتُ فقامتُ من قعودها فوراً حتى تستعدّ لمرافقتي.
بعدها انتهت جمانة من طقوس الفتيات المعتادة قبل الخروج، ركبنا
السيارة متّجهين نحو المشفى القابع بأهاتٍ ساكنها.

عند وصولي أجبرتُ أقدامي على الخضوع والدخول فبدأ قلبي
بالخفقان بشدّة. ولكن حينما أردنا الدخول منعنا الحارس الواقف أمام
عتبة العناية المُشدّدة، أكّد لنا بأنّ الزيارة اليوم ممنوع. حاولنا معه بشتّى
الطرق، بل وأرشيته بالرّغم من أنّها ضدّ مبادئ، أصرّ الحارس في نذالته.
لولا تدخّل عاطف، داهمنا قبل طرُدنا بقليل. وافق الحارس على مضمض
ولكن من وراء جُدر.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

نظرتُ إليها من خلف النافذة الزجاجية. وجهتُ أنظارها نحونا لم
تعرفنا بسرعة على ما يبدو. كانت وكأَنَّها جُتَّة طافية فوق بركانٍ نشط. في
كلِّ شبرٍ من جسدها يوجد سلكٌ أو أنبوبةٌ موصولةٌ بجهازٍ ما.

ارتعتُ من منظرها الموحش. المليءِ بالزُرقة الكاتمة. مجرد جُتَّة باهتة
تُحاول الصمود لأجل البقاء ولكن هيهات هيهات. أقسم بأنني أصبحتُ
أكثر ضعفاً الآن، قلبي بدأ يؤلمني بشدَّة وجوارحي بدأت ترتعدُ من هول
الموقف. حسبي الله ونعم الوكيل. اللهم يا شافي اشفها اللهم طهرها. اللهم
خُد شيئاً من عافيتي وازرعها فيها.

لحظتُ ذلك سحبي الحارس مُذليلاً: بأنَّ الوقت الممنوح لنا قد انتهى.
بينما أشاحتُ جنان بوجهها نحو السقف. عُدنا نحنُ أدراجنا.



رجعتُ للمنزل واكِفاً. أطفقتُ عائداً خائباً. ضائعاً، ناسياً، خائفاً،
مُترقباً، مُنهاراً.

لعلَّ الله يُحدثُ بعد ذلك مُعجزةً، هكذا كان لسانُ حالي بعدَ خروجي
من ذلك المستشفى المسكون بأنين المرضى، وبأرواحهم العالقة.
لاحظتُ الحزن في عينيها. لاحظتُ برودة أطرافها. أردتُ ضمَّها لصدري.

أرَدْتُ خَطْفَهَا مِنْ ذَاكَ الْمَكَانِ الْمَوْحِشِ، مِنْ تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ السَّيْبِيرِيَّةِ، حَبِيبَتِي
تَمَوَتْ وَأَنَا لَا أَفْعَلُ شَيْئاً سِوَى التَّرَدُّدِ فِي زِيَارَتِهَا وَلُومِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ.

هَذَا اخْتِبَارُنَا يَا جَنَّانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، خَصَّنَا اللَّهُ بِهَذَا الْإِبْتِلَاءِ،
لِيُرِينَا قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ، وَلِيُعَلِّمَنَا بِأَنَّهُ هُوَ الْبَاقِي، هُوَ الَّذِي عَلَيْنَا بِذِكْرِهِ عَلَى
الدَّوَامِ. فَالْحَبِّ الْمَلْعُونِ لَا بَدَّ بَأَنْ يَرْتَدِي لِبَاسِ التَّقْوَى وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ
حَتَّى يَتَحَوَّلَ إِلَى حَبِّ طَاهِرٍ. وَأُظَنَّ بِأَنْ حَبَّنَا كَانَ شَيْطَانِيًّا.

أَتَذَكَّرُ بَيْنَمَا كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ أُحَاوِلُ انْتِشَالَ نَفْسِي مِنْ خِيَالِ الْوَحْشَةِ.
قُدِّفْتُ بِكَأْسٍ وَرَقِي حَتَّى انْتَبَهَ. رَفَعْتُ بَصْرِي وَإِذْ بِهِ أَبَا جِمَانَةَ.

فَقَالَ: يَا بَنِي اللَّيْلَةِ لَدِينَا اجْتِمَاعٌ عَائِلِيٌّ خَاصٌّ، إِنْ كَانَ بِمَقْدُورِكَ
الْحَضُورَ فَسَأَكُونُ سَعِيداً.

قُلْتُ مُسْتَدْرِكاً: وَمَا الْمُنَاسِبَةُ يَا عَمِّي؟ قَالَ: سَتَعَلِمُ اللَّيْلَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
بَعْدَ اخْتِفَاءِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَبِزَوْغِ الْقَمَرِ اجْتَمَعَ الْجَمِيعُ حَوْلَ
مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَلْقَى أَبَا جِمَانَةَ بِكَلِمَاتٍ عَفْوِيَّةٍ نَابِعَةٍ مِنْ قَلْبِ أَبِي حَنُونٍ.
- مَادِبَةُ الْيَوْمِ عَلَى شَرَفِ ابْنِي الْحَبِيبِ سَلْمَانَ. الَّذِي تَعَرَّضَ لِكَاكِفَةِ
أَنْوَاعِ الْقَهْرِ وَالذُّلِّ. بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْتِي لَمْ أَعْرِفْهُ مُسَبِّقاً، وَلَمْ أَتَعَرَّفْ
عَلَى أَبِيهِ بَعْدَ، وَلَكِنْ وَجُودَهُ بَيْنَنَا خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

أجبرتنا على احترامه وتقييده ضمن أفراد العائلة. لعلنا نُخَفِّفَ
عَنْ كَاهِلِهِ زِحَامَ الِهْمُومِ الَّتِي أَثْقَلَتْ أَيَّامَهُ.

طَاطَأْتُ رَأْسِي مِثْلَ الْيَابَانِيِّينَ شَاكِرًا إِيَّاهُ عَلَى حُسْنِ اسْتِقْبَالِهِ وَرِعَايَتِهِ.
وَبَدَأْنَا نَكِدُّ فِي الْأَكْلِ وَنُثْرَثِرُ.

وَفِي وَسْطِ حَدِيثِنَا أَضَافَ الْعَمُّ: مَبْرُوكٌ لَكُمْ يَا أَبْنَائِي. عَسَى اللَّهُ بِأَنْ
يَجْمَعَكُمَا تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ كَمَا جَمَعَكُمَا فِي الدُّنْيَا. اسْتَغْرِبْتُ مِنَ الْأَمْرِ. فِي
مَاذَا يَبَارِكُ الْعَمُّ لِهَمَّا؟ سَأَلْتُهُ فَأَجَابَ:

"مُحَمَّدٌ وَجَمَانَةٌ، شَهِدْتُ عَلَى عَقْدِ نِكَاحِهِمَا الْيَوْمَ. أَسْعَدَكُمَا الْبَارِي
وَكَتَبَ لَكُمْ حَيَاةً أَجْمَلَ وَسَعَادَةً أَبَدِيَّةً.

أَفْجَعْتَنِي مُنَى بِالتَّصْفِيقِ وَالتَّصْفِيرِ الْمُفَاجِئِ. "نَسِيتُ وَجُودَهَا أَصْلًا.
أَمَّا جَمَانَةٌ أَوْمَاتُ بِرَأْسِهَا خِجْلًا، وَمُحَمَّدُ بَانْتُ فِي وَجْهِهِ مَلَامِحُ الْفَرْحِ
وَالسَّعَادَةِ.

رَجَعْتُ بِشَرِيطِ الذَّاكِرَةِ لِلوَرَاءِ قَلِيلًا وَاسْتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرْتَنِي بِهَا جَمَانَةٌ
ذَاتَ دَهْرٍ، كَانَتْ هُنَاكَ حِكَايَةً حَبِّ خَفِيَّةً، أَمَّا الْيَوْمَ تَمَّ الْأَمْرُ عَيَانًا،
سُبْحَانَ مَنْ سَطَّرَ حَيَاتِنَا، كَيْفَ كَانَتْ تُحِبُّ بِصِمْتٍ، غَادَرْتُ شَهْنَازَ فَاتَتْ
جَمَانَةٌ.

عَاتِبْتُهُمَا قَلِيلًا لِأَنَّهُمَا لَمْ يَخْبِرَانِي بِهَذَا الْقَرَارِ السَّرِيعِ، هِنَاثُهُمَا،
فَاسْتَطَرَدْتُ أَسْأَلُ مُحَمَّدًا، عَنِ حَبِّهِ الْقَدِيمِ عَنِ زَوْجَتِهِ الرَّاحِلَةِ شَهْنَازَ.
أَجَابَنِي: بَأَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي مُنْتَصَفِ الْعُمُرِ وَلَا يَرِيدُ لِحَنَانَ الصَّغِيرَةِ أَنْ تَكْبُرَ
بِلَا أَمٍّ تَمَلُّوْهَا بِحَنَانِهَا وَأَمُومَتِهَا، وَجَمَانَةِ أَنْسَبِ شَخْصِيَّةٍ تُمَثِّلُ هَذَا الدَّوْرَ.
بَعْدَهَا اسْتَأْذَنْتُ مِنَ الْجَمِيعِ مُعَلَّلًا بِالْإِرْهَاقِ. تَرَكْتُهُمْ وَحَدَهُمْ يُدْرِدْشُونَ
وَيَتَنَاوَلُونَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ. كَعَادَتِي الرَّتِيْبَةَ أَحَبُّ الْوَحْدَةِ كَثِيرًا لَمْ أُعِدْ
ثَرْتَارًا كَمَا كُنْتُ. كَكَهْلٍ تَجَاوَزَ الثَّمَانِينَ.



بَعْدَ مَرُورِ شَهْرٍ مِنْ ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ الْأُسْرِيِّ وَفِي ظُهُرِ يَوْمٍ حَارٍ. اتَّصَلْتُ
بِالسَّتِّ بَهِيَّةٍ وَهِيَ تَبْكِي.

فَقَالَتْ: ابْنَتِي تَحْتَضِرُ يَا سَلْمَانَ، كُنْ بِجَانِبِهَا أَرْجُوكَ. كَرَمًا مِنْكَ
أَرْجُوكَ هِيَ ابْنَتِي هِيَ حَبِيبَتِي وَحُسْرَةُ قَلْبِي. كَمَا تَعْلَمُ فَسَالِمٌ ضَعِيفٌ أَمَامَ
الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ كُنْ مَعَهُمَا أَرْجُوكَ.

تَكَرَّرَتْ تِلْكَ الْاِتِّصَالَاتُ الْمُرِيرَةُ كَثِيرًا:

عَلِمَ الْجَمِيعُ بِمَرَضِكِ يَا صَغِيرَتِي.

هَذَهَدْتُ إِلَيْ شَقِيقَتِكَ رِيحَانَةَ بَرَسَالَةٍ قَصِيرَةٍ فَكَتَبْتُ:

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

(لو أنّك رجلٌ بصدق، فاذهب إليها وكن رجلاً بحق، أختي كانت بأمانتك فأنت المسؤول الوحيد عنها. لا تجعل الغرباء يسرقون آخر أيامها).

لحظتذاك الكُلُّ قرّر بدلاً مني. حتّى أمي الحبيبة لم تنفك تراسلني كلّ ساعتين.

"يا ولدي صلِّ رحمك فأنت قريبها الوحيد هناك، أكرمها لحين خروج الآهة الأخيرة من صدرها عسى الله يشفيها". فلا تظلموها..

كانت كلمات أمي كالماء على جمر عنادي، أطفأت نيران كُرهي وزيف تشدّدي.

أنجبتُ كلماتها بداخلي صُراخاً عنيفاً. أدلتُ بنتاجٍ عظيم.
وفي تلك العجّعة والغفلة اتّصل بنا عاطف وهو يبكي سألته وبالكاد نطق.

- كدنا نفقدها يا سلمان ولكن أنعشوها مجدّداً. هي الآن نائمة
هكذا تبدو وكأَنَّها نائمة.

*أخبرنا بأنهم نقلوها لمشفى آخر.

ركبتُ السيارة ومعني محمد فلا طاقة لديّ لمسك المقود، أحسستُ

برعشة قويّة تخدّرت منها أطرافِي. مسافهُ طريقٍ فقط حتى وصلنا المشفى،
دخلتُ كأبٍ فَقَدَ ابنه لتوّه.

نستفسر عن غرفتها! فيُجيبون: هي في العناية المشدّدة. الطابق
الثالث اسألوا عنها هناك.

صعدنا إلى الطابق المذكور فأعلمونا بمخبئها البارد. اتّجهنا نحوها
وأنا أتصبّب عرقاً من هول ما سأراه وأعانيه مجدّداً. وكأني لم أضع في
الحسبان كيف ستكون بعد مدّة من الأوجاع.
طرقتُ الباب فسمعتُ صوت سالم تفضّل.

دلّفتُ للدخل، صدّقوني لم أعرفها. لم أعرفها. لم أعرفها. اختفتُ
جميع ملامح الأنوثة من وجهها. سرق المرضُ أجمل ملامح في الوجود.
جثتُ فوق ركبتي من منظرها البائس. حوريةً ابتلعها قرشٌ ساخط.
لا شعَرَ حريري كما كان ولا وجهٌ مملوء بحبّ الحياة كما كان. ولا جسدٌ
مُغرٍ يشدّ رجال الدنيا على سواء كما كان.
هي شبح ملفوفٌ بكفنٍ أبيض.

هكذا نطق قلبي في وصفها. بالكاد اقتربتُ منها وصوتُ الأجهزة تكاد
تُفجّر أذناي من طنينها المزعج.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

كانتُ تُحاولُ النومَ كانتُ قد أغمضتُ عينيها قبل دخولنا، عندما
سَمِعْتُ صوتي استيقظتُ فازداد صوتُ الأجهزة صفيراً.

ابتسمتُ عندما نظرتُ إليّ. وقالتُ: أخيراً أتيت، بالكاد نطقتُ كلمتين
فوق بعضها.

لم أتحمّل اللحظة، فبكيت.

عندما رأني أبكي. قالتُ برقةً مُدهشة: أنزل رأسك باتجاهي أمسح
دموعك، فأنا لا أستحقها.

أمسكتُ بيدها وقُلت: بأجرها يا جنان. بأجرها عسى الله أن يشفيك
يا رب.

سُرعان ما نسيتُ الغيض والحقد اللذين ملاً قلبي يوماً.

تغيّرتُ موارد فكري ساعتئذ، ولم أتذكر إلا كلّ أيامنا المليئة بالحبّ
والأحلام.

رفعتُ أكفّي للسماء وقُلت: يا منصف الحياة والموت، لا تعذبها، وكُن
لها مُعيناً.

تهشّم كلُّ كُرهِ في قلبي، فأنزلتُ رأسي باتجاهها. رصعتُ قبلة مليئة

بالشفقة والشوق فوق جبينها اليابس. عاطف لم يحتمل الموقف فقام
وغادر من فوره دون أن ينبس ببنت شفة.

أما محمد فاكتفى بقوله: رَبَّنَا يَكْرَمُكَ يَا جَنَّانَ رَبَّنَا يَكْرَمُكَ.
عندما هممتُ بالوقوف لأخرج، أمسكتُ جنان طَرْفِ قَمِيصِي.
فقلتُ. كُنْ بِقَرْبِي لَا تَرَحَّلْ.

قُلْتُ لَهَا: لَا بَأْسَ. وَعَدُّ مَنِي سَأَزُورُكَ غَدًا وَبَعْدَ غَدٍ وَبَعْدَ وَبَعْدَ وَبَعْدَ
وَبَعْدَ غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



وقتذاك ظللتُ أزورها كلَّ يوم. فطلبتُ من العمِّ إسحاق إجازة لفترة،
يُغْنِيَنِي عَنْ أَعْيَاءِ الْمَكْتَبِ.
بدأتِ الأيام تزُكَل بعضها البعض وتهوي بجنان إلى حتفها الأبدي.
كانتُ تتعبُ أكثر فأكثر يوماً بعد يوم. أنعشوها أكثر من مرّة.
فقطُ أمسكُ بيدها وأقبَلُ جبينها فأهرب. ما باليد حيلة فالمرض
والموت وجهان لعملة واحدة فمردها في نهاية الأمر للباري سبحانه. فالله
لا يعدّب المرء مرتين.
أراقبها وأدعو الله بكلّ الدعوات الحميدة.

اقتطعتِ الستُ بهيةً ومعها ريحانةٌ تذكرةٌ عاجلةٌ إلى إسلام آباد، ومنها إلى لاهور.

لرؤية فلذة كبدها جنان.

عندما وصلتُ عمتي بهية. لم تترك لنفسها مجالاً للراحة. من فورها اتجهتُ حيثُ مكُمنُ ابنتها. من حُسن الحظ بأنني كُنتُ هناك. أعنتُ الستُ بهيةً على التحمّل والصبر. المسكينة لم تُحتمل انحلال جسد ابنتها في لعنة المرض. لم تتوقّع يوماً بأن ترى هذه الأنيقة المتفائلة وهي مستقيمة فوق سرير الألم، تنتظرُ أجلها.

بكتُ كثيراً وأغوي علمها مرّات عدّة. أمّا ريحانة فكانتُ جامدةً كالصخر. استأجرتُ لهم لليلتين في فندق تبعدُ أمتاراً بسيطةً فقط عن المشفى. وقبل آخر يومٍ من وداعها الأخير..

قالتُ أريد رؤية الجميع بقربي، أريد الكلّ مجتمعاً في الغرفة غداً. اجتمعتُ بالجميع وأخذتُ منهم عهداً. بالألّا ينسوا من كانتُ يوماً تُمثّلُ لي الدنيا بأكملها.

حينَ الغد دخلنا جميعنا واحداً بعدَ الآخر. كانتُ تُكلّم الجميع بهدوءٍ بالغٍ وبنظرةٍ مُودّعة. طلبتُ من الجميع العفو والغفران.

فَكُنْتُ أَنَا آخِرُ زَوَارِهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الملعونة، أَمَسَكْتُ بِيَدِي وَقَالَتْ:

سَامِحْنِي يَا أَعْلَى مِنْ مَلَكْتُ فِي الدُّنْيَا، سَامِحْنِي.

وَضَعْتُ يَدِي فَوْقَ ثَغْرِهَا المْتَشَقِّقِ وَقُلْتُ: لَا أَنْتِ لَمْ تَفْعَلِي شَيْئاً يَسِيئاً

بِي، صَدَّقْنِي أَسَامِحْكَ يَا جَنَّانِ عَمْرِي، أَسَامِحْكَ. كَيْفَ لِي أَلَّا أَسَامِحْكَ

وَأَنْتِ كُنْتِ وَلَا زَلْتِ عَظِيمَتِي يَا هَوَى نَفْسِي!

حِينَهَا صَهْرَفْتَنِي عَنْهَا فَطَلَبْتِ: أَرْجُوكِ أَنَا عَطِشَانَةٌ أُرِيدُ أَنْ أَرْتَشِفَ

رَشَفَاتِ مِنَ المَاءِ فَحَلَقِي جَفَّ مِنَ الكَلَامِ. هَلْ تَسْتَطِيعُ إِحْضَارَ كَأْسٍ مِنْ

المَاءِ البَارِدِ لِي يَا غَالِي؟

- بالتأكيد. سوف أعود بعد دقيقة.

قَلْبِي هَاجَ فَجَاءَتْ بَدَأَتْ النُّبْضَاتُ تَتَكَرَّرُ بِشَكْلِ غَيْرِ مُنْتَظَمٍ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ

أَعُودَ بِكُوبِ المَاءِ فَأَجِدُهَا عَلَى مَا يِرَامُ. خَرَجْتُ لِبُرْهَةٍ وَعِنْدَمَا عَدْتُ وَجَدْتُ

الْجَمِيعَ فِي الخَارِجِ لَا حَالَ لَهُمْ وَلَا مَنْظَرَ. وَالسَّتْ بَهِيَّةٌ سَاقِطَةٌ عَلَى الأَرْضِ

وَحَوْلُهَا يَحْلِقُ المَرْمُرَاتُ.

عَاطَفَ أَخْذُوهُ قَبْلَاً لِغُرْفَةٍ بَعِيدَةٍ فَقَدْ أَغْمِيَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّدْمَةِ.

وَالأَطْبَاءُ يَرُكْضُونَ ذَاهِبِينَ آيِبِينَ لِغُرْفَتِهَا. لِغُرْفَةِ عَزِيزَتِي وَرُوحِي جَنَّانِ.

حِينَهَا خَرَجُوا مُنْهَكِينَ. غَطُّوا حَبِيبَتِي بِغِطَاءٍ أَبْيَضٍ.

سَقَطْتُ وَلَمْ أَحْرِكْ سَاكِنًا.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

خَرَجْتُ مَمْرُضَةً مِنْ غَرَفَتِهَا فَقَالَتْ: بِسَلَامَةِ عَمْرِكُمْ. الْمَرِيضَةُ قَدْ

تَرَكْتَ الدُّنْيَا بِحُلُوهَا وَمُرَّهَا.

انْهَارَ الْجَمِيعَ بِاِكْيَاءٍ. لَمْ أَصَدِّقْ بَعْدَ بَأْنِهَا قَدْ مَاتَتْ وَتَرَكْتَنَا.

الرَّقِيقَةُ أَحْسَتْ بَدَنُوهَا أَجْلَهَا فَرَاخَتْ تَطْلُبُ مِنَ الْجَمِيعِ السَّمَاةَ.

غَادَرْتُ وَلَنْ تَعُودَ أَبَدًا. هَكَذَا انْتَهَتْ قِصَّةُ حَبِّ مَجْنُونَةٍ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَنَّانَ فِي كُلِّ حِينٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رُوحِي الْمَتِينِ.



عَوَّدْتَنِي عَلَى الْغِيَابِ وَمَزَاوِلَةِ الْأَلَامِ، وَأَنْ أُعْتَقَ رَقِيبَةَ الْحَزَنِ بَعْدَ كُلِّ

ضَيْقٍ، عَوَّدْتَنِي عَلَى الصَّبْرِ بَعْدَ كُلِّ لَعْنَةٍ غِيَابٍ. عَلَّمْتَنِي مَا مَعْنَى أَنْ تَحَبَّ

بِصَدَقٍ.

أَخَذَكِ مَيِّ الْمَوْتِ، ذَلِكَ الْفَرَاغُ الْمُهَيَّبُ الَّذِي لَا نَعْلَمُ عَنْهُ شَيْئًا سِوَى

أَنَّهُ يَخْطِفُ الْأَحْبَابَ فَيَجْعَلُنَا بَعْدَهُمْ خَوَاءَ عِجْلِ يَخْوُءُ فِي فِضَاءٍ بَارِدٍ.

بَعْدَ غِيَابِكِ الصَّرِيحِ. مَلَأْنِي غُبْنَةَ الْحَزَنِ اشْتِيَاقًا لَكَ. وَلَكِنِّي حَاوَلْتُ

بأن أكون قوياً لأجلك يا فقيدتي. اقتنعتُ برحيلك، واقتنعتُ بوجودك
الدائم في قلبي.

جرّني محمد وهمس في أذني. دعنا نذهب لنرتّب غرفتها ونرى إن كانت
قد كتبت وصيةً ما أو تركت شيئاً ناقصاً نكمله بعدها. سألتُ سالم عن
موقع شقتكم الجديدة، فدلّنا عليها.

رافقني محمد إلى عزلتكِ تلك، فوجدتُ جُدران العُرفة مُزدانةً
بلوحاتٍ تحمل بين طيّاتها رسومات أليمة. تأملتُها جيداً فوجدتها عبارة
عن رسائل حزينة توحى إليّ وللعالم. لم يفهمها عاطف ولن يفهمها أبداً
فهو البكتيريا الأثم في حياتها الأخيرة. لو أنّي فقط.....

ظللنا يوماً بأكمله نبحثُ بين زوايا العُرفة، فوجدنا بالصدفة تحت
سريرها، مذكرةً وردية بها ميدالية تحمل حرف S.

وبعد فحصها تأملتُ بصمت، كلّ الكلمات كانت عني عن شجاعتها
في دفني بين حُطامها، وفي ذيل المذكرة آخر ورقةٍ فيها دونت أنها تتمنى
حين ترحل عن هذا العالم بأن تُدفن في أطهر بقاع الأرض. (مكة المكرمة)
بجوار والدها. وأن نجمع كلّ لوحاتها لحرقها، ونسدّد عنها ما بقي في ذمتها

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

مَنْ دِينَ. وَأَنْ أَذْكَرَهَا بِخَيْرٍ دَائِماً وَأُرْوِي عَنْهَا كُلَّ جَمِيلٍ وَأَنْ أُنْسَى فَقَطْ،
أُنْسَى كُلَّ الْمَعَارِكِ الطَّاحِنَةِ الَّتِي أَوْجَعَتْ مَنْكَبِينَا يَوْماً.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ بَسِيطَةٍ مِنَ الْإِجْرَاءَاتِ الْحُكُومِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ لَبَّيْنَا وَصِيَّتَهَا
الْأُولَى. نَقَلْنَا الْجِثْمَانَ مِنْ لَاهُورٍ إِلَى جَدَّةٍ بَعْدَ اخْتِذَاقِ الْإِذْنِ مِنْ وَزَارَةِ الصِّحَّةِ
وَبِأَمْرِ مِنَ الدِّيْوَانِ الْمَلِكِيِّ بِالسُّعُودِيَّةِ.

وَصَلْنَا أَنَا وَمَعِيَ مُحَمَّدٌ وَالسُّتُ بَهِيَّةٍ وَرِيحَانَةَ قَبْلَ الْجَيْثَةِ، بَيْنَمَا سَالَمَ
قَرَّرَ الْمَجِيءُ بِرَفْقَةٍ جِثَّتْهَا لِأَحْقَاقاً.

أَخيراً بَعْدَ يَوْمٍ رَاحَةٍ وَصَلَ جَسَدُهَا بِلَارُوحٍ يُدَثِّرُهَا. فَأَخَذْنَاهَا مِنْ مَطَارِ
جَدَّةٍ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ غَسَلُوهَا هُنَاكَ وَنَظَّفُوهَا وَبَالَعْنَبِرَ وَالْمَسْكَ رَشَّوهَا،
انْتَظَرْنَا حَتَّى آذَانَ الْفَجْرِ، صَلَّيْنَا عَلَيْهَا الْجَنَازَةَ مَبَاشَرَةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ.
حَثَّتُ التُّرَابَ فَوْقَ وَجْهِهَا الْكَالِحِ فَتَرَكْتُمَا بِجَوَارِ وَالِدَيْهِمَا. دَفَنْتُ كُلَّ
كَبْرِيَائِي مَعَهَا.

رَحِمَهَا اللَّهُ.

حَضَرَ الْجَمِيعَ عَزَاءَهَا. السُّتُ بَهِيَّةٍ وَرِيحَانَةَ كَانَتَا فِي أَشَدِّ حَالَتَيْهِمَا
بُؤْساً وَحُزْناً اسْتَطَاعَتْ أُمِّي وَخَالَاتِي إِرْجَاعَ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ
وَالْيَقِينِ بِاللَّهِ إِلَى قَلْبَيْهِمَا.

تقاسمتُ معهما البكاء. بكيْتُ وقتها بُكاءً حاراً. فجزّني أبي فقام بضَيِّ
والتخفيف عني قليلاً.

بعدها بساعات اتّصلتُ بمن لهم فضلٌ عليّ في باكستان فأخبرتهم
بأننا أنجزنا الأمر. حينها سألتُ منى عن حال عاطف كيف أصبح وأين
هو؟

فقالت: الرجل لا يُعلم يمينه عن شماله. فَقَدَ عقله تماماً، صمُّ بكم.
فقط يتمم مع نفسه. لا نعلم إن كان سيستفيق من سكرات
الصدمة هذه أم لا! والده المسكين هو الآخر حزينٌ جداً لحال ابنه الفقير.
لعنةُ أنوثتك الطاغية يا جنان دمّرت كلَّ من اقترب منك. لكّني لا زلتُ
حيّاً يا عنقودة قلبي، حيّاً كقطّ مريض.

لا زلتُ صامداً لأعيش فقط لربي. وسأحاول في كلِّ لحظة قبول، أن
أذكركُ عنده سبحانه.

انتهت أيام الحداد. وانتهى معها مدّة مُكثي البسيط في الطائف.
سافرتُ مجدداً وحدي، تاركاً خلفي أثر أنثى كانت جزءاً لا يتجزأ مني
ذات دهر.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

هبطت الطائرة بسلام فوق منصة مطار إسلام آباد. فلم أُرِدْ المضيَّ فوراً إلى لاهور بلا استنشاق شيءٍ من عبق عبير الذكريات.
أوقفتُ سائقَ أجرة وأنا في طريقي إلى شقّي القديمة حينما كنتُ أرتاد الجامعة، مررتُ بجميع المحطّات التي كنتُ أمرُّ بها ذات يوم.
مررتُ أمام المقهى الذي نقشنا فوق منضدتها أجمل الذكريات.
أخيراً توقفتُ أتأملُ شقّتك المسكونة بغيرك الآن يا عزيزتي. ممّا أثار فيّ حيناً ماضياً عندما كنتُ في الطائف كنتُ قد مررتُ أيضاً بأطلالك القديمة.

وقتذاك شيءٌ من الأسي عبرني. فتحتُ مفكرة هاتفي وكتبتُ:

"أكانتُ تلك هي أرففة مسكنها! أين صوتُ الضحكات، أين تلك الطلّة المغرورة أمام عتبة الباب، أين الانجراف نحو الحياة، أين الحيوية التي لطالما انتفضتُ بها روحك!

لَمْ أرك. لَمْ أرك. أين تلك الفتاة المُغرمة بدلع الأمس؟ أين تلك الفتاة المدللة! أين تلك التي كانتُ تسقي الزرع كلّ صباحٍ إعانةً لوالدها؟ أين تلك التي لَمْ تغرها وسم الإهانات الشاذة؟

لا فائدة من الوقوف على الأطلال. فالمحبون ماتوا والانتظار مثقلٌ
للهمّة ولا جدوى من طرق الباب. لا في زيارة ولا في استقبال."
الكلّ أصبح في دوامة حياته. ففي النهاية الحياة مستمرة. ولا تقف
على أحد.

كيف يا تُرى أخترق الحنين وأنهكه بعدك؟!
كيف يا تُرى أقضي بقية حياتي، وذُكُركِ في عقلي كمنحوتة يونانية
ميتافيزيقية خالدة.

أتدري يا جنان عمري، بأنك دهنتي جدران قلبي بطلاءٍ عنيد لا يختفي
مهما تصدّأت، حتى ولو تزوجتُ بعدك مائة مرة.



مَضَتْ ليالٍ الوحدة، ومزيجُ الحزن، خلّفتُ قلبي خلفك أسيراً، فبقي
جسدي. كآلة فارغة من كلِّ شيء. أحالتني محكمة الشفقة نحو دائرة
العُقدة النسوية مجدداً. بعد إصرار العالمين ووقوفهم بجانب الطرف
الأخر. أرغمتُ على الزواج. نكثتُ العهد يا جنان فوقعتُ في شباك غيرك
كأضحية هزيلة.

هَذَيَانُ عَاشِقٍ

وَقَفْتُ عَرِيْسًا شَاحِبًا هَالِكًا فَوْقَ الْمَسْرَحِ، وَبِجَانِبِي غَرِيْبَةٌ مُتَطَقِّلَةٌ
دَخَلْتُ حَيَاتِي بِحِجَّةِ الْحَبِّ.

مُنَى هِيَ زَوْجَتِي، تِلْكَ الشَّرِيْدَةُ الطَّرِيْدَةُ الَّتِي لَا وَطْنَ لَهَا، تَفَرَّدَ الْمُجْرَمُونَ
بِوَطْنِهَا فَأَوْسَعُوهَا هُجْرَانًا وَإِيْلَامًا. فَانْتَقَمْتُ مِنْهُمْ بِي أَنَا.
صَدَّقْتَنِي لَمْ يَتِمَّكَنَّ أَيُّ أَحَدٍ مِّنَ الْوَصُولِ إِلَى قَلْبِي يَا عُمْرَانِي الْمُسْتَقِيلَ،
مِثْلَمَا فَعَلْتِ أَنْتِ.

هَلْ أُخْبِرُكَ أَيْضًا بِأَنَّ جَمَانَةَ أَنْجَبَتْ طِفْلَةً أُخْرَى لِعَزِيْزِنَا مُحَمَّدٍ. جُمَانَةُ
تِلْكَ الْأَنْيَقَةُ وَالْجَارِفَةُ بِطُمُوْحٍ هَائِلٍ يَا لَيْتِنَا قَابِلِنَاهَا قَبْلَ نَهَايَتِنَا الدَّامِيَةِ يَا
جِنَانَ، فِي وَجْهِهَا سَلَالَاتٌ مِّنْ أَمَلٍ، لَا أَعْلَمُ فِيْمَا إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ
تُهَمِّكُ الْآنَ أَوْ تَصِلُ إِلَيْكَ عَنْ طَرِيقِ مَلَائِكِ الرَّحْمَنِ.
رَبِّمَا تَكُونِينَ الْآنَ مَلِكَةً فِي قَصْرِكَ وَالْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِكَ.

انتهى..

ملاحظة:

بدأتُ بكتابة هذياني عام ٢٠١٥ م فلم أنتهي منها حتى تقطعتُ كُلَّ السُّبُلِ للوصول إليها... وفي ٢٠٢٠ م حينما زُفِّت كعروسة أنهيتُ، أنا من وضع آخر نقطة في الرواية.



خروج:

هي لَمْ تَكُنْ إِلَّا صَحَبَ أَنْتِ تَهْدِمِ الْقُلُوبَ
وَتَقْتُلِ وَتَعْتَرِفُ بِأَنَّهَا مُجْرِمَةٌ وَلَا يُحَاسِبُهَا أَحَدٌ.

